شرح مَنازِل السّائرين

لشيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي
المتوفى ٤٨١هـ سنة

تأليف

الإمام الشيخ زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي
المتوفى ١٠٣١هـ سنة

تحقيق

الشيخ الدكتور عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

BOOKS - PUBLISHER
Beirut-Lebanon
كتاب - ناشرون
بيروت - لبنان

شرح
منازل السائرين

المتن
لشيخ الإسلام
عبد اللّه الأنصاري الهروي
396 - 481 هجرية

والشرح
للإمام الشيخ
زين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي
952 ـ 1031 هجرية

تحقيق الشيخ الدكتور
عاصم إبراهيم الكيالي
الحسيني الشاذلي الدرقاوي

بسم الله الرحمن الرحيم

تقديم

بسم الله الواحد الأحد الحق المبين، الأول بلا ابتداء والآخر بلا انتهاء، والظاهر بلا انكشاف والباطن بلا استتار، كان ولم يكن شيء غيره وهو الآن على ما عليه كان، خلق الإنسان بيده في أحسن تقويم واستخلفه في أرض ناسوت جسمه وسماء ملكوت قلبه وحقيقة جبروت روحه وسرّه، وحمَّله أمانة توحيد ذاته وصفاته وأفعاله مصداقاً لقوله تعالى: ﴿قَالَ يَٰٓإِبۡلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسۡجُدَ لِمَا خَلَقۡتُ بِيَدَيَّۖ أَسۡتَكۡبَرۡتَ أَمۡ كُنتَ مِنَ ٱلۡعَالِينَ﴾ [ص: الآية 75]، وقوله تعالى: ﴿لَقَدۡ خَلَقۡنَا ٱلۡإِنسَٰنَ فِيٓ أَحۡسَنِ تَقۡوِيمٖ ۝٤﴾ [التِّين: الآية 4]، وقوله تعالى: ﴿إِنِّي جَاعِلٞ فِي ٱلۡأَرۡضِ خَلِيفَةٗۖ﴾ [البَقَرَة: الآية 30]، وقوله تعالى: ﴿إِنَّا عَرَضۡنَا ٱلۡأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِ وَٱلۡجِبَالِ فَأَبَيۡنَ أَن يَحۡمِلۡنَهَا وَأَشۡفَقۡنَ مِنۡهَا وَحَمَلَهَا ٱلۡإِنسَٰنُۖ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومٗا جَهُولٗا﴾ [الأحزَاب: الآية 72].

والحمد لله تعالى الذي ليس كمثله شيء وهو السميع البصير القائل تعالى: ﴿يَرۡفَعِ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنكُمۡ وَٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡعِلۡمَ دَرَجَٰتٖۚ﴾ [المجادلة: الآية 11]، والقائل تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَإِذَا تُلِيَتۡ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتۡهُمۡ إِيمَٰنٗا وَعَلَىٰ رَبِّهِمۡ يَتَوَكَّلُونَ﴾ [الأنفَال: الآية 2].

وصلِّ الله على الإنسان الكامل والخليفة الحقيقي في أرض ملك شريعته، وسماء ملكوت طريقته، وسر جبروت حقيقته، سيد ولد آدم، النبي الخاتم، المبعوث رحمة للعالمين بما جاء لهم به من دين كامل جامع للإسلام والإيمان والإحسان المقابلة للعوالم الوجودية الملك والملكوت والجبروت، المقابلة لما تضمنه الإنسان من نفس وقلب وروح، فالإنسان يقابل عالم الملك بجسمه

ونفسه، ويقابل عالم الملكوت بعقله وقلبه، ويقابل عالم الجبروت بروحه وسرّه. قال الله تعالى: ﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمۡۚ أَفَلَا تُبۡصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الذّاريَات: الآية 21]، وقال تعالى: ﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِى ٱلۡأٓفَاقِ وَفِىٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ﴾ [فُصّلَت: الآية 53].

وبعد، ففي إطار معرفة الإنسان بنفسه الموصلة إلى معرفة ربه انطلاقاً من قوله ﷺ: «**مَن عرف نفسه عرف ربه**» وفي إطار نشر كتب التصوُّف الإسلامي بعد تحقيقها وتصحيحها وتنقيحها والتعليق عليها، نقدم للقرَّاء الكرام كتاباً من أنس كتب التربية والسلوك الشارحة للمقامات التي لا بد للمريد السالك إلى مقام الإحسان مقام توحيد الشهود والعيان من التحقق بها، ألا وهو كتاب «**منازل السائرين إلى الحق المبين**» للشيخ الحافظ أبو إسماعيل عبد الله الهروي الحنبلي الأنصاري المتوفى سنة 481 هجرية. وقد ألّفه حين سأله جماعة من أهل هراة فأجاب ورتّب لهم فصولاً وأبواباً فجعله مائة مقام مقسومة على عشرة أقسام، كل منها يحتوي على عشرة مقامات يجمعها رتب ثلاث:

الأولى: أخذ القاصد في السير.

الثانية: دخوله في الغربة.

الثالثة: حصوله على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد.

والأقسام العشرة التي يقسم المقامات إليها هي: البدايات، والأخلاق، والأبواب، والأصول، والولايات، والنهايات، والمعاملات، والأودية، والحقائق.

وشرح الكتاب جماعة من العلماء منهم العارف بالله تعالى الشيخ عبد الرزاق القاشاني المتوفى سنة 730 هجرية الذي وصف الكتاب بقوله: وهو كتاب فاق على كل ما صنِّف في هذه الطريقة. وشرحه الشيخ شمس الدين محمد التبادكاني الطوسي المتوفى سنة 891 هجرية وسمَّاه «تسنيم المقربين في شرح منازل السائرين» وشرحه الشيخ محمود بن محمد الدركزيني المتوفى سنة 743 هجرية وسماه (تنزيل المسافرين) وشرحه الشيخ أحمد بن إبراهيم الواسطي

المتوفى سنة 751 هجرية وسماه «مدارج السالكين». واختصرته العارفة بالله تعالى الشيخة عائشة بنت يوسف الدمشقية وسمته «الإشارات الخفية في المنازل العلية»، وشرحه العارف بالله المحقق الشيخ عفيف الدين التلمساني بن علي التلمساني المتوفى سنة 690 هجرية. وشرحه شيخ الإسلام العلاَّمة عبد الرؤوف المناوي المتوفى سنة 1031 هجرية، وهو هذا الكتاب الذي بين أيدينا.

وأصل الكتاب مخطوط نفيس حصلنا عليه من مكتبة الدولة في برلين برقم (615) ويقع في ورقتين ومئة وكل ورقة مكوَّنة من صفحتين ومسطرته تسعة عشر سطراً كُتِبت بخط رقعي واضح نسبياً.

ويعود الفضل في نشر هذا الكتاب للمرة الأولى للباحثين الفاضلين الدكتور محمد عبد القادر نصار والأستاذ أحمد إبراهيم عبد الحميد. وقد بذلا مجهوداً كبيراً في تحقيق الكتاب وإخراجه في أبهى حلة جزاهما الله تعالى خيراً، إلا أننا وجدنا أن نسخة المخطوط الذي اعتمدا عليه في تحقيقهما ـ وهي نسخة مكتبة الإسكندرية ـ سقط منها الكثير من الفقرات والجمل والعبارات بالمقارنة مع نسخة مكتبة الدولة في برلين وهي النسخة التي اعتمدناها في تحقيقنا هذا، فحمدنا الله تعالى أنْ منَّ علينا بنسخة كاملة بها اكتمل عملنا وعمل هذين الباحثين الفاضلين وتمَّ الغرض وحصل النفع ووفقنا الله تعالى لخدمة العلم والعلماء والمريدين والعارفين بالله تعالى.

ولا بد من الإشارة إلى أن كتب التصوف الإسلامي تساعد المُريد على الاطلاع على الأحوال والمقامات، التي يمر بها السالك إلى الله تعالى، كما يطّلع على الحكم والقواعد الصوفية التي يستلهم منها كيفية التحقق بأحكام مقام الإسلام وأنوار مقام الإيمان، وأسرار مقام الإحسان، وصولاً إلى قوله تعالى: ﴿وَٱعۡبُدۡ رَبَّكَ حَتَّىٰ يَأۡتِيَكَ ٱلۡيَقِينُ ٩٩﴾ [الحجر: الآية 99]. كل ذلك بإشراف ورعاية وتربية شيخه العالم بأمراض النفوس والقلوب؛ وبالأدوية الشافية له من هذه الأمراض، لأنه ورث عن النبي ﷺ علوم وأسرار مقامات الدين الثلاث: الإسلام والإيمان والإحسان؛ الشريعة والطريقة والحقيقة؛ المُلْك والملكوت والجبروت،

مصداقاً لقوله ﷺ: «العلماء ورثة الأنبياء»، وقوله ﷺ: «إن هذا العلم دين فانظروا عمّن تأخذون دينكم».

هذا ونرجو الله تعالى أن ينفعنا والمسلمين بما في هذه الكتب من الحب والإخلاص والصدق واليقين، ومن أسرار ما تعبَّدنا الله به على لسان نبيّه ﷺ مصداقاً لقوله تعالى: ﴿لَّقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِّمَن كَانَ يَرْجُواْ ٱللَّهَ وَٱلْيَوْمَ ٱلْأَخِرَ وَذَكَرَ ٱللَّهَ كَثِيرًا ﴿٢١﴾﴾ [الأحزاب: الآية 21]، وقوله تعالى: ﴿وَمَا يَنطِقُ عَنِ ٱلْهَوَىٰٓ ﴿٣﴾ إِنْ هُوَ إِلَّا وَحْىٌ يُوحَىٰ ﴿٤﴾﴾ [النجم: الآيات 3-4]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن يُطِعِ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَعَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّۦنَ وَٱلصِّدِّيقِينَ وَٱلشُّهَدَآءِ وَٱلصَّٰلِحِينَ وَحَسُنَ أُوْلَٰٓئِكَ رَفِيقًا ﴿٦٩﴾﴾ [النساء: الآية 69]، لننال السعادة الحقيقية المتمثّلة بمعرفة الله تعالى في الدنيا، والنظر إلى وجهه الكريم في الآخرة مصداقاً لقوله تعالى: ﴿وُجُوهٌ يَوْمَئِذٍ نَّاضِرَةٌ ﴿٢٢﴾ إِلَىٰ رَبِّهَا نَاظِرَةٌ ﴿٢٣﴾﴾ [القيامة: الآيتان 22-23].

كتبه الشيخ الدكتور

عاصم إبراهيم الكيالي

الحسيني الشاذلي الدرقاوي

ترجمة الشارح*
الشيخ عبد الرؤوف المناوي
٩٥٢ هجرية ـ ١٠٣١ هجرية

هو شيخ الإسلام، علامة الأنام، خاتمة المؤلفين والمحدثين، زين الملة والدين، الشيخ عبد الرؤوف الحدادي ثم المناوي القاهري الشافعي. ولد سنة اثنين وخمسين وتسعمائة هجرية.

أخذ العلم عن الشمس الرملي، وعلي المقدسي، ومحمد البكري، والنجم الغيطي، والطبلاوي، والشيخ الإمام سيدي عبد الوهاب الشعراني، والشيخ محمد التركي الخلوتي.

وأخذ عنه: سليمان البابلي، وإبراهيم الطاشكندي، وأحمد الكلبي.

توفي يوم الخميس الثالث والعشرين من شهر صفر سنة إحدى وثلاثين وألف وصُلي عليه بجامع الأزهر يوم الجمعة، ودفن بجانب زاويته التي أنشأها بخط المقسم المبارك، فيما بين زاويتي سيدي الشيخ أحمد الزاهد، والشيخ مدين الأشموني.

ومن مصنفاته:

ـ فيض القدير شرح الجامع الصغير.

ـ فتح الرؤوف القدير شرح الجامع الصغير.

---

* هذه الترجمة هي من كتاب «الكواكب الدرية في تراجم السادة الصوفية» لزين الدين محمد عبد الرؤوف المناوي ابن الشارح الشيخ عبد الرؤوف المناوي. وانظر ترجمته في:

ـ خلاصة الأثر للمحبي (2/ 412)، وفهرس الفهارس (2/ 560)، والأعلام للزركلي (6/ 204).

- التيسير شرح الجامع الصغير.
- شرح الشمائل الترمذية.
- شرح الباب الأول من كتاب الشفا لعياض.
- اليواقيت والدرر شرح نخبة ابن حجر.
- كنوز الحقائق في حديث خير الخلائق.
- المجموع الفائق من حديث خير الخلائق.
- الجامع الأزهر في حديث النبي الأنور.
- التبيان في فضائل النصف من شعبان.
- إسفار البدر عن ليلة القدر.
- شرح الأربعين النواوية.
- نخبة البتهاج في فوائد الإسراء والمعراج.
- شرح ألفية السيرة للعراقي.
- شرح الخصائص الصغرى للسيوطي.
- الإتحافات السنية بالأحاديث القدسية.
- الأدعية المأثورة بالأحاديث المشهورة.
- المطالب العلية في الأدعية الزهية.
- كنز الطالبين لأوراد الأولياء والمسلكين.
- إتحاف الناسك بأذكار السفر والمناسك.
- بغية الطالبين لمعرفة اصطلاح المحدثين.
- تيسير الوقوف على غوامض أحكام الوقوف.
- بلوغ الأمل في الألغاز والحيل.
- النبذة السنية في علم المواريث الفرضية.
- ابتهاج النفوس بذكر ما فات القاموس.

- عماد البلاغة في أسئلة أُولي اليراعة.
- التوقيف على مهمات التعاريف.
- مختصر تسهيل المقاصد لزوار المساجد للأقفهسي.
- شرح الورقات للجويني.
- شرح التحرير لشيخ الإسلام زكريا.
- شرح العباب لابن حجر الهيتمي.
- شرح زيد بن أرسلان.
- شرح هداية الطالب لأبي الحسن البكري.
- نزهة الحاوي بفتاوي الشرف المناوي.
- شرح الآجرومية.
- شرح جزء من القاموس.
- الصفوة بمناقب آل البيت.
- شرح منازل السائرين للهروي.
- مناقب السيدة فاطمة.
- مناقب الشافعي.
- مناقب الشيخ الأكبر.
- شرح الحكم العطائية.
- شرح المواقف للنفري.
- شرح العينية لابن سينا.
- شرح رسالة التصوف لابن سينا.
- الجواهر المضية في الآداب السلطانية.
- حاشية على شرح العقائد النسفية للسعد.
- شرح نظم العقائد لابن أبي شريف.
- مختصر تمهيد الأسنوي.
- بغية المحتاج في الطب والعلاج.
- الدر المنضود في ذم البخل ومدح الجود (طبع العلمية بتحقيقنا).
- شرح منظومة ابن العماد في آداب الأكل.

ـ شرح زوائد الجامع الصغير.

ـ شرح المنهج للشيخ زكريا.

ـ شرح هداية الناصح للشيخ أحمد الزاهد.

ـ شرح مختصر المزني.

ـ مختصر المصباح في علم المفتاح للجلدكي.

ـ شرح تحفة ابن الهائم في الفرائض.

ـ الشمعة المضية في علم العربية.

ـ الروضة الزهية بالفتاوى السمهودية.

ـ شرح البهجة الوردية للشيخ زكريا.

ـ مجمع الفوائد بفتاوى الأئمة الأماجد.

ـ منحة الطالبين لمعرفة أسرار الطواعين.

ـ رسالة في البسملة.

ـ تاريخ الخلفاء.

ـ شرح مسند الشهاب.

ـ ترتيب الشهاب للقضاعي.

ـ الكواكب الصغرى. وغير ذلك كثير.

وجاءت ترجمته في كتاب «خلاصة الأثر في أعيان القرن الحادي عشر» للشيخ محمد أمين بن فضل الله بن محب الدين بن محمد المحبي الحموي الأصل، الدمشقي، على النحو التالي:

عبد الرؤوف بن تاج العارفين بن علي بن زين العابدين الملقب زين الدين الحدادي ثم المناوي القاهري الشافعي، وقد تقدم ذكر تتمة نسبه في ترجمة ابنه زين العابدين الإمام الكبير الحجة الثبت القدوة صاحب التصانيف السائرة وأجل أهل عصره من غير ارتياب. وكان إماماً فاضلاً زاهداً عابداً قانتاً لله خاشعاً له كثير النفع، وكان متقرّباً بحسن العمل مثابراً على التسبيح والأذكار، صابراً صادقاً،

وكان يقتصر يومه وليلته على أكلة واحدة من الطعام وقد جمع من العلوم والمعارف على اختلاف أنواعها وتباين أقسامها ما لم يجتمع في أحد ممن عاصره. نشأ في حجر والده وحفظ القرآن قبل بلوغه ثم حفظ البهجة وغيرها من متون الشافعية وألفية ابن مالك وألفية سيرة العراقي وألفية الحديث له أيضاً، وعرض ذلك على مشايخ عصره في حياة والده ثم أقبل على الاشتغال فقرأ على والده علوم العربية وتفقه بالشمس الرملي، وأخذ التفسير والحديث والأدب عن النور علي بن غانم المقدسي، وحضر دروس الأستاذ محمد البكري في التفسير والتصوف، وأخذ الحديث عن النجم الغيطي والشيخ قاسم والشيخ حمدان الفقيه والشيخ الطبلاوي لكن كان أكثر اختصاصه بالشمس الرملي وبه برع، وأخذ التصوف عن جمع وتلقن الذكر من قطب زمانه الشيخ عبد الوهاب الشعراوي، ثم أخذ طريق الخلوتية عن الشيخ محمد المناخلي أخي عبد الله وأخلاه مراراً، ثم عن الشيخ محرم الرومي حين قدم مصر بقصد الحج وطريق البيرامية عن الشيخ حسين الرومي المنتشوي، وطريق الشاذلية عن الشيخ منصور الغيطي، وطريق النقشبندية عن السيد الحسيب النسيب مسعود الطاشكندي وغيرهم من مشايخ عصره، وتقلد النيابة الشافعية ببعض المجالس فسلك فيها الطريقة الحميدة وكان لا يتناول منها شيئاً ثم رفع نفسه عنها وانقطع عن مخالطة الناس وانعزل في منزله وأقبل على التأليف فصنَّف في غالب العلوم ثم ولي تدريس المدرسة الصالحية فحسده أهل عصره وكانوا لا يعرفون مزية علمه لانزوائه عنهم، ولما حضر الدرس فيها ورد عليه من كل مذهب فضلاؤه منتقدين عليه وشرع في إقراء مختصر المزني ونصب الجدل في المذاهب وأتى في تقريره بما لم يسمع من غيره فأذعنوا لفضله وصار أجلاء العلماء يبادرون لحضوره وأخذ عنه منهم خلق كثير منهم الشيخ البابلي والسيد إبراهيم الطاشكندي والشيخ علي الأجهوري والولي المعتقد أحمد الكلبي وولده الشيخ محمد وغيرهم، وكان مع ذلك لم يخل من طاعن وحاسد حتى دس عليه السم فتوالى عليه بسبب ذلك نقص في أطرافه وبدنه من كثرة التداوي، ولما عجز صار ولده تاج الدين يستملي منه التآليف ويسطرها.

وتآليفه كثيرة منها: تفسيره على سورة الفاتحة وبعض سورة البقرة، وشرح على العقائد للسعد التفتازاني سماه غاية الأماني لم يكمل، وشرح على نظم العقائد لابن أبي شريف، وشرح على الفن الأول من كتاب النقاية للجلال السيوطي، وكتاب سماه أعلام الأعلام بأصول فني المنطق والكلام، وشرح على متن النخبة كبير سماه نتيجة الفكر وآخر صغير، وشرح على شرح النخبة سماه اليواقيت والدرر، وشرح على الجامع الصغير ثم اختصره في أقل من ثلث حجمه وسماه التيسير، وشرح قطعة من زوائد الجامع الصغير وسماه مفتاح السعادة بشرح الزيادة. وله كتاب جمع فيه ثلاثين ألف حديث وبيَّن ما فيه من الزيادة على الجامع الكبير وعقب كل حديث ببيان رتبته وسماه الجامع الأزهر من حديث النبي الأنور، وكتاب آخر في الأحاديث القصار عقب كل حديث ببيان رتبته سماه المجموع الفائق من حديث خاتمة رسل الخلائق، وكتاب انتقاه من لسان الميزان وبيَّن فيه الموضوع والمنكر والمتروك والضعيف ورتبه كالجامع الصغير، وكتاب في الأحاديث القصار جمع فيه عشرة آلاف حديث في عشر كراريس كل كراسة ألف حديث كل حديث في نصف سطر يقرأ طرداً وعكساً سماه كنز الحقائق في حديث خير الخلائق، وشرح على نبذة شيخ الإسلام البكري في فضل ليلة النصف من شعبان، وكتاب في فضل ليلة القدر سماه أسفار البدر عن ليلة القدر، وشرح على الأربعين النووية، ورتب كتاب الشهاب القضاعي وشرحه وسماه إمعان الطلاب بشرح ترتيب الشهاب، وله كتاب في الأحاديث القدسية وشرح الكتاب المذكور، وشرح الباب الأول من الشفا، وشرح الشمايل للترمذي شرحين أحدهما مزج والآخر قولات لكنه لم يكمل، وشرح ألفية السيرة لجده العراقي شرحين أحدهما قولات والآخر مزج سماه الفتوحات السبحانية في شرح نظم الدرر السنية في السيرة.

ترجمة الماتن شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي رضي الله عنه[١]

٣٩٦ هجرية ـ ٤٨١ هجرية

هو الإمام الجليل القدوة الحافظ الكبير، الصوفي العارف بالله تعالى إمام الحنابلة: شيخ الإسلام أبو إسماعيل عبد الله بن محمد بن علي بن محمد بن أحمد بن علي بن جعفر بن منصور بن متّ الأنصاريُّ الـهَرَوِيُّ. أما نسبته للأنصاري فقد كان من ذرية سيدنا أبي أيوب خالد بن زيد الأنصاري رضي الله عنه صاحب رسول الله صلّى الله تعالى عليه وسلَّم وعلى آله. أما نسبته «الهروي» فهي نسبة إلى مدينة «هراة» التي وُلد بها.

كان يلقب بـ«شيخ الإسلام»، وبـ«خطيب العجم» لفصاحته وعلمه ونبله. وكان رضي الله عنه حافظاً للحديث، بارعاً في اللغة، قطباً محققاً في التصوف، عارفاً بالتاريخ والأنساب.

(1) هذه الترجمة مقتبسة من كتاب شرح منازل السائرين لكل من الدكتور محمد نصار والأستاذ أحمد عبد الحميد وهما اقتبساها بدورهما من كتاب «شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي ـ مبادئه وآراؤه الكلامية والروحية» وهو عبارة عن رسالة دكتوراه في العقيدة والفلسفة للدكتور محمد سعيد عبد المجيد سعيد الأفغاني، وعليها اعتمد عبد الله بن محمد الأنصاري في مقدمة كتابه «ذم الكلام» طبع مكتبة الغرباء الأثرية. وقد ترجم له رضي الله عنه في العديد من المصادر منها: «العبر في خبر من غبر» للذهبي: سنة إحدى وثمانين وأربعمائة (2/ 343)، سير أعلام النبلاء (18/ 305)، تذكرة الحفاظ (3/ 1183)، الأعلام للزركلي (4/ 122)، طبقات المفسرين للإمام السيوطي (1/ 9)، شذرات الذهب (3/ 365)، الذيل على طبقات الحنابلة للسبكي (1/ 64)، نفحات الأنس للعارف الجامي رضي الله عنه (1/ 468 ترجمة 397)، روضات الجنات (5/ 115).

• مولده:

ولد العارف الهروي يوم الجمعة الثاني من شعبان سنة ست وتسعين وثلاثمائة 396 هجرية بقندهار بـ«هراة» الواقعة في إقليم «خراسان» الذي يقع جزء منه اليوم في «أفغانستان»، وجزء في «إيران»، وجزء في الاتحاد السوفيتي ـ قبل تقسيمه ـ وقد كانت «هراة» من نصيب القسم الأول، إذ تقع في الشمال الغربي من أفغانستان قرب حدود الأفغانية الإيرانية.

• الشيوخ الذين سمع منهم:

وسمع من عبد الجبَّار بن محمد الجرَّاحي «جامعَ» أبي عيسى كله أو أكثره، والقاضي أبي منصور محمد بن محمد الأزدي، وأبي الفضل محمد بن أحمد الجارودي الحافظ، وأبي سعيد عبد الرحمان بن أحمد بن محمد السرخسي، خاتمة أصحاب محمد بن إسحاق القرشي، وأبي الفوارس أحمد بن محمد بن أحمد بن الحُويِّص البوشنجي الواعظ، وأبي الطاهر أحمد بن محمد ابن حسن الضبّي، وأحمد بن محمد بن مالك البزَّار ـ لقي أبا بحرٍ البَرْبَهاري ـ وأبي عاصم محمد بن محمد المزيدي، وأحمد بن علي بن مَنْجُويه الأصبهاني الحافظ، وأبي سعيد محمد بن موسى الصيرفي، وعلي بن محمد بن محمد الطِّرازي، وأبي نصر منصور بن الحسين بن محمد المفسر، وأحمد بن محمد بن الحسن السَّليطي، وأبي بكر أحمد بن الحسن الحيري لكنه لم يرو عنه، ومحمد ابن جبرائيل بن ماحي، وأبي منصور أحمد بن محمد ابن العالي، وعمر بن إبراهيم الهروي، وعلي بن أبي طالب، ومحمد بن محمد بن يوسف، والحسين ابن محمد بن علي، ويحيى بن عمَّار بن يحيى الواعظ، ومحمد بن عبد الله بن محمد بن إبراهيم الشيرازي لَقِيَه بنيسابور، وأبي يعقوب القَرّابِ الحافظ إسحاق ابن إبراهيم بن محمد الهروي، وأحمد بن محمد بن إبراهيم الورّاق، وسعيد بن العباس القرشي، وغالب بن علي بن محمد، ومحمد بن المنتصر الباهلي المُعَدَّل، وجعفر بن محمد الفِرْيابي الصغير، ومحمد بن علي بن الحسين الباشاني، صاحب أحمد بن محمد بن ياسين، ومنصور بن رامشٍ ـ قدم علينا في

سنة سبع وأربعمائة ـ وأحمد بن أحمد بن حمْدِين، والحسين بن إسحاق الصائغ، ومحمد بن إبراهيم بن محمد بن يحيى المُزَكِّي، وعلي بن بُشرى الليثي، ومحمد ابن محمد بن يوسف بن يزيد، وأبي صادق إسماعيل بن جعفر، ومحمد بن محمد بن محمود، وعلي بن أحمد بن محمد بن خَمرويه، ومحمد بن الفضل بن محمد بن مُجاشع، ومحمد بن الفضل الطاقي الزاهد، وعدد كثير، ومِنْ أقدم شيخٍ له الجرّاحي، سمع منه في حدود سنة عشر وأربعمائة. ويَنزلُ إلى أن يروي عن أبي بكر البيهقي بالإجازة. وقد سمع من أربعة أو أكثر من أصحاب أبي العباس الأصم.

● الشيوخ الذين حدّثوا عنه:

حدَّث عنه: المُؤتمن الساجي، ومحمد بن طاهر، وعبد الله بن أحمد بن السمرقندي، وعبد الله بن عطاء الإبراهيمي، وعبد الصبور بن عبد السلام الهروي، وأبو الفتح عبد الملك الكَرُوخي، وحنبل بن علي البخاري، وأبو الفضل محمد بن إسماعيل الفامي، وعبد الجليل بن أبي سعد المُعَدّل، وأبو الوقتِ عبد الأوّل السِّجْزي خادِمُه، وآخرون.

وآخر مَن روى عنه بالإجازة أبو الفتح نصرُ بن سيَّار، وبقي إلى سنة نيف وسبعين وخمسمائة.

● من صفاته:

كان رضي الله عنه آية في التذكير والوعظ. عالماً عارفاً، وعابداً زاهداً، ذا أحوال ومقامات وكرامات ومجاهدات، يكتفي باليسير من الدنيا، وإذا اجتمع عنده منها شيء قام بتوزيعه! وكان كثير السهر بالليل، شديد القيام في نصرة السنَّة، والذب عنها، وجرى له بسبب ذلك محن عظيمة. وكان شديد الانتصار والتعظيم لمذهب الإمام أحمد رضي الله عنه، ومن قوله فيه: «مذهبُ أحمد: أحمدُ مَذْهَب».

● **من خصائصه:**

أنه كان إذا حضر المجلس لبس الثياب الفاخرة، وركب الدواب الثمينة، والمراكب المعروفة، وتكلَّف غاية التكليف، ويقول: «**إنما أفعلُ هذا إعزازاً للدين، ورغماً لأعدائه، حتى ينظروا إلى عزِّي وتجملي، فيرغبوا في الإسلام إذا رأوا عزَّه**». ثم إذا انصرف إلى بيته عاد إلى المرقّعة والقعود مع الصوفية في الخانقاه، يأكل معهم ما يأكلون، ويلبسُ ما يلبسون، ولا يتميز في المطعوم والملبوس عن آحادهم. على هذا كان يزجي أيامه، وكل ما نقل عنه من سيرته محمود.

ومن جملة ما أخذه أهل هراة عنه من محاسن سيرته: التبكيرُ بصلاة الصبح، وأداءُ الفرائض في أوائل وقتها، واستعمالُ السّنن والأدب فيها.

ومن ذلك: تسميةُ الأولاد في الأغلب بالعبد، المضاف إلى اسم من أسماء الله تعالى: كعبد الخالق، وعبد الخلاق، وعبد الهادي، وعبد الرشيد، وعبد المجيد، وعبد المعز، وعبد السلام. إلى غير ذلك مما كان يحثّهم ويدعوهم إلى ذلك، فتعوَّدوا الجريَ على تلك السنَّة، وغير ذلك من آثاره.

● **علم الإمام الهروي رضي الله عنه:**

كان الشيخ رحمه الله آية في التفسير، وحفظ الحديث، ومعرفته، ومعرفة اللغة والأدب. وكان يُفَسِّر القرآن في مجلس التذكير.

وذكر الكتبي في تاريخه: أن الشيخ لما رجع من محنته الأولى ابتدأ في تفسير القرآن، ففسره في مجالس التذكير، سنة ست وثلاثين. وفي سنة سبع وثلاثين افتتح القرآن يفسره ثانياً في مجالس التذكير.

قال: وكان الغالب على مجلسه القول في الشرع، إلى أن بلغ إلى قوله عزَّ وجل: ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَشَدُّ حُبًّا لِّلَّهِ﴾ [البَقَرَة: الآية 165]. فافتتح تجريد المجالس في الحقيقة، وأنفق على هذه الآية من عمره مدة مديدة، وبنى عليها مجالس كثيرة. وكذلك قوله تعالى: ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ سَبَقَتۡ لَهُم مِّنَّا ٱلۡحُسۡنَىٰٓ﴾ [الأنبيَاء: الآية 101]،

بنى عليها ثلاثمائة وستين مجلساً. فلما بلغ قوله تعالى: ﴿يَكَادُ سَنَا بَرْقِهِۦ يَذْهَبُ بِٱلْأَبْصَـٰرِ﴾ [النُّور: الآية 43] كُفَّ بَصَرُه سنة ثلاث وسبعين، ولما بلغ إلى قوله عزَّ وجل: ﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ﴾ [السجدة: الآية 17] قال: «في كل اسم من أسماء الله تعالى سر خفي». وأخذَ يُفسِّر خفايا الأسماء حتى بلغ «المميت»، فأُخرج من البلد في الفتنة الأخيرة. فلما عاد سنة ثمانين، عقد المجلس على أمر جديد، ولم يكمل الكلام على الأسماء الحسنى. وأخذ يستعجل في التفسير، ويفسر في مجلس واحد مقدار عشر آيات أو نحوها، يريد أن يختم في حياته، فلم يقدّر له على ذلك وتوفي، وقد انتهى إلى قوله عزَّ وجلَّ: ﴿قُلْ هُوَ نَبَؤٌا۟ عَظِيمٌ ۝٦٧ أَنتُمْ عَنْهُ مُعْرِضُونَ ۝٦٨﴾ [ص: الآيتان 67، 68].

وقال ابن طاهر الحافظ: سمعت شيخنا الأنصاري يقول: «إذا ذكرتُ التفسيرَ فإنما أذكرهُ من مائة وسبعة تفاسير». قال: وجرى يوماً ـ وأنا بين يديه ـ كلامٌ، فقال: «أنا أحفظ اثني عشر ألف حديث أسردها سرداً»، قال: «وقلّ ما ذَكَرَ في مجلسه حديثاً إلا بإسناده، وكان يشير إلى صحته وسقمه».

وحكى الرهاوي عن بعضهم قوله: سمعتُ بعض الأدباء يقول: سئل شيخ الإسلام الأنصاري عن تفسير آية، فأنشد أربعمائة بيت من شعر الجاهلية في كل بيت منها لغة تلك الآية.

ومن فوائده ما نقله ابن طاهر الحافظ قال: سمعت أبا إسماعيل الأنصاري يقول: «كتابُ أبي عيسى الترمذي عندي أفيدُ من كتاب البخاري ومسلم»؛ فقلتُ: لِمَ، قال: «لأن كتاب البخاري ومسلم لا يصل إلى الفائدة منهما إلا من يكون من أهل المعرفة التامة. وهذا كتاب قد شرح أحاديثه وبيَّنها، فَيَصِل إلى فائدته كل أحد من الناس من الفقهاء والمحدِّثين وغيرهم».

قال الرُّهاوي: وقد رأيتُ كرسي شيخ الإسلام قليل المراقي في زاوية من جامع هراة، والناس يتبركون به. والتبرك بآثار العلماء والصالحين جائز خلافاً لمن منعه من المبتدعة المعاندين للكثرة الهائلة من الآثار الواردة في ذلك، مدعين أن ذلك شرك، ﴿مَّا لَهُم بِهِۦ مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِءَابَآئِهِمْ ۚ كَبُرَتْ كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَٰهِهِمْ ۚ إِن يَقُولُونَ إِلَّا كَذِبًا ۝٥﴾ [الكهف: الآية 5].

ثناء الشيوخ والعلماء عليه رضي الله عنه:

أثنى على الإمام الهروي شيوخه وأقرانه، ومن دونه من الفقهاء، والمحدثين والصوفية، والأدباء وغيرهم. حتى قال سعد الزنجاني فيه: «إن الله حفظ به الإسلام، وبابن منده».

وقال الرُّهاوي: سمعتُ بهراة: أن شيخ الإسلام لما أخرج من هراة، ووصل إلى مرو، وأذن له في الرجوع إلى هراة، ووصل إلى مرو الروز، قصده الإمام البغوي الفرَّاء، صاحب التصانيف. فلما حضر عنده قال لشيخ الإسلام: «إن الله قد جمع لك الفضائل، وكانت قد بقيت فضيلة واحدة، فأراد أن يكملها لك، وهي الإخراج من الوطن، أسوة برسول الله ﷺ».

وذكر الحسين بن محمد الكتبي في تاريخه أنه صحح على الإمام ناصر المروزي بنيسابور وسط تلاميذه رواية ذكر فيها أنه رُوي عن سيدنا أبي بكر الصديق رضي الله عنه أنه كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: ﴿رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا﴾ [طه: الآية 114]، فقال العارف الهروي: كان يقرأ في الركعة الثالثة من صلاة المغرب: ﴿رَبَّنَا لَا تُزِغْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا﴾ [آل عِمرَان: الآية 8]، فقال المروزي: صدقتَ ورجع إلى قوله، وحثَّ القوم على إثباته وتعليقه.

واجتمع العارف الهروي بسيدي أبي الحسن الخرقاني رضي الله عنه أحد أكابر المشايخ لا سيما سلسلة النقشبندية الموسومة بالسلسلة الصديقية، وكان سيدي أبو الحسن الخرقاني يحسن الثناء عليه ويلاطفه في المخاطبة.

وذكره أيضاً الإمام عبد الغافر الفارسي في «تاريخ نيسابور»، فقال: لم يرَ أحد من الأئمة في فنه حُلماً ما رآه عياناً من الحِشْمَة الوافرة القاهرة، والرونق الدائم، والاستيلاء على الخاص والعام، في تلك الناحية واتساق أمور المريدين والأتباع والغالين في حقه، والتئام المدارس والأصحاب والخانقاه، ونواب المجالس، إلى غير ذلك مما هو أشهر من أن يحتاج إلى الشرح.

وله رضي الله عنه شعر كثير حَسَنٌ جدّاً. ولأجل هذا ذكره الباخرزي الأديب في كتابه «دمية القصر في شعراء العصر» وله كلام في التصوف والسلوك

دقيق. ومن أجلِّه كتابه «منازل السائرين» الذي شرحه بين يدي القارىء الكريم.

قال أبو سعد السمعاني: «كان مُظهراً للسنَّة، داعياً إليها، مُحرِّضاً عليها، وكان مكتفياً بما يباسط به المريدين، ما كان يأخذ من الظَلَمة شيئاً، وما كان يتعدى إطلاق ما ورد في الظواهر من الكتاب والسنَّة، معتقداً ما صحَّ، وغير مصرِّح بما يقتضيه تشبيه أو تجسيم، ومن قوله رضي الله عنه: «مَن لم ير مجلسي وتذكيري فطعن فيَّ، فهو مني في حِلّ».

وذكر ابن طاهر الحافظ في كتابه المذكور قال: «سمعت الإمام عبد الله بن محمد الأنصاري يُنشد على المنبر في يوم مجلسه بهراة:

أنا حنبليٌّ ما حييتُ وإن أمت   فَوَصِيتي للناس أن يَتَحَنْبَلُوا

قال أبو طاهر: «وسمعته بهراة: عرضت على السيف خمس مرات، لا يقال لي: ارجع عن مذهبك. ولكن يقال لي: اسكت عمن خالفك. فأقول: لا أسكت.

وكان الشيخ رحمه الله مقبولاً عند العامَّة والخاصَّة، ولذلك كان محسوداً من كثيرين، وقد سعوا بدمه مراراً ـ على ما نقله الذهبي ـ ولم يتمكنوا، بل صار ذلك سبب إقبال الناس إليه.

ومما حكاه الذهبي في ذلك: لما قدم السلطان ألب أرسلان هراة في بعض قدماته اجتمع مشايخ البلد ورؤساؤه ودخلوا على أبي إسماعيل وسلموا عليه وقالوا: ورد السلطان ونحن على عزم أن نخرج ونسلم عليه، فأحببنا أن نبدأ بالسلام عليك. وكانوا قد تواطؤوا على أن حملوا معهم صنماً من نحاس صغيراً وجعلوه في المحراب تحت سجادة الشيخ وخرجوا. وقام الشيخ إلى خلوته ودخلوا على السلطان واستغاثوا من الأنصاري وأنه مجسم وأنه يترك في محرابه صنماً يزعم أن الله تعالى على صورته وإن بعث السلطان الآن يجده، فعظم ذلك على السلطان وبعث غلاماً وجماعة فدخلوا وقصدوا المحراب فأخذوا الصنم فألقى الغلام الصنم فبعث السلطان من أحضر الأنصاري فأتى فرأى الصنم والعلماء وقد اشتد غضب السلطان فقال له السلطان: ما هذا؟ قال: صنم يعمل

من الصفر شبه اللعبة، قال: لست عن ذا أسألك، قال: فعم يسألني السلطان؟ قال: إن هؤلاء يزعمون أنك تعبد هذا وأنك تقول إن الله على صورته، فقال شيخ الإسلام بصولة وصوت جهوري: ﴿سُبْحَانَكَ هَٰذَا بُهْتَانٌ عَظِيمٌ﴾ [النور: الآية 16]، فوقع في قلب السلطان أنهم كذبوا عليه فأمر به فأخرج إلى داره مكرماً وقال لهم: أصدقوني، وهددهم، فقالوا: نحن في يد هذا في بلية من استيلائه علينا بالعامة فأردنا أن نقطع شره عنا، فأمر بهم ووكل بهم وصادرهم وأخذ منهم وأهانهم.

• مؤلفاته رضي الله عنه:

ألّف الشيخ في التفسير والحديث والتصوُّف والعقيدة والتراجم، وغير ذلك، ومن مؤلفاته:

كتاب «الأربعين في دلائل التوحيد» طبع، وكتاب «الأربعين في السنَّة»، وكتاب «الفاروق في الصفات»، وكتاب «ذم الكلام وأهله» طبع، وكتاب «مناقب الإمام أحمد»، وكتاب «الرسالة». قيل إنه مؤلَّف يبحث في إسناد الموجودات إلى الخالق سبحانه وتعالى، وكتاب «علل المقامات» وهو رسالة صغيرة في التصوُّف، أملاها الشيخ رضي الله عنه في أواخر حياته، وقد طُبعت في دمشق سنة 1956، و«تفسير القرآن الكريم» باسم «كشف الأسرار وعدة الأبرار»، وقد ذكر في بعض المراجع باسم «تفسير الإمام الهروي»، ألّفه الشيخ رضي الله عنه باللغة الفارسية، وطُبع في إيران، وكتاب «طبقات الصوفية» وهو كتاب باللغة الفارسية، أملاه شيخ الإسلام على تلاميذه أثناء شرحه لكتاب «طبقات الصوفية» لأبي عبد الرحمٰن السلمي رضي الله عنه المتوفى سنة 412، طُبع في «كابل» عام 1962 م، وقد جمع الشيخ العارف عبد الرحمٰن الجامي رضي الله عنه كتاب الشيخ الهروي، ورتَّبه، وزاد عليه، في كتاب بالفارسية سماه «نفحات الأنس» وعرّبه مولانا تاج الدين العثماني الهندي النقشبندي المتوفى سنة 1050، وهذا الأخير مطبوع عدة طبعات آخرها بالعلمية ببيروت بتحقيق محمد أديب الجادر، وكتاب «خلاصة في شرح حديث: كل بدعة ضلالة»، وكتاب «باب في الفتوة»،

منه نسخة مصورة منه في معهد المخطوطات التابع لجامعة الدول العربية، برقم (95)، وكتاب «المختصر في آداب الصوفية والسالكين لطريق الحق» وهو رسالة ألّفها الشيخ رضي الله عنه باللغة الفارسية، وقد تُرجمت إلى اللغة العربية، وطبعت في مصر سنة 1960م. وكتاب «شرح التعرُّف لمذهب التصوُّف» شرح فيه الشيخ رضي الله عنه كتاب «شرح التعرُّف لمذهب التصوُّف» للإمام محمد بن إبراهيم البخاري الكلاباذي رضي الله عنه، المتوفى سنة 380 هجرية، وغير ذلك كثير.

- **وفاته رضي الله عنه:**

تُوفي الشيخ رضي الله عنه يوم الجمعة بعد العصر ثاني عشرين ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة. ودُفن يوم السبت في (كَازِيَارِكَاه) قرية قرب هراة. وكان يوماً كثير المطر، شديد الوحل. وقد كان الشيخ يقول في حياته: «إن استأثر الله بي في الصيف فلا بد من نطع مخافة المطر»؛ فصدّق اللهُ ظنه في ذلك.

وقال أبو نصر الفامي: توفي أبو إسماعيل في ذي الحجة سنة إحدى وثمانين وأربعمائة وقد جاوز أربعاً وثمانين سنة.

كتاب
منازل السائرين

للشيخ الفاضل معدن الفضائل
شيخ الإسلام
عبد اللّه الهروي
[قدِّس سرُّه]

صفحة للمخطوط

صفحة للمخطوط

صفحة للمخطوط

بسم الله الرحمن الرحيم

منازل السائرين

بسم الله ....

بسم الله الرحمن الرحيم

([1 ـ] مقدِّمة

الحمد لله ولي النعم والإحسان، ومُولي التوفيق والإيمان، الذي جعل منازل السائرين طريقاً موصلة إلى الجنان، مبعدة عن الجحيم والنيران، وأشهد أن لا إلٰه إلا الله الحنَّان المنَّان، وأن محمداً عبده ورسوله سيد ولد عدنان، [صلى الله عليه وآله وصحبه وتابعيهم بإحسان].

وبعد، فهذا إملاء وجيز صغير الحجم غزير العلم على كتاب منازل السائرين، تأليف شيخ الإسلام تاج العارفين الفخام أبي إسماعيل الهروي الإمام في التفسير والحديث والتصوُّف والعربية والتاريخ والأنساب وغير ذلك، المجمع على [جلالته]، وإمامته، وسلامة عقيدته، وحسن طريقته، يُبيَّن مرادَه ويُتمَّم مفادَه، والله المسؤول أن ينعم [علينا] بالقبول آمين.

قال المؤلف رحمه الله:

(بسم الله) قال بعض العارفين: لما كانت الأسماء الإلٰهية سبب وجود العالم المؤثرةَ فيه كانت البسملةُ خيرَ ابتداء، وهو ابتداءُ العالم وظهوره، فكأنه

بسم الله الحمد لله. . . . .

يقول: (**بسم الله الرحمٰن الرحيم**) ظهر العالم من العدم، واختُصَّت الأسماء الثلاثة لأن الحقائق تعطي ذلك، فالله هو الاسم الجامع لجميع الأسماء، والرحمٰن صفة عامَّة، فهو رحمٰن الدنيا والآخرة لأنه رَحِمَ كلَّ شيء من العالم في الدنيا، والرحمة في الآخرة مختصة بقبضة السعادة.

وكل حرف من (بسم الله) مثلثٌ على طبقات العوالم، فاسم «**الباء**» باء وألف وهمزة، و«**السين**» سين وياء ونون، و«**الميم**» ميم وياء وميم، و«**الياء**» كالباء، وهي حقيقة العبد في باب النداء، فما أشرف هذا الوجود كيف انحصر في عابد ومعبود، فهذا شرف مطلق لا يقابله ضد، لأن ما سوى وجود الحق تعالى ووجود العبد عدم محض.

والتنوين في (اسم) لتحقيق العبودية، فلما ظهر منه التنوين اصطفاه الحق المبين بإضافة التشريف والتمكين، فقال: (**بسم الله**) بحذف التنوين العبدي، لإضافته إلى المنزل الإلٰهي.

(**الحمد**) هو إظهار صفات المحمود، إذ لا كمال إلا للحق سبحانه جمعاً أو فرقاً لجنس الحمد، أي حقيقته المطلقة الشاملة كلِ حامِدِيةٍ ومَحْمودِية، إذا لوحظ الحمد بعين الجمع واستهلاكِ المظاهر في الظاهر.

أو كل فرد منه إذا لوحظ بعين التفرقة، واستتار الظاهر بالمظاهر.

أو جنس الحمد وكل فردٍ منه معاً إذا لوحظ بعين جمع الجمع خالص (**لله**) أي للذات المطلقة المجردة عن جميع النسب والإضافات، حتى عن نسبة الإطلاق والتجرد أيضاً، فهو الحامدُ في كل مرتبة، والمحمودُ بكل فضيلة ومنقبة، لا حامد سواه ولا يحمد أحدٌ إلا إياه؛ فعُلِمَ أنه لا يقع حمدٌ مطلقٌ من حامدٍ إلا لفظاً، وإذا أضيفَ إلى الاسم الجامع «الله» فلا يكون ذلك إلا من حيث حضرة خاصة من حضرات الأسماء، يدل عليها حالُ الحامد ويقيده بها، ولما كان حال الشيخ في هذا المقام يقيد حمدَه بالتوحيد، كان بصدد الإتيان في براعة

الواحد الأحد القيُّوم..............................

الاستهلال بما يرمز إلى بيان أن الكتاب مُؤَلَّفٌ في علم التوحيد فأردف الاسم «الله» بقوله:

(الواحد) وجعله وصفاً له تصريحاً بما يشير إليه حاله، وإفصاحاً بما يؤول إليه مقاله؛ والواحد: المنزَّه عن الشريك.

(الأحد) الذي وحدانيته لا باعتبار مضايف له بل لذاته من ذاته، وفي ذلك رَفع لتوهم العدد، فإن الواحد العددي يقبل الثاني المماثل، والحقُ منزَّهٌ عن ذلك، فبقوله «**الأحد**» عُلِمَ أنه ليس المراد واحدَ العدد؛ بل واحدية تصحبها الأحدية المنزَّهة عن كل ثنوية وانقسام باعتبارات كل النزاهات، ونزاهات كل الاعتبارات، فالواحدية(1) ذات الفرق، والأحدية(2) ذات الجمع.

ولما كانت نزاهة الواحدية والأحدية لا تنافي إقامة الأشياء بأمره أردفه بقوله:

(القيُّوم)(3) الذي قام به كل ما سواه، وأكثر ما يقع تعرّفُ الحق سبحانه وتعالى في الابتداء لأهل السلوك والترقي من الاسم «القيوم»؛ لأن مبدأ تعرف الاسم «الظاهر» من القيومية في مبادئه، فإن حصل التعرف بقيوميته تعالى في

---

(1) **الواحدية**: اعتبار الذات من حيث انتشاء الأسماء عنها، ومن حيث اتحادها فيها، فكان اسم الذات واحداً اسماً ثبوتياً لا سلبياً، لكون الواحدية مبدأ انتشاء الأسماء عن الذات، إذ كانت الأسماء نسباً متفرقة عن ذات واحدة بالحقيقة، وإلى هذه الواحدية تستند المعرفة، وإليها يتوجه الطلب لثبوت الاعتبارات الغير المتناهية لها مع اندراجها فيها في أول رتب الذات.

(2) **الأحدية**: هي اعتبار الذات من حيث لا نسبة بينها وبين شيء أصلاً ولا شيء إلى الذات نسبة أصلاً، ولهذا الاعتبار المسمى بالأحدية تقتضي الذات الغنى عن العالمين، لأنها من هذه الحيثية لا نسبة بينها وبين شيء أصلاً. ومن هذا الوجه المسمى بالأحدية يقتضي أن لا تُدرَك الذاتُ ولا يحاط بها بوجه من الوجوه لسقوط الاعتبارات عنها بالكلية. وهذا هو الاعتبار الذي به تسمى الذات أحداً كما عرفت، ومتعلقه بطون الذات وإطلاقها وأزليتها.

(3) جاء بالهامش على يمين هذه الفقرة عبارة [مطلب عجيب فتأمله فإنه بديع].

الصمد اللطيفِ. . . . .

الأفعال كان شهود المترقي بأن يرى كلّ فعل هو فعل الله، فيظهر الاسم القيوم من طور أفعال الموجودات.

فأول ما يغلب على المشاهد أن يرى أن الفعل للفاعل، لكن بقوة الله، فيجعل القوة لله والفعل للعبد؛ فإذا ظهر له بالتجلي مزيدُ شهودٍ رأى أن الفعلَ لله لكن بواسطة العبد؛ فإذا خلُص له شهودُ الفعل رأى أن الفعل لله وحده، وحينئذ يرى حال العبادة أنه ليس الفاعل، فيسقط عن قلبه التمسكَ بالأعمال الصالحة التي كان يعدها ذخراً في الآخرة.

(**الصمد**)[1] الذي يُصمد إليه في الحوائج، أي يُقصدُ لافتقار الكل إليه فهو وصف له باعتبار العدم الذاتي للممكنات بدونه الموجب لاحتياج الكل إليه ومن ثمَّ قيل: الصمد الذي لا جوف له فإن الممكن ليس إلا صورة في العلم ونقشاً خيالياً لا معنى له وحقيقة إلا به فهو الأجوف الذي لولا صمديته له وظهوره بصورته لم يكن شيئاً مذكوراً ﴿أَوَلَا يَذْكُرُ ٱلْإِنسَٰنُ أَنَّا خَلَقْنَٰهُ مِن قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْـًٔا﴾ [مريم: الآية 67].

(**اللطيفِ**) الذي يوصل اللطائفَ إلى عباده، وهي نِعَمُهُ الظاهرةُ والباطنة، أو الخفي الباطن للطافته من قوله تعالى: ﴿لَّا تُدْرِكُهُ ٱلْأَبْصَٰرُ وَهُوَ يُدْرِكُ ٱلْأَبْصَٰرَ وَهُوَ ٱللَّطِيفُ ٱلْخَبِيرُ﴾ [الأنعام: الآية 103]، و«اللطيف» يلحق الاسم «الخالق» و«المصور» و«الهادي».

أما إلحاقه للخالق فَلِلُطف مدارِج الخالقية في إعطاء وجود المكوَّنات من المعدن والنبات وسائر أنواع الحيوانات، في ظلمات الأرض وأصول الأشجار وبطون البحار، فإن مدارج التكوين لطيفة.

وأما إلحاقه «للمصور» فلأن من فعل «الخالق» تخليقَ المادة أي تقديرها،

---

(1) وجاء في نسخة: (الصمد) الذي يصمد إليه في الحوائج، أي يقصد فيظهر فيه معنى المغني والمحسن، أو الذي لا جوف له، أي هو المنزَّه عن كل شيء.

القريب، . . . .

وبعده يكون التصوير. ومعنوية الاسم اللطيف في التصوير: العصمة اللازمة من الغلط فيه، فإن اللطف التأني والرفق، وبهما تقع العصمة في التصوير.

وأما إلحاقه للاسم «الهادي» فلأن الهادي يهدى بحقيقة اللطف، للطف مدارج الهداية، فاشهدْ معنى «اللطيف» في كل ما تستلطفه، مِن استنشاق النسيم إذا هب، وارتشاف الماء العذب، وإدراك الملائم من الأغذية والأشكال، واستخراج ما في الضمير من السر المصون، وانفعال الأسماع من لطف ما يلائم من السماع، وتنعم الأرواح بنحو الرياحين، ولذة اللمس، والذوق، وسريان نشوة المحبة، والشوق، وما وعد به من النعيم المقيم، من مواهب الجواد الرحيم.

كل ذلك من الاسم «اللطيف» الذي هو لمعاني الرحمة مُطيف[1]، وذكره ينفع في الخلوة كثيفَ الطبع.

وأهل المشاهدة يقوى به شهودُ مَن منهم يضعفُ

(القريب) من كل شيء، بقرب لا يضاده بُعد، فقربه تعالى ليس كقرب الشيء من الشيء، بل هو عند علماء الرسوم: «إحاطة علمه بكل شيء»؛ وعند القوم: أنه يصير سمع الشاهد، فبه يسمع، وبه يبصر، كما ورد في الحديث القدسي[2].

وفيما ذكره من الصفات براعة استهلال، وهو كون الابتداء مناسباً

---

(1) أطاف بهذا الأمر أي أحاط به فهو مُطيف (العين للفراهيدي).

(2) ونص الحديث كما رواه البخاري في صحيحه باب التواضع، حديث رقم (6137): عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «**إن الله قال: من عادى لي ولياً فقد آذنته بالحرب وما تقرّب إليَّ عبدي بشيء أحب إليَّ مما افترضت عليه وما يزال عبدي يتقرّب إليّ بالنوافل حتى أحبه فإذا أحببته كنت سمعه الذي يسمع به وبصره الذي يبصر به ويده التي يبطش بها ورجله التي يمشي بها وإن سألني لأعطينه ولئن استعاذني لأعيذنه، وما ترددت عن شيء أنا فاعله ترددي عن نفس المؤمن يكره الموت وأنا أكره مساءته**».

الذي أمطَرَ سرائر كرائم الكلم من غمائم الحكم، أمطر وألاحَ لهم لوائحَ القِدمِ في صفائح، وفي نسخة صفحات العدمِ، . . . .

للمقصود، وهو هنا معرفة وحدانية الله تعالى، واتصافه بالصفات الجمالية والجلالية، وكيفية السلوك إليه بها.

ثم أردفه بذكر ثمرة اللطف والقرب فقال:

(الذي أمطَرَ سرائر العارفين كرائمَ الكَلِم من غمائِم الحِكَم) أي أمطر على سرائر العارفين، فنزع الخافض وأوقع الفعل عليه بنفسه كقوله تعالى ﴿واختار موسى قومه﴾ و**(كرائم الكلم)** وهي المعارف والحقائق من الأسرار الإلٰهية المختصة بسرائرهم أي قلوبهم الصافية البالغة مبلغ الأرواح في الترقي ولذلك خصها بالعارفين، وسماها «**كرائم**» لأنها من الحكمة، والحكمة أعلى مناصب المعارف بعد النبوة، وكذلك جاء في الخبر عن سيد البشر فيما رواه الخطيب عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**كاد الحكيم أن يكون نبياً**»(1)، وروي أيضاً عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً: «**الحكيم رشيد في الدنيا رشيد في الآخرة**»(2) وإسنادهما ضعيف (من غمائم الحكم) أي خزائن الأسماء الإلٰهية المتوسطة بين سماء الذات الأحدية وأرض الاستعدادات البشرية. .

واستعار (أمطر) إعلاماً بأنها وهبية لا كسبية، وسماها «كَلِماً» إيذاناً بأن لفظها أيضاً غيرُ مكتسب، فتلقي اللفظ والمعنى معاً من الغيب هو التنزُّل الصحيح، لا ما حصل معناه بفكر.

(وألاحَ لهم لوائحَ القِدمِ في صفائح، وفي نسخة صفحات العدمِ) أي أشرق على قلوبهم أنوار القدم وهي سبحات وجهه الحالة بالتجلي الذاتي الأقدم في حقائق الأعيان الثابتة في القدم شبَّه أعيان العارفين قبل وجودها في عالم الشهادة المنتقشة بالمعارف الكامنة في عين الذات المتجلية بصورها في أم الكتاب

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (1918) وقال: رواه الخطيب بسند ضعيف والديلمي عن أنس رضي الله عنه مرفوعاً. [2/ 140].
(2) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

ودلَّهم على أقرب السُبُل إلى المَنهج الأول، . . . .

بالصفائح. وقيل: المعنى كشف لهم أنوار عزّته في صفحات العدم، أي وهم معدومون عن وجود أجسامهم، لما يستولي عليهم من سلطان قهر الوحدانية التي تنفي الأغيار، أو أشهدهم الآن جلال قدم مكوِّن المكان في حال عدم الأكوان، وهذه الإلاحة تريهم رقائق ما انتهت إليه حقائق الكون في القدم من لدنه قبل ظهور الوجود والعدم، فيرجع العودُ على بَدْئه، فيذهب كون العبد في «**كان الحق كما كان**»[1].

(**ودلَّهم على أقرب السُبُل إلى المَنهج الأول**) أي هداهم ـ بالتعريف لهم ـ إلى أقرب الطرق إليه منهم، بذهابهم فيه عنهم، بأن أوقفهم على كيفية فناء حدودهم ورسومهم حدّاً بعد حدٍّ، ورسماً بعد رسم ذاهبين إلى حضرة المحو[2]. و(المنهج الأول) حركة الإيجاد، إذ التحليل يدل على التركيب وهو الإيجاد، أو

(1) هذه الجملة هي من كلام العارفين بالله تعالى أضافوها على قوله ﷺ: «**كان الله ولم يكن شيء غيره**». رواه البخاري في صحيحه، كتاب بدء الخلق، حديث رقم (3019) [3/1166] ورواه غيره.

(2) **المحو**: رفع أوصاف العادة، ويقابله الإثبات الذي هو إقامة أحكام العادة.

محو أرباب الظواهر: هو أن تمحو عن نفسك ما قد اعتدته من الخِلال الذميمة، ثم تستعيض عنها بالخصال الحميدة، فإن فعلت ذلك فأنت صاحب المحو والإثبات، الذي يقتصر عليه نظر أهل الظواهر.

محو أرباب السرائر: هو إزالة العلل والآفات، ويقابله الإثبات الذي هو إثبات الموصلات، وإنما سمي هذا المحو بمحو أرباب السرائر، لأن العلل متى زالت عن السرائر كان في محوها إثبات الموصلات، كما كان في محو الذات عن الظواهر إثبات المعاملات، وهذان المحوان وما يقابلهما من الإثبات محو وإثبات بشرط العبودية، وفي ذلك محو رسوم الأعمال لفناء العبد عن نفسه فضلاً عما منه، ولا إثبات الحق له بما أنشأه له من الوجود به. فهو بالحق لا بنفسه لإثبات الحق له، مستأنفاً بعد أن محاه عن أوصافه.

قال ابن عطاء: يمحو أوصافهم، ويثبت أسرارهم.

أي: يمحو الجهر ويثبت السر، الذي هو حصة العبد من وجود الحق، كما عرفت ذلك في باب السر، فذلك هو محو أرباب السرائر.

محو الجمع: عبارة عن فناء الكثرة في الوحدة.

وردَّهم من تفرُّق العلل إلى عين الأزل، وبثَّ فيهم ذخائره، وأودعهم أسراره،

هو إشارة إلى حيث كانوا موجودين بالخلق قبل خَلْقِ الخلق، ويوضحه قوله:

(**وردَّهم من تفرُّق العلل إلى عين الأزل**) أي ردهم القَهْقرى بشهود نقض التركيب بالتحليل رسماً بعد رسم حتى تنتهي إلى مبدإٍ ما وراءه إلا الأزلُ، وتلك التراكيب هي العلل، والأمراض المفرِّقة لعقول المحجوبين؛ فتعمى عن ملاحظة القرب، فإذا وقف العارف على حقيقتها، وكيفية تحليلها ـ حين يكشفها نور التجلي، وشاهد رجوع النهاية إلى مبدئها ـ زال عنه التفرق بالعلل، فيرجع إلى عين الأزل، حيث يكون الثبوتُ للحق، والمحوُّ لِما سواه، وهو رجوع بالعرفان لا بالأعيان.

(**وبثَّ فيهم ذخائره**) أي أوجد* فيهم حقائق العرفان الدالة على كنوز ذخائره التي ادخرها لهم وسترها عن غيرهم، فرأواها أسراراً لا تُكشف لغيرهم، فلذلك قال: (**وأودعهم أسراره**) أي لما كشف لهم عن أسراره وبثها فيهم إئتمنهم عليها وجعلها ودائع عندهم فهم أمناء الله على أسراره وحملة علمه فلا يجوز لهم كشفها إلا لأهلها، قال ﷺ: «**العُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الله على خَلْقِهِ**»[1] رواه العقيلي والقضاعي وغيرهما. وقال: «**العُلَمَاءُ أُمَنَاءُ الرُّسُلِ مَا لَمْ يُخَالِطُوا السُّلْطانَ ويُدَاخِلُوا الدُّنيا**»[2] رواه الديلمي وغيره، والمراد: العلماء بالله كما قاله حجة الإسلام. وجاء في حديث عند الحكيم الترمذي: «**إن الله جعل للأنبياء سراً لو**

المحو الحقيقي: يعني به رؤية الأشياء بعين أحدية الجمع الماحية للأغيار والغيرية، لانتفاء التفرقة والمعاندة بين الذات، وبين جميع شؤونها في المرتبة الأولى التي هي مرتبة أحدية الجمع.

* وفي نسخة [نشر] بدل [أوجد].

(1) رواه الشهاب القضاعي في المسند (78 العلماء أمناء الله على خلقه) حديث رقم (115) [1/ 100] وأورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (1749) [2/ 84] وقال: رواه القضاعي وابن عساكر عن أنس ورواه العقيلي في الضعفاء، وقال العامري حسن.

(2) رواه الديلمي في الفردوس عن أنس وحذيفة، حديث رقم (4210) [3/ 75] وأورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (1748) [2/ 84].

وأشـهـد أن لا إلٰـه إلا الله وحـده لا شـريـك لـه الأول الآخـر الـظـاهـر الـبـاطـن

أفشوه لفسدت نبوّتهم، وللعلماء سرّاً لو أفشوه لفسد علمهم»[1] فلذلك كانوا أمناء على تلك الأسرار المودعة فيهم.

والبثُّ والإيجادُ والخلق والإذاعة والنشر والذخائر جمع ذخيرة بذال معجمة ما أُذخِر أي اختِير وحفظ، والتوديع أن يجعل الشيء في صوّان يصونه، والسر لطيفة مودعة في القلب كالروح في البدن وهو ألطف من الروح وهو محل المشاهدة. وقال ابن عربي: السر يطلق لمعانٍ فيقال سر العلم بآزاءِ حقيقة العالم به، وسرّ الحال بإزاء معرفة مراد الله فيه، وسر الحقيقة بإزاء ما تقع به الإشارة، وأوله إفراط الوجد

(وأشهد) أي أعلم وأبين **(أن لا إلٰه)** أي لا معبود في الوجود بحق **(إلا الله)** **(وحده)** وحدة تأكيد لتوحيد الذات **(لا شريك)** أي مشارك **(له)** تأكيد لتوحيد الأفعال، رد على بعض فرق الضلال، وهذه الشهادة منه شهادة عيان كما يدل عليه قرنها بقوله: **(الأول الآخر الظاهر الباطن)** جاء بها عرية عن العطف إشارة إلى عدم التفرقة بينها في العيان، وهذه الأربعة مهيمنة على جميع الصفات لإحاطتها بها، وعلى مراتب سائر الأفعال، إذ العِلْم الأول والتقدير وما في الكتاب واللوح يتعلق بالاسم «الأول». وما بعد فناء الخلق، وظهور حكم الوحدانية بعد مصيرهم إليه مستندٌ إلى «الآخر».

وأما ما بينهما فما ظهر فللاسم «الظاهر»، وما بطن «للباطن»، فمن شهد بالوحدانية في هذه المواطن الأربعة فشهادته عن عيان، ومن صَدَّق ذلك بقلبه فشهادته شهادة إيمان. فإن أقر بذلك بلسانه فشهادة إسلام، فإن كان يراه فشهادة مقام إحسان، ومن لاحت له بوارق ذلك الإحسان فقط فشهادته شهادة مقام السكينة، والكشف فوق ذلك كله، وشهادة أولي العلم بالله، ثم شهادة الملائكة،

---

(1) هذا الأثر لم أجده فيما لدي من مصادر ومراجع.

الذي مدَّ ظِلَّ التكوينِ على الخليقة، ثم جعل شمسَ التمكين لصفوته عليه دليلاً، ثم قبض ظل التفرقة عنهم إليه قبضاً يسيراً، ثم جعل شمسَ التمكين

وشهادته تعالى لنفسه محيطة بالكل.

(الذي مدَّ ظِلَّ التكوينِ على الخليقة) استعار للتكوين الظلَ إعلاماً بأن المكوَّنات بمنزلة الظلال في عدم استقلالها بأنفسها، إذ لا يتحرك ظل إلا بحركة صاحبه، وبيَّن بقوله: «مداً طويلاً» أنه تعالى يخلق ما لا يتناهى لسعة قدرته.

وحقيقة الظل عدَمُ الشمس في بقعة لساتر فيرجع إلى لا شيء ولا يتعين بنفسه بل بالشمس، فكذا التكوين إنما يتعين بالمكوِّن تعالى، فلذلك قال:

(ثم جعل شمسَ التمكين) وهي التوحيد الجامع بنوره قلوب الصفوة عن التفرُّق في شِعاب ظل التكوين **(لصفوته)** من خلقه **(عليه دليلاً)**؛ إذ لكثرة تفرقته احتجنا فيه إلى دليل؛ وأشار بلفظ الصفوة إلى الصفاء من كدر الأغيار.

(ثم قبض ظل التفرقة عنهم إليه قبضاً يسيراً) أي قبض الوجود الإضافي الخيالي الموجب للتفرقة بظهور الكثرة عنهم وعن شهودهم إلى ذاته بإسقاط الإضافات قبضاً سهلاً عليه تعالى أو قبضاً يسيراً لقلّة قدر الإضافات وارتفاع التخيُّل والحسبان في مقام الفناء أو قبضاً قليلاً لاضمحلال الخلقية في عين الحق عند رؤية الخلق مع الحق بل الحق في مقام البقاء بعد الفناء بحيث لا يحتجب الحق بهم لانعدامهم بذواتهم وكونهم صور أسمائه وصفاته وهذا مأخوذ من قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفرقان: الآية 45]، أخذه عنهم إليه أخذاً سهلاً، وفي نسخ: «التلوين» باللام، وهو انتقالهم من حال آخر، ما بين تقابل القبول والرد، والإقبال والصد، فالتلوين اختلاف الأحوال، وهو لأهل القلوب، لأنهم تحت حُجُب القلوب، وللقلوب تخلص إلى الصفات، وللصفات تعدُّد بتعدُّد الجهات، فظهر لأهلها بتعدُّد الصفات تلوينات.

وأشار بقوله: «مداً طويلاً» إلى كثرة اختلاف الأحوال لكثرة الأسماء والصفات، **(ثم جعل شمسَ التمكين)** سطوع نور الذات، أي جَعَلَ هذه الشمسَ التي لا تنكسفُ **(دليلاً لصفوته)** على هذا الظل، بأن أشهدهم كيف يعود الظل

دليلاً لصفوته، وأشهد أن محمداً عبده ورسوله وصلاته وسلامه على صفيه الذي أقسَمَ به في أداء حقه.

وبعد، فإن جماعة من الراغبين، جمع راغب، والرغبة إرادة الشيء والحرص عليه في الوقوف على منازل السائرين إلى الحق عزَّ اسمه من الفقراء من أهل هراة والغرباء، طال عليَّ مسألتُهم زماناً أن أبينَ لهم في معرفتها بياناً يكون على معالمها عنواناً، . . . .

إليه، فما ثبت في الكون إلا ما هو الحق عليه.

(وأشهد أن محمداً) اسم مفعول من التحميد وهو المبالغة في الحمد، سمي به لكثرة خصاله الحميدة **(عبده)** قدَّمه لأن وصف العبودية أشرف الأوصاف **(ورسوله)** إلى كافة الثقلين، أو والملائكة، وفي نسخة بدل هذا **(وصلاته وسلامه على صفيه)** من خلقه خاصة الكمال والخير التام عليه وتبرئته وتطهيره على النقائص كلها لصفاء فطرته وسريرته. وأصل الرسول مَن يبلِّغ أخبار مَن بعثه لمقصوده، سمي به النبي المرسل لتتابع الوحي عليه أو هو فعول بمعنى مفعول **(الذي أقسَمَ به في أداء حقه)** أي بنفسه تعالى في أداء حق نبيِّه فقال: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ﴾ [النِّساء: الآية 65]، أو أقسم بنبيه أن يرضيَه، وقد ورد: «**لا يرضى محمد وواحد من أمته في النار**»*. والقَسَم بالتحريك اليمين، والأداء إيتاء الشيء.

(وبعد) أي وبعد ما ذكر من الحمد والصلاة، وما ذكر معهما؛ **(فإن جماعة من الراغبين، جمع راغب. والرغبة إرادة الشيء والحرص عليه في الوقوف على منازل السائرين إلى الحق عزَّ اسمه من الفقراء من أهل هراة**[1] **والغرباء طال عليَّ مسألتُهم)** إيايَ **(زماناً)** وهي مدة قابلة للقسمة يطلق على القليل والكثير، والمراد هنا مدة طويلة **(أن أبينَ لهم في معرفتها بياناً يكون على معالمها عنواناً)** أي دليلاً يظهرها وكلما استدللت بشيء يظهر عني غيره فهو عنوان له.

---

* رواه الديلمي في الفردوس عن ابن عباس برقم (7179) [4/ 406].
(1) اسم مدينة سيبيِّنها المصنِّف لاحقاً.

فأجبتهم لذلك بعد استخارتي الله واستعانتي به، وسألوني أن أُرتِّبها لهم ترتيباً يشير إلى تواليها، ويدلُّ على الفروع التي تليها، وأن أُخليَه من كلام غيري، وأختصره ليكون ألطف في اللفظ وأخفُّ للحفظ، وإنِّي خفت إن أخذتُ في نحو قول أبي بكر الكتاني: «إنَّ بين العبد وبين الحقِّ ألف مقام. . . . .

«المنازلة»: تنزل من اثنين كل واحد يطلب الآخر لينزل عليه أو به، فيجتمعان في الطريق في محل معين، وذلك المحل هو «المنزل»، ونزول السالك صعود، وإنما سمي «نزولاً» لكونه يطلب بذلك الصعود النزول بالحق، وهراة إحدى مدن خراسان المشهورة ينسب إليها خلق كثير من العلماء.

(**فأجبتهم**) من الإجابة وهي موافقة المسألة فيما طلب بها لوقوعها على تلك الصفة (**لذلك بعد استخارتي الله واستعانتي به**) قدم ذكر الاستخارة في قصده إلى الفعل لأن القصد أصل، وعطف عليه بالاستعانة على أخذه في الفرع إذ الفعل فرع، والاستخارة طلب خير الأمرين.

(**وسألوني أن أُرتِّبها**) من الترتيب، وهو لغة جعل كل شيء في مرتبته، وعرفاً جعل الأشياء الكثيرة بحيث يطلق عليها اسم الواحد ويكون لبعض أجزائه نسبة إلى بعض بالتقدم والتأخر (**لهم ترتيباً يشير إلى تواليها**) أي إلى ترتيبها على الولاء (**ويدلُّ على الفروع التي تليها**) فإنها أمهات وأصول تحتوي على جزئياتها وفروعها بالتقسيمات والتفاصيل المذكورة فيها (**وأن أُخليَه من كلام غيري، وأختصره**) من الاختصار وهو إقلال اللفظ وإكثار المعنى أو رد الكثير إلى القليل أي أقلل ألفاظه وأكثر معانيه (**ليكون ألطف في اللفظ وأخفُّ للحفظ**) أي أسهل على من يريد حفظ مختصر في التصوف عن ظهر قلب والحفظ تأكد المعقول واستحكامه في العقل.

(**وإنِّي خفت إن أخذتُ**) أي شرعت (**في نحو قول**) الإمام المبجل شيخ الصوفية في عصره (**أبي بكر الكتاني**) نسبة إلى الكتان لبيع أو غيره («**إنَّ بين العبد**) يعني الإنسان فإنه عبد الله (**وبين الحقِّ ألف مقام**)، وجْهُ جعلها ألفاً: أنه لما كان الألف من الجمع بين التمام في المراتب، والكمال في العقد؛ جعل

من نورٍ وظلمةٍ، طوَّلت عليَّ وعليهم فذكرتُ أبنية تلك المقامات التي تُشير إلى تمامها وتدل على مَرامها، وأرجو لهم بعد صدق قصدهم ما قال أبو عبيد البُسْري: «إن لله عباداً يُريهم في بداياتهم ما في نهاياتهم».

مسافة غايتي المقابلة ما بين العبد والحق تعالى في حال البعد (**من نورٍ وظلمةٍ**) نعت لكل مقام من الألف، فإنه ظلمة مما ينتقل العبد عنه من جهته، ونور ما ينتقل إليه بالقصد من جهته بالتوجه لجناب الحق.

(**طوَّلت عليَّ**) المدة في جمعه وتأليفِه (**وعليهم**) في تحصيله بالكتابة والمطالعة والقراءة والإقراء ونحو ذلك، وإنما كان بعض المقامات ظلمة مع كونها درجات في القرب لأنها عبارة عن شيء ساترٍ مانع من الإدراك، ومن وقف مع مقام أو حال ـ وقْفَ سكونٍ إليه، أو اعتمادٍ عليه واعتدادٍ به ـ حُجِب به عن رؤية أرفع منه، فضلاً عن طلبه، والحجاب ظلمة.

(**فذكرتُ أبنية تلك المقامات التي تُشير إلى تمامها**) أي الأصول المتضمنة لفروعها (**وتدل على مَرامها**) فذكر في كل منزل ثلاثة مقامات: مقام أهل البداية[1]، والتوسط[2]، والنهاية[3].

(**وأرجو**) أي أؤمل (**لهم**) أي للسالكين (**بعد صدق قصدهم**) أي نيتهم مع الله تعالى (**ما قال أبو عبيد البُسْري:**) بضم الباء الموحدة وسكون المهملة (**«إن لله عباداً يُريهم في بداياتهم ما**) يحصل لهم (**في نهاياتهم»**). فإذا صح قصد السالك في بدايته في فهم ما أشار إليه من نهاية المقامات، تعلقت همَّته به، فنال الغاية في حال البداية، وقيل: أراد المجذوبين، وهم من طُوِيَ لهم بساط أطوار المنازل والمقامات، فيرون في بدايتهم ما في النهاية، وهو الرجوع إلى الله بلا تعب التنقُّل في الأطوار.

---

(1) **مقام أهل البداية:** أهل مقام الإسلام: الشريعة.
(2) **مقام أهل التوسُّط**: أهل مقام الإيمان: الطريقة.
(3) **النهاية**: أهل مقام الإحسان: الحقيقة.

ثم إني رتبته لهم فصولاً وأبواباً يغني ذلك الترتيب عن التطويل المؤدي إلى الملال ويكون مندوحة عن التساؤل، فجعلته مائة مقام مقسومة على عشرة أقسام، وقد قال الجنيد ـ رحمة الله تعالى عليه ورضي الله عنه ـ: قد ينقل العبد من حال إلى حال أرفع منه، وقد بقي عليه من التي نُقِلَ عنها بقيَّة، يشرف عليها من الحال الثانية، فيصلحها وعندي أن العبد لا يصح له مقام حتى يرتفع عنه، ثمَّ يشرف عليه فيصححَه.

(**ثم إني رتبته لهم فصولاً**) أي جملاً متمايزة متفاصلة، والفصل إبانة أحد الشيئين عن الآخر (**وأبواباً**) جمع باب، وهو ما يتوصل منه إلى مقصود.

(**يغني ذلك الترتيب عن التطويل المؤدي إلى الملال**) أي السآمة والضجر (**ويكون مندوحة عن التساؤل**) أي فسحة وغنية عنه، وأصل «الندح»: الموضع المتسع من الأرض، ومنه قالوا: لك مندوحة بفتح الميم أي سعة وفسحة، (**فجعلته مائة مقام مقسومة على عشرة أقسام**) أي مفرزوة عشرة أجزاء.

(**وقد قال**) شيخ الطائفة ومقدم الجماعة أبو القاسم (**الجنيد ـ رحمة الله تعالى عليه ورضي الله عنه ـ: قد ينقل العبد من حال إلى حال أرفع منه، وقد بقي عليه من التي نُقِلَ عنها بقيَّة، يشرف عليها من الحال الثانية، فيصلحها**) فالسالك إذا انتقل من مقام قد أحكمه إلى مقام آخر، يُوقَف بين المقامين وقفة يخرج فيها عن حكم المقامين، يتعرَّف فيها آداب المقام المنتقل إليه، ويعلم كيف يتأدب بما يستحقه الأمر الذي يستقبله، فإذا أُبينَ له عنه دخل في الثانية، فإن للحق آداباً في كل منزل ومقام وحال، فإن لم يلزم الأدب في ذلك وإلا طرد، وقول الجنيد: «قد ينقل» يدل على أنه لا يُوقف الكل.

قال المؤلف: (**وعندي أن العبد**) السالك (**لا يصح له مقام حتى يرتفع عنه، ثمَّ يشرف عليه فيصححَه**) أي فلا يعد الذي الذي لا توقف له من السائرين.

قال القاشاني: والحق ما قاله المؤلف إذ كل مقام له فروع ورتب في جميع المقامات وما دام السالك واقفاً فيه ولم يترق عنه فهو محجوب عن تلك الفروع. والوثَب وكان أصل المقام غالباً حاكماً عليه فإذا ارتقى إلى أعلى منه اطلع على

واعلم أن السائرين في هذه المقامات على اختلاف عظيم لا يجمعهم ترتيب قاطع، ولا يوقفهم منتهى جامع وقد صنَّفَ جماعةٌ من المتقدِّمين والمتأخِّرين في هذا الباب تصانيف عساكَ لا تراها أو أكثرَها ـ على حسنِها ـ مغنيةً كافية منهم من أشار إلى الأصول ولم يَفِ بالتفصيل، ومنهم من جمع الحكايات ولم يلخصها تلخيصاً . . . .

تلك الفروع والرُّتب التي له في المقام العالي وكان حاكماً على المقام النازل متصرفاً فيه.

(**واعلم أن السائرين في هذه المقامات على اختلاف عظيم**) لاختلاف استعدادهم المفضي إلى اختلاف سلوكهم (**لا يجمعهم ترتيب قاطع، ولا يوقفهم منتهى جامع**) لأن الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلق ـ قال تعالى ـ: ﴿لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا﴾ [المَائدة: الآية 48]، فالإنسان محلٌ لاختلاف الأحوال عليه عقلاً وحساً، ﴿يَسْـَٔلُهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ كُلَّ يَوْمٍ هُوَ فِى شَأْنٍ ﴿٢٩﴾﴾ [الرَّحمٰن: الآية 29]، فكل حال في الكون عين شأن إلٰهي، وقد قرروا أنه لا يتجلى في صورة واحدة لشخصين، ولا في واحدة لشخص مرتين؛ للاتساع الإلٰهي، فيقع الاختلاف ضرورةً بين السائرين لاعتدال المزاج وانحرافه، وقوة روحانيته وضعفها، واستقامة همته وميلها، وصحة توجهه وسقمه، وقد يكون مطلب الروحانية شريفاً ولا يساعده المزاج وعكسه والمجذوب المراد فيخطي به الجذب قبل السلوك فتكون نهايته قبل البداية والمحب المريد بالعكس.

(**وقد صنَّفَ جماعةٌ من المتقدِّمين والمتأخِّرين في هذا الباب**) يعني علم التصوف (**تصانيف**) جمع تصنيف وأصله تمييز الأشياء بعضها عن بعض (**عساكَ**) أي لعلك، و«عسى» من أفعال المقاربة، وفيه تَرج وطمع، وقد يأتي بمعنى الظن واليقين (**لا تراها أو أكثرَها ـ على حسنِها ـ مغنيةً كافية**) أي لا ترى بها على حسنها غَناءً ولا كفاية.

(**منهم من أشار إلى الأصول ولم يَفِ بالتفصيل، ومنهم من جمع الحكايات ولم يلخصها تلخيصاً**) أي لم يهذِّبها تهذيباً، ولم يقرِّبها إلى الأفهام تقريباً،

ولـم يـخصص النكت تـخصيصاً، ومنهم من لـم يـميّز بين مقامات الخاصَّة، وضروراتِ العامَّة، ومنهم من عدَّ شطحَ المغلوب مقاماً وجعل بَوْحَ الواجِد ورمزَ المتمكِّن شيئاً عاماً وأكثرهم لم ينطق عن الدرجات.

والتلخيص استيفاء المقاصد بكلام أوجز (**ولم يخصص النكت تخصيصاً**) أي لم يؤثرها على غيرها في الإتيان بها إيثاراً. والنكت: جمع نكتة وهي مسألة لطيفة أخرجت بدقة نظر وإمعان فكر. والتخصيص تفرُّد بعض الشيء بما لا يشاركه فيه الجملة.

(**ومنهم من لم يميِّز بين مقامات الخاصَّة، وضروراتِ العامَّة**) أي لم يميز مثلاً بين توكُّل عن حال صار به إلى ثبوت مقام، وبين توكُّل العوام الذي من ضرورة حكم الإسلام.

(**ومنهم من عدَّ شطحَ المغلوب مقاماً**) وليس هو بمقام، والشطح: كلام فيه رعونة مقرون بالدعوى كقول بعضهم: أنا الفاعل في هذا العالم، وقول آخر: ما في الجبة إلا الله. والشطح بأسره «عبارة عن كلام يعبر عنه اللسان، مقرونٌ بالدعوى»، ولا يرتضيه أهل الطريق مِنْ قائله وإن كان مُحِقّاً.

(**وجعل بَوْحَ الواجِد**) ـ بفتح الموحدة التحتية ـ أي إظهاره بعد ما يجده، يقال: باح الشيء يبوح ظهر، كقول الحلاج: أنا الحق (**ورمزَ المتمكِّن**) أي إشارته، كقول بعضهم: أنا الباقي ببقاء الحق أنا الموجود بوجوده (**شيئاً عاماً**) يعني: سوَّى بينهما؛ فجعل بوح الواجد كرمز المتمكن، وشتان ما بينهما، فإن الواجد ينطق عن حاله، والمتمكن عن مقامه، وبينهما بَون بعيد، والرمز تلطفٌ في الإفهام بالإشارة.

(**وأكثرهم لم ينطق عن الدرجات**) فلم يتبين فرقٌ بين درجات العام والخاص والأخص، فإن الزهد مثلاً بالنسبة للعامة أي المبتدئين الزهد في الدنيا، وللخاصة الزهد في الزهد فلا يرى للدنيا قدراً حتى يزهد فيها، والنطق القوة الإنسانية التي يكون بها الكلام، والكلام المبرز بالصوت.

واعلم أن العامَّة من علماء هذه الطائفة والمشيرين إلى هذه الطريقة: اتفقوا على أن النهايات لا تصحُّ إلا بتصحيح البدايات؛ كما أن الأبنية لا تقوم إلا على الأساسات وتصحيح البدايات، هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص، ومتابعة السنَّة، وتعظيم النهي على مشاهدة الخوف ورعاية الحرمة، والشفقة على العالَم ببذل النصيحة وكفِّ المؤونة ومجانبة كلِّ صاحبٍ يُفسد الوقت وكلِّ سببٍ يفتنُ القلب.

على أن الناس في هذا الشأن ثلاثةُ نَفَر: رجلٌ يعمل بين الخوف والرجاء، شاخصاً إلى الحبِّ مع صحبة الحياء، فهذا يسمى: «المريد» . . . .

(واعلم أن العامَّة من علماء هذه الطائفة والمشيرين إلى هذه الطريقة: اتفقوا على أن النهايات لا تصحُّ إلا بتصحيح البدايات؛ كما أن الأبنية لا تقوم إلا على الأساسات) «فمن أشرقت بدايته أشرقت نهايته».

(وتصحيح البدايات، هو إقامة الأمر على مشاهدة الإخلاص، ومتابعة السنَّة، وتعظيم النهي على مشاهدة الخوف) قدَّم ذكر رعاية الأمر على تعظيم النهي مع أولوية تأخر الرجاء عن الخوف للترقي عن الحال إلى ما هو أعلى منه.

(ورعاية الحرمة، والشفقة على العالَم) ـ بفتح اللام ـ وهو كل ما سوى الله تعالى، **(ببذل النصيحة وكفِّ المؤونة)** أي الثقل والمشقة والكلفة، **(ومجانبة كلِّ صاحبٍ يُفسد الوقت)** أي يضيّعه بلهوٍ أو بطالة **(وكلِّ سببٍ يفتنُ القلب)** أي يستميله إلى الردى، ويصده عن سُبل الهدى.

(على أن الناس في هذا الشأن) أي الذي هو فن التصوف **(ثلاثةُ نَفَر:)** ـ بفتحتين ـ جماعة الرجال من ثلاثة إلى عشرة، وقيل: إلى سبعة، ولا يقال فيما زاد على عشرة؛ هذا أصله، لكن ليس المراد هنا إلا أنهم ثلاثةُ أقسام كَثُرَ العدد أو قلّ: **(رجلٌ يعمل بين الخوف والرجاء، شاخصاً إلى الحبِّ)** أي ناظراً إليه مقبلاً بشراشره[1] عليه **(مع صحبة الحياء، فهذا يسمى: «المريد»)** وهو مَن انقطع

---

(1) **الشراشر**: الأثقال، الواحدة: شرشرة. يقال: ألقى عليه شراشره أي نفسه حرصاً ومحبة.

ورجلٌ مُخْتَطَفٌ من وادي التفرق إلى وادي الجمع، وهو الذي يقال له: «المراد» ومَنْ سواهما مدّع مفتونٌ مخدوع.

وجميع هذه المقامات تجمعها رُتَبٌ ثلاث:

الرتبة الأولى: أَخْذُ القاصد في السير.

والثانية: دخوله في الغربة.

والثالثة: حصولُه على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد في طريق الفناء.

إلى الله عن النظر والتجرُّد عن إرادته، إذ علم أنه لا يقع في الوجود إلا ما يريده الله لا ما يريده غيره، فتُمحى إرادتُه في إرادتهِ، فلا يريدُ إلا ما يريدُه الحق، **(ورجلٌ مُخْتَطَفٌ من وادي التفرق[1] إلى وادي الجمع[2]، وهو الذي يقال له: «المراد»)** وهو المجذوب عن إرادته، فهو تجاوَزَ الرسوم[3] والمقامات من غير كلفة ولا مشقة، **(ومَنْ سواهما مدّع مفتونٌ مخدوع)** من الخِداع وهو إنْزَالُ الغيرِ عمَّا هو بصَددِهِ بأمْرٍ يُبْدِيهِ على خلافِ ما يُخْفِيهِ.

(وجميع هذه المقامات تجمعها رُتَبٌ ثلاث:

(الرتبة الأولى: أَخْذُ القاصد في السير) أي سير قلبه عند أخذه في التوجه إلى الحق بالذكر.

(والثانية: دخوله في الغربة) أي مفارقة القلب لوطنه، وسفره إلى طلب المقصود.

(والثالثة: حصولُه على المشاهدة الجاذبة إلى عين التوحيد في طريق الفناء) والفناء في سقوط الأوصاف المذمومة، كما أن البقاء وجود الأوصاف المحمودة.

---

(1) **التفرق**: مقام الفرق وهو الكون مع ما سوى الله تعالى من الأغيار.

(2) **الجمع**: مقام الجمع وهو الإنجماع على الحق تعالى حضوراً وشهوداً بعد الغيبة عن الأغيار والسوى بالكلية.

(3) **الرسوم**: صور الأكوان.

وقد أخبرني في معنى الرتبة الأولى: الحسين بن علي الفرائضي، أنا أحمد ابن محمد بن حَسْنَويْه أنا الحسين بن إدريس الأنصاري، أنا عثمان بن أبي شيبة، أنا محمد بن بشر، أنا عمر بن راشد عن يحيى بن أبي كثير عن أبي سلمة عن أبي هريرة قال: قال رسول الله ﷺ: «سيروا سَبَقَ المُفَرِّدون قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال: المهترون الذين يَهْترونَ في ذكر الله. . . . .

(وقد أخبرني في معنى الرتبة الأولى: الحسين بن علي الفرائضي، أنا[1] **أحمد بن محمد بن حَسْنَويْه)** المقرىء شيخ الحاكم، قال الذهبي: «متهم» أي بالوضع **(أنا الحسين بن إدريس الأنصاري)** الهروي المعروف بابن حزم، قال الدارقطني: «ثقة»، وقال ابن أبي حاتم: «يروي أحاديث باطلة» **(أنا عثمان بن أبي شيبة)** أبو الحسن العبسي مولاهم الحافظ، روى له الشيخان وأبو داود وغيرهم **(أنا محمد بن بشر)** بكسر الموحدة وسكون المعجمة العبدي أبو عبد الله الكوفي أحد الأعلام، قال أبو داود: «وهو أحفظ من كان بالكوفة»، روى له الجماعة **(أنا عمر بن راشد)** أبو حفص اليماني، خرَّج له الترمذي، وليَّنه[2] غير واحد **(عن يحيى بن أبي كثير)** اليمامي مولى طي، أحد الأعلام أخذ عن أنس وجابر مرسلاً، وعنه هشام الدستوائي وهمام، قال أبو أيوب: ما بقي على وجه الأرض مثل يحيى، وكان من العبَّاد الزهاد العلماء الأولياء، وخرَّج له الجماعة **(عن أبي سلمة)** بن عبد الرحمٰن بن عوف أحد الأئمة، أخذ عن أبيه وعائشة وأبي هريرة، وعنه ابنه عمر والزهري، روى له الجماعة **(عن أبي هريرة)** عبد الرحمٰن بن صخر على الأصح، أكثر الصحابة رواية.

(قال: قال رسول الله ﷺ: «سيروا سَبَقَ المُفَرِّدون) ـ بضم الميم وفتح الفاء وشد الراء المكسورة على الأشهر ـ أي من أفرد الحق عن الغير بقوى التوحيد. وروي بالفتح، أي من أفرده الحق بالجذب إليه **(قالوا: يا رسول الله وما المفردون؟ قال: المهترون)** وفي رواية «المستهترون» **(الذين يَهترونَ في ذكر الله**

---

(1) **أنا**: اختصار: أخبرنا.

(2) وليَّنه غير واحد أي صيَّره ليناً أي ضعيفاً، والمراد أي ضَعَّفه. (لسان العرب).

عز وجل أولئك يضعُ الذكرُ عنهم أثقالَهم فيأتون يوم القيامة خفافاً» وهذا حديث حسن لم يروه عن يحيى بن كثير إلا عمر بن راشد اليمامي وخالف محمد بن يوسف الفريابي فيه محمد بن بشر فرواه عن عمر بن راشد عن يحيى عن سلمة عن أبي الدرداء ـ مرفوعاً ـ والحديث إنما هو لأبي هريرة رواه بندار بن بشَّار عن صفوان بن عيسى. . . . .

عز وجل) أي يولعون به، يقال: اهترَّ فلانٌ بكذا، واستهترَ فهو مستهتَر، أي مولع به لا يتحدث بغيره، بل إنما يجري على لسانه ذكر ربه، **(أولئك يضعُ الذكرُ عنهم أثقالَهم)** أي يمحي أوزارهم، أي ذنوبهم التي أثقلتهم، **(فيأتون يوم القيامة خفافاً»**[1]**)** فيستبقون إلى الدرجات العُلا، لأنهم جعلوا أنفسهم أفراداً ممتازة بذكر الله عمن لم يذكره، أو جعلوا ربهم فرداً بالذكر، وترك ذكر ما سواه، وهو حقيقة التفريد هنا.

(وهذا حديث حسن) بل صحيح، رواه الترمذي والحاكم في «الدعوات» **(لم يروه عن يحيى بن كثير إلا عمر بن راشد اليمامي)**ـ بالميم ـ نسبة إلى اليمامة، **(وخالف محمد بن يوسف)** بن واقد **(الفريابي)** بكسر الفاء وسكون الراء وفتح التحتية وبالموحدة الحافظ أبو عبد الله مولى بني ضبة، محدث قيسارية بالشام **(فيه محمد بن بشر)** العبدي الكوفي **(فرواه عن عمر بن راشد عن يحيى عن سلمة عن أبي الدرداء ـ مرفوعاً ـ)**، ورواه الحاكم عنه وقال: على شرطهما، وأقره الذهبي.

(والحديث) الصحيح **(إنما هو لأبي هريرة)** الدوسي **(رواه)** له **(بندار)** بضم الموحدة وسكون النون وبدال مهملة واسمه محمد **(بن بشَّار)** بموحدة فمعجمة مشدّدة وهو أبو بكر الحافظ لُقب بُندار ومعناه الحافظ، فلُقب به لكونه أحد أئمة السنَّة وأكابر حفاظها **(عن صفوان بن عيسى)** الزهري البصري القسام الثقة الثبت،

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك على الصحيحين، كتاب الدعاء والتكبير. . .، حديث رقم (1823) [1/ 673] ورواه الترمذي في السنن، باب في العفو والعافية، حديث رقم (3596) [5/ 577] ورواه غيرهما.

عن بشر بن رافع اليماني ـ إمام أهل نجران ومفتيهم ـ عن أبي عبد الله ابن عم أبي هريرة، عن أبي هريرة مرفوعاً وأحسنها طريقاً وأجودها سنداً حديث العلاء بن عبد الرحمٰن عن أبيه عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وهو مخرَّج في صحيح مسلم وروى هذا الحديث أهل الشام عن أبي أمامة ـ مرفوعاً ـ قال في كلها: «سَبَقَ المُفَرِّدون».

وأخبرنا في معنى الدخول في الغربة: حمزة بن محمد بن عبد الله الحسيني، أنا أبو القاسم عبد الواحد بن أحمد الهاشمي الصوفي. . . . .

روى له الجماعة إلا البخاري **(عن بشر بن رافع اليماني)** أبي الأسباط **(ـ إمام أهل نجران ومفتيهم ـ عن أبي عبد الله)** الدوسي **(ابن عم أبي هريرة، عن أبي هريرة مرفوعاً)**.

(وأحسنها طريقاً وأجودها سنداً حديث العلاء بن عبد الرحمٰن) أبي شبل مولى الحرقة، أحد الأئمة المشاهير، روى له الجماعة إلا البخاري **(عن أبيه)** عبد الرحمٰن **(عن أبي هريرة عن النبي ﷺ، وهو مخرَّج في صحيح مسلم)** وغيره.

(وروى هذا الحديث أهل الشام عن أبي أمامة) بضم الهمزة مخففاً الباهلي الصحابي الكبير الشهير رضي الله عنه **(ـ مرفوعاً ـ قال في كلها:)** أي الطرق **(«سَبَقَ المُفَرِّدون»)** أي بدون ذكر «**سيروا**» في أوله.

(وأخبرنا في معنى الدخول في الغربة: حمزة بن محمد بن عبد الله الحسيني) أبو القاسم العلوي المقرىء **(أنا أبو القاسم عبد الواحد بن أحمد الهاشمي الصوفي)** الزاهد شيخ الصوفية وواعظهم، قال بعضهم: «تركوه»، وما ذكر من أن اسم هذا الراوي «عبد الواحد بن أحمد الهاشمي» هو ما وقفت عليه بخط العارف التلمساني[1]، لكن رأيت في نسخة الحافظ بن حجر أنه «عبد الحق

---

(1) يقصد الشيخ عفيف الدين التلمساني شارح منازل السائرين المولود سنة 610 هجرية والمتوفى سنة 690 هجرية. والكتاب مطبوع في الدار بتحقيقنا.

سمعت أبا عبد الله العلان بن زيد الدينوري الصوفي بالبصرة قال: سمعت جعفر الخلدي الصوفي، قال: سمعت الجنيد، قال: سمعت السري يحدث عن معروف الكرخي عن جعفر بن محمد عن أبيه عن جده عن علي بن أبي طالب عن رسول الله ﷺ قال: «طَلَبُ الحَقِّ غُرْبَةٌ». وهذا حديث غريب ما كتبته غالباً إلا من رواية علان.

وأخبرنا في معنى الحصول على المشاهدة محمد بن علي بن الحسين الباشاني، أنا محمد بن إسحاق.........................

الهاشمي»، قال: «لا أعرف الآخر». **(سمعت أبا عبد الله العلان بن زيد الدينوري الصوفي بالبصرة)** قال الحافظ ابن حجر كالذهبي: هذا الحديث، لعله هو واضع هذا الحديث الذي في «منازل السائرين»، **(قال: سمعت جعفر الخلدي الصوفي، قال: سمعت الجنيد، قال: سمعت السري)** السقطي **(يحدث عن معروف الكرخي)** شيخ الجماعة **(عن جعفر بن محمد)** الصادق **(عن أبيه)** محمد الباقر **(عن جده عن علي بن أبي طالب)**ـ كرَّم الله وجهه ورضي الله عنه ـ أمير المؤمنين **(عن رسول الله ﷺ قال: «طَلَبُ الحَقِّ غُرْبَةٌ»[1])** أي طلب المريد للحق ـ تقدَّس ـ وسلوكه الطريق إليه إنما يكون إذا تغرب عن أشكاله، وفارق الخلان والأوطان، وسافر بقلبه إلى المراكز العالية، وسيجيء الكلام عن الغربة في بابها.

(وهذا حديث غريب ما كتبته غالباً إلا من رواية علان) بن يزيد الصوفي، بل إنما يعرف من رواية علان، ومدار الحديث عليه، وقد كتبه عنه أيضاً الحافظ ابن عساكر مسلسلاً بالصوفية كما ترى من هذا الوجه بعينه، وعلان قد عرفت أنه وضاع، فالحديث موضوع، وزعم وضعه فقط ممنوع.

(وأخبرنا في معنى الحصول)ـ وفي نسخة «الحضور»ـ **(على المشاهدة محمد بن علي بن الحسين الباشاني)** مجهول له مناكير **(أنا محمد بن إسحاق**

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (1662) [2/ 53] وقال: أخرجه الهروي في ذم الكلام ومنازل السائرين له بسند صوفي إلى علي رفعه وكذا الديلمي، وقال في اللآلي: رواه شيخ الإسلام الأنصاري في خطبه.

القرشي، أنا عثمان بن سعيد الدارمي أنا سليمان بن حرب عن حماد بن زيد عن مطر الوراق عن أبي بريدة عن يحيى بن يعمر عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن عمر بن الخطاب في حديث سؤال جبريل رسول الله ﷺ «قال: ما الإحسان؟ . . .» وهو: «أنْ تعبُدَ الله كأنكَ تراهُ» «فإنْ لَمْ تكُنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ» وهذا حديث صحيح غريب أخرجه مسلم بن الحجاج في الصحاح. وفي الحديث إشارة جامعة لمذهب. . . . .

القرشي) الصوفي **(أنا عثمان بن سعيد الدارمي أنا سليمان بن حرب)** بمهملة وراء موحدة أبو أيوب الأزدي قاضي مكة مجمع على جلالته وإمامته **(عن حماد بن زيد)** عالِم أهل البصرى الحافظ المجمع على توثيقه **(عن مطر الوراق عن أبي بريدة عن يحيى بن يعمر عن عبد الله بن عمر بن الخطاب عن عمر بن الخطاب)** القرشي وزير المصطفى وخليفته **(في حديث سؤال جبريل رسول الله ﷺ)** عن الإسلام والإيمان والإحسان:

(«قال: ما الإحسان؟ . . .») المذكور في قوله تعالى: ﴿لِّلَّذِينَ أَحۡسَنُواْ ٱلۡحُسۡنَىٰ﴾ [يُونس: الآية 26]، فأجاب بما يفيد أنه مقامان أحدهما يغلب عليه مشاهدة الحق **(وهو: «أنْ تعبُدَ الله كأنكَ تراهُ»)** بأن تتأدب في عبادته ومعاملته كأنك تشاهده، بحيث لو فرض أنك عاينته لم تترك شيئاً من إمكانك. والثاني لا ينتهي إلى هذا لكن يغلب عليه أن الحق مطلع عليه، ومشاهد له، وهو ما وقعت الإشارة بقوله: **(«فإنْ لَمْ تكُنْ تَراهُ فإنَّه يَراكَ»**[1]**)**، أي فإن لم ينته اليقين والحضور إلى ذلك المقام، فاعمل على أن تتحقق من نفسك أنك بمرأى منه تقدّس لا يخفى عليه منك ولا من غيرك خافية، مشاهدٌ لكل أحد من خلقه في حركته وسكونه.

(وهذا حديث صحيح غريب أخرجه مسلم بن الحجاج في الصحاح) وكذا أخرَّجه أبو داود، والترمذي، والنسائي عن عمر أيضاً بهذا اللفظ، ورواه الإمام أحمد والشيخان وابن ماجه عن أبي هريرة **(وفي الحديث إشارة جامعة لمذهب**

---

(1) ومقام الإحسان هو مقام توحيد الشهود والعيان وهو يتدرج من عين اليقين إلى حق اليقين إلى حقيقة اليقين.

هذه الطائفة، وإني مفصِّلٌ لك درجات كل مقام منها لتعرف درجة العامَّة منه، ثم درجةَ السالك، ثم المحقق. ولكل منهم شرعة ومنهاج ووجهة هو موليها، قد نصب له عَلَمٌ هو إليه مبعوث وأنتج له غاية هو إليها محثوث وأنا أسأل الله أن يجعلني في قصدي بتأليفه مصحوباً ـ لا محجوباً بعنايته تعالى وأن يجعل لي سلطاناً مبيناً؛ إنه سميع قريب.

واعلم أن الأقسام العشرة التي ذكرتُها في هذا الكتاب هي قسم البدايات، ثم قسم الأبواب، ثم قسم المعاملات، ثم قسم الأخلاق، ثم قسم الأصول، ثم قسم الأودية، ثم قسم الأحوال، ثم قسم الولايات، ثم قسم الحقائق، ثم قسم النهايات.

هذه الطائفة) وهو أساس طريقهم وعماد ما بنوا عليه قوانين المراقبة والتدريج إلى المشاهدة.

(**وإني مفصِّلٌ لك درجات كل مقام منها لتعرف درجة العامَّة منه، ثم درجةَ السالك، ثم المحقق. ولكل منهم شرعة)** بكسر فسكون وهي الظاهر المستقيم من المذاهب (**ومنهاج)** أي طريق واضح، (**ووجهة هو موليها، قد نصب له عَلَمٌ)** بفتح العين واللام أي علامة، والجمع أعلام كسبب وأسباب (**هو إليه مبعوث)** أي مرسل (**وأنتج له غاية هو إليها محثوث)** أي مُحرَّضٌ، من حثثتُ الإنسان على الشيء حثًّاً حرَّضته عليه.

(**وأنا أسأل الله أن يجعلني في قصدي)** أي نيَّتي (**بتأليفه مصحوباً ـ لا محجوباً)** أي مصحوباً (**بعنايته تعالى)** لا محجوباً عنها، (**وأن يجعل لي سلطاناً)** أي حجة وبرهاناً (**مبيناً؛ إنه سميع قريب)**.

(**واعلم أن الأقسام العشرة التي ذكرتُها في هذا الكتاب هي قسم البدايات، ثم قسم الأبواب، ثم قسم المعاملات، ثم قسم الأخلاق، ثم قسم الأصول، ثم قسم الأودية، ثم قسم الأحوال، ثم قسم الولايات، ثم قسم الحقائق، ثم قسم النهايات)**.

إنما رتبها كذلك لأن السالكين مختلفةٌ أحوالهُم وطباعُهم.

. . . .

فلكل منهم بداية وهي رتبة.

ولا بد من باب يدخل منه، وهي رتبة ثانية.

وإذا دخل احتاج لمعاملة تليق به وهي ثالثة.

وإذا عامل مولاه بصدق تخلّق بأخلاق محمودة وهي رابعة.

وإذا تخلّق بها اشتاق للتعلق، ولا بد من أصول يبني عليها سلوكه وهي خامسة.

ولا بد أن يلقى في طريقه أهوالاً تسمى أودية وهي سادسة.

ثم تعتوره أحوالٌ وهي سابعة.

ثم يتصف بجميل الصفات، فهناك يصافيه الحق وهي ثامنة.

ثم يتعرى عن الصفات حتى الوجود وهي تاسعة.

ثم يبلغ النهاية، وهي الرجوع للبداية، وهي عاشرة.

قسم البدايات

فأما قسم البدايات، فعشرة أبواب: اليقظة، والتوبة، والمحاسبة، والإنابة، والتفكُّر، والتذكُّر، والاعتصام، والفرار، والرياضة والسماع.

لأن العبد المسترسل في غفلته أولُ سعادته يقظةٌ من غفلته، ثم رجوع عن حُوبته[1]، ثم محاسبته على ما فرط من زلّته، ثم إنابته، ثم التفكُّر والتذكر ليتدارك ما فات، ثم الاعتصام بالحق حذراً من العود، ثم الفرار من الهلاك إلى الرياضة لتتهذب نفسه، ثم حسن السماع لما يُخبر به من الواردات، ولما كانت النهايات لا تصح إلا بتصحيح البدايات قدمها مُقدِماً أول درجة منها وهي اليقظة؛ فقال:

(1) الحوبة: الهمّ والحاجة. والمسكنة والفقر: الهمّ والحزن. وقولهم: فلان حوبة: أي ليس عنده خير ولا شر. (لسان العرب).

[1 ـ] باب اليقظة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ [سَبَإ: الآية 46].

القومة لله تعالى: اليقظةُ من سِنَةِ الغفلة، والنهوضُ عن وَرْطةِ الفَترة وهي أول ما يستنير قلب العبد بالحياة لرؤية نور التنبيه.

([2 ـ] باب اليقظة)

وهي الفهم عن الله تعالى ما هو المقصود في زجره. ولما كان الموجب لليقظة واعظ الله في القلب افتتح بآية فيها الوعظ فقال: (**قال الله تعالى:** ﴿قُلْ إِنَّمَآ أَعِظُكُم بِوَٰحِدَةٍ أَن تَقُومُواْ لِلَّهِ﴾ [سَبَإ: الآية 46]) وكفى بالقرآن واعظاً.

(**القومة لله تعالى: اليقظةُ من سِنَةِ الغفلة، والنهوضُ عن وَرْطةِ الفَترة**) برؤية ما هو عليه من سوء الحال، والإنسان المغمور في غواشي النشأة الذاهل عن الحق ونور الفطرة بمقتضى الطبيعة كالنائم كما قال المصطفى ﷺ: «**الناس نيام**»(*) فلا بد له من منبِّه وهو واعظ في قلبه. ووحد ذلك في الآية، لأن واعظ الله في قلب كل مؤمن واحد، وهو تأثير الاسم «الهادي» في قلبه فلذلك قال: (**وهي أول ما يستنير قلب العبد بالحياة**) فوصف القلب بالاستنارة، وأكد ذلك بقوله: (**لرؤية نور التنبيه**) الإلٰهي الذي به اتصال القلب بالحق، فجعل التنبيه عن النور، وجعل اليقظة هي القومة اتباعاً للآية، والقومة لمريد السير إذا استيقظ واجبة، فإنه إذا انتبه قام، وإذا قام سار، فالقومة أول العزم على السير، وهي اليقظة

(*) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (2795) [2/ 414] وقال العجلوني: هو من قول علي بن أبي طالب لكن عزاه الشعراني في الطبقات لسهل التستري، ولفظه في ترجمته: ومن كلامه: الناس نيام، فإذا ماتوا انتبهوا وإذا انتبهوا.

واليقظة ثلاثة أشياء: الأول: لحظ القلب إلى النعمة على الإياس من عدِّها، والوقوف على حدها والتفرغ إلى معرفة المنة بها والعلم بالتقصير في حقها.

والثاني: مجموع أمور خمسة هي: مطالعةُ الجناية، والوقوف على الخطر فيها، والتشمير لتداركها، والتخلُّصُ من رِقِّها، وطلب النجاة بتمحيصها.

أو قرينتها، ثم عبر عن اليقظة بما هو من لوازمها فقال: **(واليقظة)** أي أحكامها مجموع أمور **(ثلاثة أشياء، الأول: لحظ القلب إلى النعمة)** أي لحظ نعم الله الظاهرة والباطنة والسابقة واللاحقة **(على الإياس من عدِّها)**؛ لعدم دخولها تحت الإحصاء، **(والوقوف على حدها)** لامتناع حصرها لأن مَنْ حَدَّها فقد عَدَّها، إذ كل محدود معدود، وكل معدود متناهٍ، ونعمُه غير متناهية كما تقرّر ﴿وَإِن تَعُدُّواْ نِعْمَتَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ﴾ [إبراهيم: الآية 34]، **(والتفرغ إلى معرفة المنة بها)** أي استفراغ الوُسْعَ في تعرفه أن نعم الله عليه بغير استحقاق، بل محضُ إفضال، وأنه عاجز عن الثناء عليه تعالى بها، «**سبحانك لا أحصي ثناءً عليك**»[1]، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ يَمُنُّ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ﴾ [إبراهيم: الآية 11]، **(والعلم بالتقصير في حقها)** أي في حق شكرها، لأن العجز عن إحصائها عجز عن شكرها.

(والثاني: مجموع أمور خمسة هي: مطالعةُ الجناية) أي النظر إلى ما سلف منه من الذنوب، **(والوقوف على الخطر فيها)** أي وقوف الجاني، يعني معرفته أنه أشرف على الهلاك، وهو المؤاخذة بها، لأن الاسم «المنتقم» هو المستولي على العصاة، **(والتشمير لتداركها)** أي النشاط للإقلاع عنها واستدراك الفارط منها، **(والتخلُّصُ من رِقِّها)** أي من تلك الجناية، ـ وفي نسخ من ربقتها وفي أخرى: من ربقها، أي كدرها فإن الجناية تكدر النفس ـ **(وطلب النجاة بتمحيصها)** أي تفريقها بالمغفرة، ومن طالع الجناية منه فقد راقب، ومن راقب قارب، وعماد ذلك طلب الهداية بالاعتصام بالله.

---

(1) رواه مسلم في صحيحه باب ما يقول إذا رفع رأسه من الركوع، حديث رقم (486) [1/ 352]، ورواه ابن حبان في الصحيح، ذكر ما يستحب للمصلي أن يتعوذ برضاء الله جلَّ وعلا. . .، حديث رقم (1932) [5/ 258] ورواه غيرهما.

والثالث: الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان في الأيام، والتنصل عن تضييعها، والنظر إلى الضن بها لتدارك فائتها وتعمير باقيها.

فأما معرفة النعمة فإنها تصفو بثلاثة أشياء: بنور العقل، وشيم برق المنة، والاعتبار بأهل البلاء.

وأما مطالعة الجناية، فتصحُّ بثلاثة أشياء: بتعظيم الحقِّ، ومعرفة النفس، وتصديق الوعيد.

(**والثالث: الانتباه لمعرفة الزيادة والنقصان في الأيام**) بأن يعتبر أيامه التي هي ظروف أعماله، فيعرف ما فاته فيها من فرض وسنَّة وخير، وهو النقص، ويعرف ما حصّله فيها من تطوع، وهو الزيادة، (**والتنصل عن تضييعها**) أي التخلص من تضييع الأيام في البطالة، (**والنظر إلى الضن بها**) أي البخل به عن الضياع؛ (**لتدارك فائتها**) في بقية العمر (**وتعمير باقيها**) بوظائف الخدمة، وهو دوام العمل لله ظاهراً وباطناً من الأعمال القلبية والقالبية، ولما ذكر أحكام اليقظة، ذكر الأسباب التي بها تصفو، مقدماً ذكر النور الذي به ينور الله القلوب والعقول فقال:

(**فأما معرفة النعمة فإنها تصفو بثلاثة أشياء: بنور العقل**)؛ لأنه ينير سراج الأغيار، وهو واعظ الله في قلب كل مؤمن، وبه تكون اليقظة، وعليه مدار المعاملة لكونه السبب فيها، ويستضيء نوره بثلاثة: دوام الفكر، وصفاء الذهن، وتحقيق النظر؛ ولا تصح هذه الثلاثة إلا بثلاثة: لزوم الرياضة، وإخلاص العمل، واستعمال الحكمة. (**وشيم برق المنة**) وهو من اكتحال بصر البصيرة بأثمد العناية، وملاكه: ملازمة التقوى (**والاعتبار بأهل البلاء**)؛ لأنه يهذِّب النفس ويؤكد تعظيم النعمة، فتصفو به.

(**وأما مطالعة الجناية فتصحُّ بثلاثة أشياء: بتعظيم الحقِّ**)؛ لأن مَنْ تمت عظمة الله في قلبه عظمت عنده مخالفته، فأخذ في التشمير، لأن مخالفة العظيم عظيمة (**ومعرفة النفس**) لأن مَنْ عرف حقارتها عظمت عنده المخالفة، إذ تَجَرُّؤ الحقير على العظيم أعظم وأقبح. (**وتصديق الوعيد**)؛ لأن مَنْ صدَّقه طلب النجاة لتمحيصها؛ لتنجو من العقاب.

وأما معرفة الزيادة والنقصان في الأيام، فتستقيم بثلاثة أشياء: بسماع العلم، وإجابة دواعي الحُرمة، وصحبة الصالحين، ومِلاك ذلك كله وجوبُ خلع العادات.

(**وأما معرفة الزيادة والنقصان في الأيام فتستقيم بثلاثة أشياء: بسماع العلم**) بالأحكام والعمل به، لأن الميزان الذي يعرف به العبد زيادته من نقصانه في أيامه: العلم بالأحكام، والنفسُ إذا عَرَفتْ الخير تشتاق إليه.

(**وإجابة دواعي الحُرمة**) أي سرعة الإجابة لخواطر الأعمال.

(**وصحبة الصالحين**) أي مَنْ يعملُ الخير، فإن مَن لم ينفعْكَ لحظُه لم ينفع لفظُه ولا وعظُه. وقيل: أراد بسماع العلم: حضور مجالس العلماء، لتعلم أحكام العبادة، وبإجابة الدواعي: تعظم حرمات الله، فإنه يوجب التوبة، وبصحبة الصلحاء: التأدب بآدابهم والتخلق بأخلاقهم.

(**ومِلاك ذلك كله**) أي ما يدور الأمر كله عليه: (**وجوبُ خلع العادات**) بأن يُلزِم نفسه بتركها لزوماً لا رخصة فيه، وذلك بترك الغفلة ولواحقها من الاسترسال في البطالة، فإن الغفلة نوم، واليقظة ضده. ومن خلع العادات صلح لمنازل أهل الدرجات.

[2 ـ] باب التوبة

قال تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الحُجرَات: الآية 11] **فأسقط اسم الظلم عن التائب، والتوبةُ لا تصحُّ إلا بعد معرفة الذنب، وهي أن تنظر في الذنب إلى ثلاثة أشياء: إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه، وفرحكَ عند الظَفَرِ به،** . . . .

([3 ـ] باب التوبة)

هي لغةً: الرجوع، وعرفاً: الرجوع من المخالفة إلى الموافقة. وقيل: الرجوع في الواجبة عن الذنب، وفي المندوبة عن البطالة والمباح إلى الطاعة، أو عن أدنى المندوبات إلى أرفع الدرجات. والتوبة أصل كل مقام ومفتاح كل حال، فمن لا توبة له لا مقام ولا حال له.

(**قال تعالى**: ﴿وَمَن لَّمۡ يَتُبۡ فَأُوْلَـٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّـٰلِمُونَ﴾ [الحُجرَات: الآية 11])؛ حرض المؤلف على التوبة بتصدير الباب بآية تدل على انحصار الظلم فيمن لم يتب، ولذلك قال: (**فأسقط اسم الظلم عن التائب**) فإن مفهوم الحصر من تاب ليس بظالم (**والتوبةُ لا تصحُّ إلا بعد معرفة الذنب**)؛ فمن لم يعرف ذنبه لا تصح توبته منه، لأنها رجوع عن مخالفة الحق إلى موافقته فما لم يعرف حقيقة الذنب وكون الفعل الواقع منه وكونه به مخالفاً لا يصح رجوعه عنه، والكلام في ذنب معين، فلو علم ذنوباً ولم يستحضر تفصيلها فتجب توبته منها.

(**وهي أن تنظر في الذنب إلى ثلاثة أشياء: إلى انخلاعك من العصمة حين إتيانه**) أي تنظر إلى خذلان الله لك في حال الذنب، فترجع بالتوبة إلى العصمة منه (**وفرحُكَ عند الظَفَرِ به**) لأن الفرح بالمعصية دليل شدة الرغبة فيها، فيرجع بالتوبة عن ذلك الفرح إلى الحزن عليها.

وقعودك على الإصرار عن تداركه مع يقينك بنظر الحق إليك، وشرائط التوبة ثلاثة: الندم والاعتذار والإقلاع.

وحقائق التوبة ثلاثة: تعظيم الجناية، واتهام التوبة، وطلبُ اعتذار الخليقة،

(**وقعودُك على الإصرار عن تداركه**)، فترجع عن ذلك لأن الطمأنينة بالمعصية معصية أخرى، والقعود عن تدارك الفارط من المعاصي بالتوبة إصرار، أي استقرار على المخالفة ورضاً بها (**مع يقينك بنظر الحق إليك**)؛ حال المخالفة فإن مَنْ لم يكن متيقناً ذلك كان شاكاً، والشاك كافر، والكافر لا تصح توبته، فشرط صحتِها تيقنُّه أن الله ناظر إليه، فإن استمر بعد ذلك فهو مصر فتوبته الرجوع عن الإصرار. وبذلك ظهر أن مراد المؤلف بمعرفة الذنب معرفة لوازمه.

أو أراد: أنه إذا تيقن أن الحق كان ناظراً إليه حال إتيانه بالذنب يذوب خجلاً، ويستكين وجلاً.

(**وشرائط التوبة**) المتوقف وجودها عليها (**ثلاثة: الندم**) على الماضي، (**والاعتذار**) إلى الله عن التقصير فيها بكثرة الاستغفار (**والإقلاع**) عنها بالجوارح حالاً، فالندم من أفعال القلب، والاعتذار لتدارك ما فاته، والإقلاع للترك حالاً بالكلية وإلا لم تصح توبته، فالاستغفار من غير إقلاع توبة الكذابين كما قاله ذو النون؛ قال السبكي: «فلا يكفي مجرد الاستغفار وإن كان فيه أجر».

(**وحقائق التوبة**) أي أصولها الظاهرة إذ حقيقة الشيء أصله وما يتحقق به وجوده (**ثلاثة: تعظيم الجناية**) أي استعظام قبح الذنب باستشعار الجرأة على حِمَى العظيم، وهذا يقوي الندم.

(**واتهام التوبة**) بأن يتوهم أنه ما وفاها حقها، فقد لا تُقبل، فيصحبه الخوف دائماً، وهذا يقوي الاعتذار.

(**وطلبُ اعتذار الخليقة**) بأن يطلب لكل مَنْ ظلمه أو ارتكب ذنباً عذراً فيعذر الكل في الذنب إلا نفسه فيراها شرَّ الناس منفردة بالأذناب.

وسرائر حقيقة التوبة ثلاثة أشياء: تمييز الثقة بالله من الغِرَّة به، ونسيان الجناية، والتوبة من التوبة أبداً، لأن التائب داخل في الجميع من قوله تعالى: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١﴾) [النُّور: الآية 31] **فأمر التائب بالتوبة.**

(وسرائر حقيقة التوبة): أي بواطنها **(ثلاثة أشياء تمييز الثقة بالله من الغِرَّة به)** بأن تفرق بين ما لله وما لك، فإنه كل ما نسب إليك غرور، وكل ما نسب إليه تعالى هو المعتمد ـ وفي نسخة «بين التقيَّة، من العزة»ـ فالتقيَّة: التقوى، والعزة: الجاه، وذلك بأن يفرق التائب بين التقية الخالصة، من نحو رياء، والتقية التي يقصد بها العزة والجاه بين الناس، فإن بعض الناس يتوب للمدح والجاه والحشمة وخوف سقوط منزلته من القلوب، فالصورة صورة تقوى وتوبة والحقيقة عزّة النفس وطلب الجاه والرفعة، فلا يفعل تقية ونفسه تطلب بها حالاً، فمن لم يميز بينهما لم يحصل له باطن حقيقة التوبة.

(ونسيان الجناية) أي الشغل عن ذكرها بصفاء الوقت مع الله، فإن ذكر الجفاء في وقت الصفاء جفاء، فمن لم يشغله صفاء وقته مع الله عن ذكر ذنوبه لم يحصل له باطن حقيقتها، وقد قال الجنيد: «دخلت على السَّرِيِّ فوجدته متغيراً وقال: سألني شاب ما التوبة؟ قلت: ألا تنسى ذنبك، فقال: بل التوبة أن تنساه، فقلتُ: الأمر ما قاله، قال: لِمَ؟ قلتُ: لأني إذا كنت حال الجفاء فنقلني إلى الصفاء، فذكر الجفاء حال الصفاء جفاء».

(والتوبة من التوبة أبداً) أي من رؤية كونِه تائباً، فإنه لا يرى ذلك إلا إذا كان ناظراً لنفسه متبجحاً بذلك، فكمال توبتِه دوامُ شغلِه بربه حتى ينسى توبتَه، **(لأن التائب داخل في الجميع، من قوله تعالى**: ﴿وَتُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَ ٱلْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ٣١﴾) [النُّور: الآية 31] أي تفوزون بالمقصود، فالتائب من جملة المؤمنين فدخل في الجميع فكان مأموراً بالتوبة، وقال: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ تُوبُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ تَوْبَةً نَّصُوحًا﴾ [التّحْريم: الآية 8] **(فأمر التائب بالتوبة)** وليس له ذنب يتوب منه لأنه قد تاب، فبقي أن يتوب من التوبة، أي من ذكر الجفاء الذي يصحب التوبة، وعليه قيل:

ولطائف أسرار التوبة ثلاثة: أولها: أن تنظر إلى الجناية والقضية، فتعرف مراد الله فيها؛ إذ خلاك وإتيانَها، فإن الله تعالى إنما يخلي العبد والذنب لمعنيين:

أحدهما: أن يعرف عِزَّته في قضائه وبره في ستره وحلمه في إمهال راكبه وكرمه في قبول العذر منه وفضله في مغفرته.

مَا تَابَ مِنَ الذَّنبِ أناسٌ ومَا   تَابَ مِنَ التَّوبةِ إلا أَنَا[1]

(**ولطائف أسرار التوبة**) أي بواطن بواطنها كروح الروح فإن النفس روح للبدن يحيى بها، والقلب روح النفس تحيى به (**ثلاثة: أولها: أن تنظر إلى الجناية والقضية**) أي حكم الله فيها (**فتعرف مراد الله فيها؛ إذ خلاك وإتيانَها**) أي* إذ مكنك من فعلها، فالعبد إذا نظر إلى أنه تعالى هو الذي مكَّنه منها ـ لِمَا أنه لا تتحرك ذرة إلا بإذنه ـ كان ملاحظاً لمراد ربه مستأنساً به، لأنه لا ينازع في ملكه (**فإن الله تعالى إنما يخلي العبد والذنب لمعنيين:**

أحدهما: أن يعرف عِزَّته في قضائه) أي أنه عز بحكمه على العبد بما لا يمكنه ردّه، وذلك لكمال عزّه، فيعرف عزّة سيده، فيشتغل بملاحظتها عن ذلّ المعصية، فيكون مع الله لا مع نفسه (**وبرَّه في ستره**)؛ أي وإحسانه إليه لستره عليه وعدم فضحه بين الخلق فيشتغل بهذه النعمة، فيذهل عن ذنبه، فيكون مع المُنعم لا مع المعصية، والحضور مع الله، والغفلة عما سواه هو مطلوب القوم رضي الله تعالى عنهم، (**وحلمه في إمهال راكبه**)؛ بعدم معاجلته بالعقوبة وإمهاله حتى تاب فيشتغل بمشاهدة حلم الله عنه في كونه أمهله ليتوب من ذنبه، ولو شاء عَجَّل عقوبته، فباشتغاله بذلك فتكون مع الله لا مع الأغيار، (**وكرمه في قبول العذر منه**)؛ فيشتغل بشكر ربه، لكونه قَبِلَ عُذره، ولو شاء ما قبله، فيكون بذلك مع سيده لا مع سواه؛ (**وفضله في مغفرته**) فيتأمل أن المغفرة فضل الله بغير استحقاق.

---

(1) لم أقف على اسم قائل هذا البيت.

* وفي نسخة [أي إذا مكنك منها وخلّى بينك وبينها وله مرام في إجراء الخطيئة عليك فيكون وقوفك مع إرادة الله لامع الذنب والوقوف مع الله وصفته روح نسيان الجناية].

الثاني: ليقيم على عبده حجة عدله، فيعاقبه على ذنبه بحجته.

واللطيفة الثانية: أنْ تعلم إنَّ طلب البصير الصادق في سيئته لم يُبقِ له حسنةً بحال، لأنه يسير بين مشاهدة المنة، ويطلب عيب النفس والعمل.

واللطيفة الثالثة: إن مشاهدة العبد الحكم لم يَدَعْ له استحسان حسنة، ولا استقباح سيئة لصعوده عن جميع المعاني إلى معنى الحكم، . . . .

(**الثاني: ليقيم على عبده حجة عدله، فيعاقبه على ذنبه بحجته**)؛ أي إنما خلا بينه وبين الذنب لأن الذنب مقتضى عينه في الأزل فلم يحكم عليه به إلا لعلمه التابع لمقتضى عينه فعينه التي جنت على نفسه بما اقتضى عقابه فلربّه الحجة البالغة عليه، والعبد إذا كان مع مراد الله به لا مع مراده لنفسه؛ فقد آثر الله عليها ولم ينازعه في ملكه، فترجع توبته إلى مراد ربه عن وقوفه مع مراد نفسه، وهذا سر ظهور العدل، وقيام الحجة على الخلق في مخالفة الأمر، وقد أطاعوا الإرادة بالقهر، وما ذاك إلا أن الذات تجلَّت بصفات متقابلات: كالرحمة والسطوة، والفضل والعدل، فظهر عن آثارها الكون، فجرت فيه أحكامها، وهذا الثاني عظيم القدر جداً وهو الرضا بالقضاء.

(**واللطيفة الثانية: أنْ تعلم أنَّ طلب البصير**) هو مَنْ له بصيرة يفتش بها عن عيوب نفسه وعمله، (**الصادق في سيئته**) أي الصادق في طلب سيئته ليعرفها ببصيرته، (**لم يُبقِ له حسنةً بحال، لأنه يسير بين مشاهدة المنة، ويطلب عيب النفس والعمل**) فإن رأى حسناته خالصة لله شاهدها منة إلٰهية ليس فيها شيء، وإن وجدها رياء وطلباً للجاه، فلا شيء له فيها أيضاً لما فيها من العيوب، وما في نفسه من الرياء، فلم يبق له حسنة بكل حال.

(**واللطيفة الثالثة: إن مشاهدة العبد الحكم**) أي ما حكم الله به من حسن وقبح، أو هو نسبة الأفعال إليه تعالى من غير أثر لسواه فيها؛ (**لم يَدَعْ له استحسان حسنة، ولا استقباح سيئة**) أي لا تترك له حسنة يستحسنها، ولا سيئة يستقبحها؛ (**لصعوده عن جميع المعاني**) أي جميع المتقابلات (**إلى**) وحدة (**معنى الحكم**)، فيرجع من شهود معنى الأزواج إلى معنى الفرق، وهذه توبة جامعة

فتوبة العامة لاستكثار الطاعة، إلا مَن تاب وآمن وعمل عملاً صالحاً فأولئك يبدل الله سيئاتهم حسنات، أنها تدعو إلى ثلاثة أشياء: إلى جحود نعمة الستر والإمهال، ورؤية الحق على الله تعالى، والاستغناء الذي هو عين الجبروت، والتوثُّب على الله وتوبة الأوساط من استقلال المعصية وهو عين الجرأة والمبارزة

فوق توبتي الرجوع بالحسنة والسيئة، وتأمل قوله تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: الآية 88] فله الحكم، والعارف يحمل الفناء على الكائن الحادث أزلاً وأبداً لقهر سلطان الوحدانية دائماً، وإن عَمِيَ عن شهودها المحجوبون، وقيل: «من غلب على قلبه النظرُ لِمَا سبق به القدر ـ وهو غيب ـ لم تسكن نفسه لحسنتِهِ لاحتمال التغيير، ولم تقنط لعصيانه لاحتمال العفو».

(**فتوبة العامة**) إنما هي (**لاستكثار الطاعة**) تمسكاً بظاهره (﴿إِلَّا مَن تَابَ وَءَامَنَ وَعَمِلَ عَمَلًا صَٰلِحًا فَأُوْلَٰٓئِكَ يُبَدِّلُ ٱللَّهُ سَيِّـَٔاتِهِمْ حَسَنَٰتٍ﴾ [الفرقان: الآية 70]) فصارت بالتوبة حسنات وذلك سوء أدب عند الخواص، ووجهه (**أنها تدعو إلى ثلاثة أشياء: إلى جحود نعمة الستر والإمهال**)؛ إذ «حسنات الأبرار سيئات المقربين»، وإذا كانت لهم سيئات وقد سترهم الله فيها ـ وهم يظنون أنها حسنات ـ لا يحتاجون فيها لستره وإمهاله إياهم، وهذا جحود لنعمتها.

(**ورؤية الحق على الله تعالى**) أي رؤية أن لهم حقاً عليه في مجازاتهم على تلك الحسنات بالجنان والرضوان، وهو لا يجب عليه شيء.

(**والاستغناء**) عن مغفرة الله لهم (**الذي هو عين الجبروت، والتوثُّب على الله**) لرؤيتهم أنهم أهل طاعة، عاملون على الحقيقة، مجاوزون عن المثوبة، مكفرون للسيئات بأعمالهم المعلولة المدخولة، ولو تأملوا لوجدوا حسناتهم سيئات، فكيف لا يكون إظهار الاستغناء هو جبروت وتوثب عليه تعالى.

(**وتوبة الأوساط**) أي المتوسطين أي الناظرين إلى حكم الله وقضائه عليهم بما يقع منهم في الطريق (**من استقلال**) قدر (**المعصية**) واحتقارها حين يرون أنها حكم الله فيهم، وينسبونها إلى سعة عفوه فيصغر الذنب عندهم، وذلك سوء أدب يجب التوبة منه، كيف (**وهو عين الجرأة**) على الله تعالى (**والمبارزة**) له

ومحض التزين بالحَمِيَّة والاسترسال للقطيعة وتوبة الخواص من تضييع الوقت، فإنه يدعو إلى دَرْكِ النقيصة ويطفىء نور المراقبة ويكدِّرُ عينَ الصحبة، ولا يتمُّ مقام التوبة إلا بالانتهاء إلى التوبة ممَّا دون الحقِّ، ثم رؤية علة التوبة، ثم التوبة من رؤية تلك العلة.

(ومحض التزين بالحَمِيَّة) أي بالمحاماة للنفس حين يقُولُ مَنْ هذا حاله: «ما لي ذنب؛ فإنه تعالى حَكَمَ عليَّ وقدّر وقضى»، **(والاسترسال للقطيعة)** يعني ثم إنه يسترسل مع القطيعة، أي المقاطعة لله، لكونه لا يعترف ويتوب، وأكثر من يقع فيه الذين يسلكون بأنفسهم بغير شيخ، وربما كانت جرأتهم عن وارد بسط وهو حق، فتؤديهم حقيقته إلى انبساط خارج عن الحد، وتوبة هؤلاء بوارد آخر يمنعهم من الانبساط، وليس كتوبة العامة إذ توبتهم بأنفسهم.

(وتوبة الخواص من تضييع الوقت) في غير مراقبة؛ **(فإنه يدعو إلى دَرْكِ النقيصة)** أي إلى الدَرْك الأسفل، وهو النقيصة، لأنه يعوق عن الكمال فيحصل النقص. والدَرَك إلى أسفل بمنزلة الدَرَج إلى فوق، **(ويطفىء نور المراقبة)**؛ لأنها تعطي النور الكاشف للحقائق، وتضييع الوقت يوجب تركها، فيُطفأ ذلك النور بالغفلة، **(ويكدِّرُ عينَ الصحبة)** مع الله تعالى وذلك أعظم البلاء.

(ولا يتمُّ مقام التوبة إلا بالانتهاء إلى التوبة ممَّا دون الحقِّ) وهي خروج العبد بقلبه عما سواه؛ ثم يعبد الله بعبادة تليق بمقامه، لا لخوف ناره ولا لرغبة في جنته، وذلك لا يصح إلا لمن غلب عليه الشوق والقلق حتى بطلت حواسه الظاهرة والباطنة، وانقهر تحت سلطان الوجد.

(ثم رؤية علة التوبة) أي فإذا صح له ذلك يرى في هذه التوبة علة أخرى، وهي كونه أحسن، إذ لولا الإحساس لما اهتدى إلى هذه التوبة، فرؤيته لهذه التوبة علة لها.

(ثم التوبة من رؤية تلك العلة) خوفاً من استرواح نفسه إلى معرفة العلة حتى يتبرأ من سوى مولاه، والله أعلم.

[3 ـ] باب المحاسبة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحَشر: الآية 18].

وإنما يسلك طريق المحاسبة بعد العزيمة على عقد التوبة، ولها ثلاثة أركان:

أحدها: أن تقيس بين نعمته وجنايتك، وهذا يشقُّ على من ليس له ثلاثة

([4 ـ] باب المحاسبة)

(قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَلۡتَنظُرۡ نَفۡسٞ مَّا قَدَّمَتۡ لِغَدٖۖ﴾ [الحَشر: الآية 18]).

الاستدلال بالآية على المحاسبة أن تنظر النفس فيما قدمت للآخرة وهو العمل، ويستلزم وقوفه على ما صدر منه من الحسنات والسيئات، فإن كانت الغلبة للسيئات فالتقوى المأمور بها توجب تكثير الحسنات وتنقيص السيئات ولا يكون ذلك إلا بالمحاسبة **(وإنما يسلك طريق المحاسبة بعد العزيمة على عقد التوبة)** يعني المحاسبة لا تكون إلا بعد الاستمرار على حفظ التوبة حتى يسلم عقدها، أي ثباتها. والعزيمة تحقيق القصد والاستمرار عليه والعقد العهد الموثق، فالعزيمة على عقد التوبة هي الإيفاء بما عقد عليه. **(ولها ثلاثة أركان:**

أحدها: أن تقيس بين نعمته) تعالى عليك **(وجنايتك)** عليه، فتعلم أنّ حق النعمة أن تُشكر وقد كفرتها، ثم تقيس الحسنات إلى السيئات، فتبين أيهما أرجح أو أكثر، فيتميز لك حالك بمحاسبتك للنفس، **(وهذا يشقُّ)**، لأن حسن الظن بالنفس يمنع اتِّقان التفتيش، فلذلك كان يشق **(على من ليس له ثلاثة**

أشياء: نور الحكمة، وسوء الظن بالنفس وتمييز النعمة من الفتنة.

والثاني: أن تميز ما للحقِّ عليك عمَّا لك أو منك، لتعلم أن الجناية عليك حجَّة، وأن الطاعة عليك منَّة، وأن الحكم عليك حجَّة ما هو لك معذرة.

والثالث: أن تعرفَ أن كلَّ طاعةٍ رضيتَها منكَ فهي عليكَ، وكل معصية عيَّرتَ بها أخاك فهي إليك، فلا تضيِّع ميزانَ وقتك من يديك.

أشياء: نور الحكمة) وهو هنا تحصيل العلم الظاهر ليميز به بين الحق والباطل على مقتضى الحكمة الشرعية، **(وسوء الظن بالنفس)** بأن لا يعتقد أنها تفعل خيراً أصلاً **(وتمييز النعمة من الفتنة)** بأن يفرق بين النعمة التي يراد بها الإحسان والنعمة التي يراد بها الاستدراج، فإن كان ما أنعم به عليه من الدنيا يجمعه عليه تعالى فهو نعمة، وإن فرَّقه فهو فتنة.

(والثاني: أن تميز ما للحقِّ عليك) من وجوب العبودية، والتزام الطاعة، واجتناب المعصية **(عمَّا لك)** من المباح الشرعي، **(أو منك)** أي ما يصدر منك من تطوع وغيره؛ **(لتعلم)** أي تتحقق **(أن الجناية عليك حجَّة)** في وجوب العقاب، **(وأن الطاعة عليك منَّة)** منه عليك؛ فلا تستحق عليها ثواباً، **(وأن الحكم)** وهو نسبة جنايتك، وأفعالك إلى قضائه وقدره **(عليك حجَّة ما هو لك معذرة)** أي ليس فيها معذرة لك، وإن ظننت أن في القضاء والقدر عذراً لك فلست من أهل هذا المقام.

(والثالث: أن تعرفَ أن كلَّ طاعةٍ رضيتَها منكَ) فكأنك قنعتَ بها، ورضيتها لربك؛ **(فهي عليكَ)** لا لك، لأنك إذا رضيت بها فقد توهمت أنك وفَّيْت حق الله بها، وأي طاعة منك تليق بسيدك حتى ترضاها له **(وكل معصية عيَّرتَ بها أخاك)** في الدين **(فهي إليك)**؛ لتضمن بذلك شكر نفسك على الطاعة، فصارت معصيته في شكر نفسك أشد من معصية أخيك، **(فلا تضيِّع ميزانَ وقتك)** أي ميزان المحاسبة بالعدل في كل آن **(من يديك)** أي ميِّز هذه الأشياء وزنها بميزان محاسبة نفسك؛ لئلا تضيع وقتك إذ الخلل في الموازنة في وقت المحاسبة تضييع له والله أعلم.

[4 ـ] باب الإنابة

قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ [الزُّمَر: الآية 54].

الإنابة ثلاثة أشياء: الرجوع إلى الحقِّ تعالى إصلاحاً كما رجع إليه اعتذاراً، والرجوع إليه وفاءً كما رجع إليه عهداً، والرجوع إليه حالاً كما رجع إليه إجابةً.

([5 ـ] باب الإنابة)

أي الرجوع إلى الحق، والفرق بين التوبة والإنابة أن التوبة رجوع عن المخالفة إلى الموافقة، والإنابة الرجوع إلى الله فهي أعلى.

قال تعالى: ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ [الزُّمَر: الآية 54] أي الرجوع إلى الحق، وهي من أقسام التوبة، وإنما جعلت قسمتها باعتبار ما قال الدقاق: «التوبة على ثلاثة أقسام: أولها التوبة، وأوسطها الإنابة، وآخرها الأوبة». والكل يرجع إلى معنى الرجوع، وقال: «التوبة صفة المؤمنين، والإنابة صفة المقربين، والأوبة صفة الأنبياء والمرسلين».

(**قال تعالى:** ﴿وَأَنِيبُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّكُمۡ﴾ [الزُّمَر: الآية 54]) أي أقبلوا على طاعته.

(**الإنابة ثلاثة أشياء: الرجوع**) أي رجوع العبد (**إلى الحقِّ تعالى إصلاحاً**) أي في إصلاح الطاعة، (**كما رجع إليه اعتذاراً**) أي في الاعتذار عن المعصية عند التوبة، (**والرجوع إليه وفاءً**) أي في الوفاء بالوعد، (**كما رجع إليه**) في التوبة (**عهداً**) أي بالعهد (**والرجوع إليه حالاً، كما رجع إليه إجابةً**) أي مقالاً وفعالاً لإجابة داعي الحق عند التوبة، أي يشهد لك صدق حالك بصدق مقالك وفعالك عند إقرارك بالتوبة.

وإنما يستقيم الرجوع إليه إصلاحاً بثلاثة أشياء: بالخروج من التبعات، والتوجع للعثرات واستدراك الفائتات.

وإنما يستقيم الرجوع إليه وفاءً بثلاثة أشياء: بالخلاص من لذَّةِ الذنب، وبترك استهانة أهل الغفلة تخوفاً عليهم ـ مع الرجاء لنفسك ـ وبالاستقصاء في رؤية عِلل الخدمة، وإنما يستقيم الرجوع إليه حالاً بثلاثة أشياء: بالإياس من عملك، وبمعاينة اضطرارك إليه، وشيم برق لطفه بك.

(**وإنما يستقيم الرجوع إليه إصلاحاً بثلاثة أشياء: بالخروج من التبعات**) برد مظالم الحق والخلق، حتى لا يبقى لأحد عليك مطالبة. (**والتوجع للعثرات**) بأن تقيل عثرتك وعثرة أخيك، وتتوجع عند إصابة النائبة لك وله.

(**واستدراك الفائتات**) من صلاة وصوم وزكاة؛ فبهذه الثلاثة يستقيم الرجوع إليه تعالى بالإصلاح.

(**وإنما يستقيم الرجوع إليه وفاءً بثلاثة أشياء: بالخلاص من لذَّةِ الذنب**) بأن تتألم النفس بتذكُّر الذنب الذي كانت تتلذذ بالتفكر فيه، لصفاء الإنابة إليه تعالى (**وبترك استهانة أهل الغفلة**) أي احتقارهم (**تخوفاً عليهم**) من النقمة (**ـ مع الرجاء لنفسك ـ**) الرحمة، فلا تخف عليهم، ولا ترجُ لنفسك وتعذرهم دون نفسك (**وبالاستقصاء في رؤية عِلل الخدمة**) لتعرف كيف تخلصها من حظ النفس.

(**وإنما يستقيم الرجوع إليه حالاً بثلاثة أشياء: بالإياس من عملك**) فلا ترى أن لك عملاً، كيف وقد قال تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْمَلُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [الصَّافات: الآية 96]، وقال تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِى يُسَيِّرُكُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ﴾ [يُونس: الآية 22] وإذا لم يبق لك عمل ظهر لك افتقار إليه تعالى؛ (**وبمعاينة اضطرارك إليه، وشيم برق لطفه بك**) فإن من أصبح فقيراً إلى ربه مضطراً إليه، لاحت له بوارق لطفه، هكذا جرت سنَّته تعالى مع أهل السلوك، لا يلوح لهم بارق المعرفة حتى يفنوا عن رؤية العمل، ويتحققوا بالاضطرار إليه تَقدَّس.

[5 ـ] باب التفكُّر

قال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النّحل: الآية 44]. .

اعلم أن التفكُّر: «تلمُّسُ البصيرة لاستدراك البغية» وهو ثلاثة أنواعٍ: فكرة في عين التوحيد، وفكرة في لطائف الصنعة، وفكرة في معاني الأعمال والأحوال، أما الفكرةُ في عين التوحيد فهي: اقتحامُ بحر الجحود، . . . .

([6 ـ] باب التفكُّر)

(**قال تعالى:** ﴿وَأَنزَلْنَآ إِلَيْكَ ٱلذِّكْرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيْهِمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [النّحل: الآية 44]) في معانيه فيعتبرون بالآيات ويعرفون طريق النجاة.

(**اعلم أن التفكُّر: «تلمُّسُ البصيرة لاستدراك البغية»**) أي تطلب العقل الذي هو للقلب بمنزلة البصر للنفس مطلوبه ليدركه. (**وهو ثلاثة أنواعٍ: فكرة في عين التوحيد**) وهي تنزيه الله عن الشريك (**وفكرة في لطائف الصنعة**) أي محاسنها ودقائق مخلوقاته (**وفكرة في معاني الأعمال**) أي حقائقها التي تصح بها وشروطها المتوقفة عليها وكونها موافقة للأمر الإلٰهي على ما بين في الشرع مقرونة بالإخلاص مبرأة عن الآفات والعلل ومعاني (**والأحوال**) أي حقائق الواردات والهيئات الفائضة على القلوب كمحبة وشوق وأحكامها وشروطها؛ (**أما الفكرةُ في عين التوحيد فهي اقتحامُ بحر الجحود**) لأنها تبعد عن التوحيد، إذ التوحيد الصحيح لا يكون إلا بعد فناء الفكر والمتفكِّر، والفكرة تدل على بقاء الرسم، والتوحيد لا يكون مع بقائه أصلاً، فالفكرة علامة الجحود كما أشار إليه بعض العارفين بقوله:

ولا ينجي منه إلا نور الاعتصام بضياء الكشف، والتمسك بالعلم الظاهر، وأما الفكرة في لطائف الصنعة فهي: ماءٌ يسقي زرعَ الحكمة، وأما الفكرة في معاني الأفعال والأحوال فهي: تسهيل سلوك طريق الحقيقة، . . . .

ما وحَّدَ الواحدَ مِنْ واحِد   إذْ كلّ مَنْ وَحَّدَه جاحِد

والفكر إنما يكون بالعقل والعقل لا يدرك إلا شيئاً مثله، فلا يهتدي إلى التوحيد إلا بالرسوم، والتوحيد لا يكون إلا بفنائها واستهلاك الكل في عين الأحدية ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُۥ﴾ [القَصَص: الآية 88].

(**ولا ينجي منه إلا نور الاعتصام بضياء الكشف**) لا بالفكرة، وهو أن يعتصم الطالب في طلبه بالله حتى يهتدي إليه بنوره لا بغيره ويؤتيه من لدنه علماً. (**والتمسك بالعلم الظاهر**)؛ بأن يقر لله بالوحدانية من غير فكر، بل تصديقاً وإيماناً، وذلك توحيد العوام.

وتوحيد الخواص من لدنه تعالى، وعلامته غيبة الحدوث في القدم، وهو أمر يعجز العقل عن إدراكه.

(**وأما الفكرة في لطائف الصنعة**) أي صنعة الله في مخلوقاته، ومَنْ أحسن من الله صنعة (**فهي ماءٌ**) بالمد (**يسقي زرعَ الحكمة**)؛ فإنها تُقوِّي إدراك حكمة الله وتثبتها، وتحيي زرع الحكمة في قلب المتفكر، فلذلك شبَّهه بالماء، والحكمة المودعة في القلب المفطورة فيه بالقوة بالزرع، فإنها تنمو به، لكن الفكرة في لطائف الصنعة من نعوت أهل البداية، وملاحظة لطائف الأحوال، والتجليات والواردات العرفانية من أوصاف المتوسِّطين، والفناء في التوحيد من أوصاف أهل النهاية، وفوقه نهايات أخرى.

(**وأما الفكرة في معاني الأفعال**)، وهي ملاحظة العبد أن الأعمال الصالحة مِنْ مِنَنِ الله، وأنها منه لا من العبد (**والأحوال**) وهي بوارق التوحيد وإشارات التفريد؛ (**فهي تسهيل سلوك طريق الحقيقة**) لأن الفكرة في الأول تنبه إلى توحيد الأفعال، وهو أول مقامات الوصول، وفي الثاني تدعو إلى حضرة الحقيقة؛ فمن

وإنما يتخلص من الفكرة في عين التوحيد بثلاثة أشياء: بمعرفة عجز العقل، وبالإياس من الوقوف على الغاية، وبالاعتصام بحبل التعظيم.

وإنما تدرك لطائف الصنعة بثلاثة أشياء: بحسن النظر في مبادىء المنن، وبالإجابة لدواعي الإشارات، وبالخلاص من رق الشهوات، . . . .

أجاب داعي تلك الأحوال أوصلته؛ فصح أنهما يسهلان الطريق.

(**وإنما يتخلص من الفكرة في عين التوحيد بثلاثة أشياء: بمعرفة عجز العقل**)؛ فمن أطلعه الله على عجز العقول عن إدراك التوحيد خلص من الفكرة فيه.

(**وبالإياس من الوقوف على الغاية**) التي يحصل بها التوحيد بالتفكر؛ فمن انقطع طمعه عن إدراكها خلص من الفكرة فيه.

(**وبالاعتصام بحبل التعظيم**) أي تعظيمه تعالى عن أن يدركه عقل أو فكر، فمن عرف العجز، وأيس من الغاية اعتصم بتعظيم الله، فتخلص بذلك التعظيم عن التعرض إلى الفكر في عين التوحيد.

(**وإنما تدرك لطائف الصنعة بثلاثة أشياء: بحسن النظر في مبادىء المنن**) بأن ينظر العبد فيما قبل التكوين؛ فيرى أن الخلق ما كانوا يستحقون على الله أن يخلقهم ولا أن يرزقهم؛ بل فعل ذلك مِنَّة ابتداءً، وإذا نظر في مبادئها رآها إشارات دالة على وجوب حق الله على عباده، داعية إلى طاعته*.

(**وبالإجابة لدواعي الإشارات**) وبإجابتها يحصل الفرقان بين الحق والباطل، وبه يقوى إدراك ما غاب من لطائف الصنعة.

(**وبالخلاص من رق**) إتيان (**الشهوات**) أي فعلها، فمن لم يشغله حُب

---

* وفي نسخة وردت هذه الفقرة على النحو التالي: [بأن ينظر فيما يتوقف عليه وجوده من الأسباب، وأنه تعالى أوجده من عدم وخلقه ولم يكن شيئاً مذكوراً، وصوَّره في أحسن صورة، وربَّاه ورزقه ولم يجب عليه شيء من ذلك بل هي مواهب محضة فتنفتح له أبواب لطائف الصنعة في خلقه، ويرى عجائب في تركيبه فيجد في ذلك إشارات داعية لوجوب شكر المنعم وطاعته].

وإنَّما يوقف بالفكرة على مراتب الأعمال والأحوال بثلاثة أشياء: باستصحاب العلم، واتِّهام المرسومات ومعرفة مواقع الغِيَر.

الشهوات، بل أعرض عنها حتى صار حراً؛ أمكنه التفرغ لإدراك لطائف صنع الله، إذ به يصفو وقته، وينجمع خاطره، ويستنير قلبه لمفارقة ظلمة الشهوات.

(**وإنَّما يوقف بالفكرة على مراتب الأعمال والأحوال**) أي إنما تُعرف وتتحقق (**بثلاثة أشياء: باستصحاب العلم**) في الأعمال (**واتِّهام المرسومات**) «وهي الكثرة في الأحوال، فإن الأحوال تمحو الكثرة بأنوار الوحدانية، وهذا مما يُشْرَحُ مشافهة» بل ينقل من قلب إلى قلب، ذكره التلمساني وكشفه نوع كشف القاشاني فقال: العمل إنما يكون بالعلم ويجب أن يكون مطابقاً له، والوقوف على مراتب الأحوال إنما يكون باتهام المرسومات، أما مرسومات الشريعة فلغلبة حكم الحال على حكم العلم، فإن التجلي الشهودي يقدح فيها لأن الشهود يقتضي الفناء، والعمل بالمرسوم يقتضي الوجود للقيام بالخدمة، وأما في مرسومات العبد من نعوته وآثاره وعاداته، فلأنها علل يجب أن تتهم عند تجلي الصفات الإلٰهية ولوامع أنوار التوحيد فإنها تمحو الرسوم والآثار (**ومعرفة مواقع الغِيَر**) ـ بغين معجمة ـ «وهي معاني الواردات، التي تُغَيِّر حكم الشخص، فتنقله من حال إلى أعلى منها، ومن أحكام العلوم إلى أحكام المعارف الخاصة بالأحوال، فإنَّ معاني العلم ما هي المقصود؛ بل طريقه».

وقيل: «مواقع العِبَر»: الاعتبارات التي مطالعة الفكر إياها يرشد إلى الترقي، مثل: أن الوارد يثبت عند السالك أن فعله من الله لا منه؛ بمنزلة قوله: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفال: الآية 17] وهو رفع الفعل عن واحد فواحد، ونسبته إليه تعالى، فاعتبر الفكر ذلك، فوجد رفعه عن الواحد يقتضي رفعه عن الكل، فاعتَبَر ذلك فصحَّ عنده، فانتقل عن الحكم للواحد إلى الحكم للكل، بشهادة ﴿فَلَمْ تَقْتُلُوهُمْ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ قَتَلَهُمْ﴾ [الأنفال: الآية 17]، فمن عرف مواقع الاعتبار وقف بالفكرة على مراتب الأحوال.

[6 ـ] باب التذكُّر

قال الله تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غَافر: الآية 13].

التذكُّرُ فوق التفكُّر فإن التفكُّر طلب، والتذكُّر وجودٌ وأبنية التذكُّر ثلاثة أشياء: الانتفاع بالعِظة، والاستبصار للعبرة، . . . .

([7 ـ] باب التذكُّر)

(قال تعالى: ﴿وَمَا يَتَذَكَّرُ إِلَّا مَن يُنِيبُ﴾ [غَافر: الآية 13]**)** دلَّت الآية على أن التذكر لا يكون إلا بعد الإنابة، وأنها بعد التوبة، لأن التوبة تقتضي المحاسبة التي هي اشتغال برفع الموانع، والإنابة لا تكون إلا بصفاء الفطرة الموجبة للتذكر، والتذكر لا يكون إلا لذي لب خالص عن غواشي النشأة ﴿وما يذكر إلا أولوا الألباب﴾، فلذلك قال:

(التذكُّرُ فوق التفكُّر) وبعد الإنابة **(فإن التفكُّر طلب، والتذكُّر وجودٌ)**؛ لأن التذكر يكون فيما حصل ثم نسيه، فهو يتذكره، فيجده في ذهنه موجوداً.

(وأبنية التذكُّر ثلاثة أشياء: الانتفاع بالعِظة) وهي ما يُتَّعظ به من الحال، [بأن يتأثر بسماع الوعد والوعيد فينفعل من الوعد بالرجاء الباعث على الاجتهاد في العمل، ومن الوعيد بالخوف الباعث على التقوى حذار من المخوف]*.

(والاستبصار للعبرة) وهو زيادة البصيرة ـ عما كانت في مقام التفكر ـ بقوة الاستحضار، لأن التذكُّر يصقل المعاني الحاصلة بالفكر في مواقع العبر، ويقوي العزم على السير؛ لأنه تجديد النظر فيما يحرك الطلب.

---

* وفي نسخة جاءت هذه الفقرة على النحو التالي: [ويكون برؤية الحال، أو سماع القول، وهو التأثر والانفعال].

والظفر بثمرة الفكرة، وإنما ينتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء: بشدة الافتقار إليها، وبالعَمى عن عيب الواعظ، وبذكر الوعد والوعيد.

وإنما يستبصر بالعبرة بثلاثة أشياء: بحياة العقل، ومعرفة الأيام، والسلامة من الأغراض، . . . .

(**والظفر بثمرة الفكرة**) يعني أن العقل حال التفكُّر كان كلّ بتحصيل المعاني فلما تخمّرت في القلب واستراح وعاد فتذكر ما كان حصَّله أدرك المطلوب تماماً وصحَّح ما فاته في حالة التفكُّر وشرع في العمل الصالح فحصَّل به ثمرة الفكرة.

(**وإنما ينتفع بالعظة بعد حصول ثلاثة أشياء: بشدة الافتقار إليها**) وذلك يكون لضعفه في الإنابة والتفكر، (**وبالعَمى عن عيب الواعظ**) فمن عِمِيَ عن عيبه(*)، واشتغل بعيب نفسه، انتفع بالوعظ؛ ومن نظر إلى عيوب واعظه أو شيخه لم ينتفع به؛ وعليه قيل:

اسمع مقالي ولا تنظرْ إلى عملي ينفعْكَ وعظي ولا يَضْرُرْك تقصيري

واستعارة العمى لعدم النظر مبالغة في التحذير عنه. (**وبذكر الوعد**) بالجنة ونعيم المشاهدة (**والوعيد**) بالنار وغضب الجبار، فإذا ذكر ذلك انتفع بالتذكير، وجدّ في السير.

(**وإنما يستبصر بالعبرة**) أي يميز الاعتبار بأهل البلاء، ويحقّقه بآثار من سلف من الأمم؛ ويحقق ذلك (**بثلاثة أشياء: بحياة العقل**) وهو صحة الإدراك، وفهم ما ينفعك فتفعله، وما يضرك فتتركه، وإذا لم يقو الإدراك لم يصح الاستبصار، وإذا لم تتميز المنافع من المضار لم ينتفع بالعبر وقد جرّب القوم أن الإكثار من ذكر يا حي يا قيوم يا مَن لا إلٰه إلا هو يوجب حياة القلب (**ومعرفة الأيام**) أي أيام الله المذكورة في قوله: ﴿وَذَكِّرْهُم بِأَيَّىٰمِ ٱللَّهِۚ﴾ [إبراهيم: الآية 5] أي بعقوباته، (**والسلامة من الأغراض**) أي أغراض الهوى؛ فإنه غرض النفس

(*) أي عيب الواعظ الذي يعظه.

وإنما تجتني ثمرة الفكرة بثلاث: بقصر الأمل، والتأمل في القرآن، وقلَّةِ الخلطة وقلَّة التمنّي وقلَّة التعلُّق وقلة الشبع وقلة النوم.

الأمارة، فمن أطاعها تفقَّهت عليه، وجعلت له القبيح حسناً، فيلتبس عليه الحق بالباطل، فلا ينفعه التذكر، وقد قرر آنفاً أن كل مقام يصحح ما قبله؛ ففي مقام التفكر تجتنى ثمرة مقام الفكرة، فلذلك قال:

(**وإنما تجتني ثمرة الفكرة بثلاث: بقصر الأمل**) فإنه يُزهد في الدنيا، (**والتأمل في القرآن**) أي في أحكامه وزواجره ومواعظه والاعتبار بقصصه وأمثاله فإنه يرغِّب في الآخرة وما عند الله وينور القلب (**وقلَّةِ الخلطة**) فإنها تُفسد الوقت، (**وقلَّة التمنّي**) فإنه عرش الشيطان (**وقلَّة التعلُّق**) بغير الله فإنه شرك (**وقلة الشبع**) فإنه يقسي القلب (**وقلة النوم**) فإنه يوجب الكسل ويكدِّر الحواس ويُورِث النسيان؛ فمن قلّل من هذه الخمسة بأن لا يفعل منها إلا القدر الضروري، وجمع إليها ما تقدم حصل له مقام التذكُّر.

[7 ـ] باب الاعتصام

قال عزَّ وجل: ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عِمرَان: الآية 103]، **وقال:** ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحَجّ: الآية 78] **والاعتصام بحبله: هو المواظبة على طاعته مراقباً لأمره والاعتصام بالله هو الترقِّي عن كل موهوم والتخلُّصُ من كل تردد.**

والاعتصام على ثلاث درجات: اعتصام العامة بالخبر استسلاماً وإذعاناً بتصديق الوعدِ والوعيدِ، وتعظيم الأمر والنهي، وتأسيس المعاملة على

([8 ـ] **باب الاعتصام**) أي الاحتماء

(**قال عزَّ وجل:** ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِحَبْلِ ٱللَّهِ جَمِيعًا﴾ [آل عِمرَان: الآية 103]، **وقال:** ﴿وَٱعْتَصِمُواْ بِٱللَّهِ هُوَ مَوْلَىٰكُمْ﴾ [الحَجّ: الآية 78].

والاعتصام بحبله: هو المواظبة على طاعته) ليحمي المعتصم نفسه عن المخالفة (**مراقباً لأمره**) والمراقبة هنا: «ملازمة نظر القلب إلى صفة الامتثال»، لا طلباً للحظ ولا حذراً من البطش (**والاعتصام بالله**) فوق الاعتصام بحبله، إذ (**هو الترقِّي عن كل موهوم**) بأن يشهد الحق بفناء ما سواه، فلا يرى غيره إلا موهوماً، وشرط صحة هذا المشهد أن يخلص صاحبه من كل ظن وشك ووهم؛ فلذا قال: (**والتخلُّصُ من كل تردد**)؛ فلا يبقى عنده تردد فيما شهده، وقيل: الموهوم «رؤية أنه بنفسه يطيع ويعمل ويعتصم»، والتردد بين رؤية طاعته وعمله، ورؤية فضل ربه.

(**والاعتصام على ثلاث درجات: اعتصام العامة بالخبر استسلاماً وإذعاناً**) أي انقياداً (**بتصديق الوعدِ والوعيدِ، وتعظيم الأمر والنهي، وتأسيس المعاملة على**

اليقين والإنصاف؛ وهو الاعتصام بحبل الله واعتصامُ الخاصَّةِ بالانقطاع وهو صون الإرادة قبضاً، وإسبالُ الخُلق على الخَلق بسطاً، ورفض العلائق عزماً، وهو التمسك بالعروة الوثقى، واعتصام خاصَّة الخاصَّة بالاتِّصال، وهو شهود الحقِّ تفريداً بعد الاستحذاء له تعظيماً والاشتغال به قرباً، . . . .

اليقين) أي يجعل اليقين أساساً يبني عليه العمل، **(والإنصاف؛ وهو الاعتصام بحبل الله)**، وهو قسمان: إنصاف العبد لربه بأن يرى الأمر نصفين: العز والذل، فيعلم أن العزَّة لله وحده، والذل للعبد فيتصف بالذل، ويدع العز لصاحبه.

وإنصاف العبد للخلق: خروجه من مظالمهم، وهذان لأهل البداية.

(واعتصامُ الخاصَّةِ بالانقطاع) أي انقطاع النفس عن أغراضها، **(وهو صون الإرادة قبضاً)** أي قبضها ومنعها عمَّا تتعلَّق به مما سوى الله من الأغراض، فلا تبقى له إرادة البتة. قيل لأبي يزيد: «ما تريد؟» قال: «أنْ لا أريد».

(وإسبالُ الخُلق) ـ بالضم ـ **(على الخَلق)**ـ بالفتح ـ **(بسطاً)** أي يبسط خُلقه لعباد الله، فلا يؤاخذهم؛ فينقطع بذلك عن حظوظ نفسه وأغراضها، **(ورفض العلائق عزماً)** أي يعزم عزماً ماضياً على ترك كل تعلق بالقلب من أحوال الدارين، بل كل ما سوى الله، **(وهو)** أي انقطاع النفس عن أغراضها من الوجوه الثلاثة **(وهو التمسك بالعروة الوثقى)** المذكور في الآية(*).

(واعتصام خاصَّة الخاصَّة) وهم أهل الوصول **(بالاتِّصال)** وصفهم به، وما قبلهم بالانقطاع، ولولا ذلك الانقطاع ما حصل الاتصال، **(وهو شهود الحقِّ تفريداً)** أي يشهده ولا شيء معه، فيشهده منفرداً، لفناء الشاهد في المشهود **(بعد الاستحذاء له تعظيماً)** أي متابعة أمره من غير تخلف، والاستحذاء: طلب المتابعة، من قولهم حذا حذوه.

(والاشتغال به قرباً) أي تقرُّباً، وفي الحديث: «**ما تقرَّب إليَّ المتقرِّبون**

(*) وهي قوله تعالى: ﴿لَآ إِكۡرَاهَ فِي ٱلدِّينِۖ قَد تَّبَيَّنَ ٱلرُّشۡدُ مِنَ ٱلۡغَيِّۚ فَمَن يَكۡفُرۡ بِٱلطَّٰغُوتِ وَيُؤۡمِنۢ بِٱللَّهِ فَقَدِ ٱسۡتَمۡسَكَ بِٱلۡعُرۡوَةِ ٱلۡوُثۡقَىٰ لَا ٱنفِصَامَ لَهَاۗ وَٱللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ﴾ [البقرة: الآية 256].

وهو الاعتصام بالله.

بمثل أداء ما افترض عليهم، ولا يزال العبد يتقرَّب إليَّ بالنوافل حتى أحبه»[1]
أو معنى «الاشتغال به قرباً»: أن يشغله قرب الحق بصفة الاستيلاء والغلبة، فالله غالب على أمره؛ فليس للعبد من أمر الله شيء؛ ليس فيه لسواه سبحانه حكم ولا إضافة ولا اعتبار، فيشغله الحق بصفة القرب المذكور **(و)** ذلك **(هو الاعتصام بالله)** عصمك منك لتكون به، لا بك.

(1) رواه بنحوه البخاري في صحيحه، باب التواضع، حديث رقم (6137) [5/ 2384] ورواه بنحوه ابن حبان في الصحيح ذكر الإخبار عما يجب على المرء من الثقة بالله تعالى. . .، حديث رقم (347) [2/ 58] ورواه غيرهما.

[8 ـ] باب الفرار

قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذّاريَات: الآية 50].

الفرار: هو الهربُ مِمَّا لم يكن إلى مَن لم يزل.

وهو على ثلاث درجات: فرار العامَّة من الجهل إلى العلم عقداً وسعياً، ومن الكسل إلى التشمير جداً وعزماً، ومن الضيق إلى السعة ثقة ورجاء، وفِرارُ الخاصَّة من الخبَر إلى الشهود، . . . .

([9 ـ] باب الفرار)

قال تعالى: ﴿فَفِرُّوٓاْ إِلَى ٱللَّهِ﴾ [الذّاريَات: الآية 50].

الفرار: هو الهربُ مِمَّا لم يكن) وهو الخلق، **(إلى مَن لم يزل)** وهو الحق.

(وهو على ثلاث درجات: فرار العامَّة من الجهل إلى العلم عقداً وسعياً) أي يتبع علماء الشرع عقيدة، والعلماء العاملين في العمل بالجوارح، **(ومن الكسل إلى التشمير جداً)** أي بصدق همة، وكمال نشاط، **(وعزماً)** أي بعزم قوي لا فتور فيه، وعبَّر بـ«التشمير» عن النهضة لأن العادة أن من عزم على فعل شيء مهم شمر أثوابه وتحزَّم، وذلك آية النشاط، **(ومن الضيق)** أي من ضيق الصدر من تحمُّل همّ الرزق له ولعياله **(إلى السعة ثقة)** بالله الذي ضمن رزقه من حيث لا يحتسب، **(ورجاء)** لما عنده، فعبَّر عن الثقة وحسن الظن بالله بالسعة.

(وفِرارُ الخاصَّة من الخبَر) الذي هو النقل عن الغائب **(إلى الشهود)** أي الحصول على العيان الحاضر، الذي هو التجلي، وهو يدعوهم إلى الفناء حالاً بعد حال تدريجاً، وهو لأرباب الأحوال، ومن قبلهم أرباب الأعمال.

ومن الرسوم إلى الأصول، ومن الحظوظ إلى التجريد، وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق إلى الحق، ثم من شهودِ الفِرار إلى الحق، ثم الفرارُ من الفِرارِ إلى الحق.

ففرار أرباب الأحوال: تمسكهم بمواجيد القلوب، وإجابة واردات الغيوب، فإنهم أهل الأخذ عن الله.

(**ومن الرسوم إلى الأصول**) أي من أحكام العلم والعمل إلى خشوع السر للعرفان، فإن الحاصل من التجليات، فإنه لا يقبل لهم من العمل إلا ما أثبته لهم التعرف الإلٰهي، وسمَّى هذه التعريفات «أصولاً» لأن المعرفة هي الأصل التي لأجله أمرنا بالعلم والعمل ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ﴿٥٦﴾﴾ [الذّاريَات: الآية 56] أي ليعرفون.

(**ومن الحظوظ إلى التجريد**) أي من أغراض النفوس في حق العُبَّاد، وشطحات التوحيد في حق أرباب الأحوال إلى التجرد عنها، والمراد هنا الثاني.

(**وفرار خاصة الخاصة مما دون الحق إلى الحق، ثم من شهودِ الفِرار إلى الحق، ثم الفرارُ من الفِرارِ إلى الحق**) يعني يفرُّ أولاً من الخلق إلى الحق، فيشهد انفراد مشهوده؛ لكن يبقى معه ملاحظة أنه فر من الخلق، فيفر ثانياً من شهود فراره منهم، فتنقطع النسبة بينه وبينهم، ولا يبقى فيه إلا ملاحظة ذلك فيفر بالله إلى الله منه، فتنقطع جميع النسب؛ والفرار الثالث ليس بتعَمُّل ولا تَكسُّب.

[9 ـ] باب الرياضة

قال تعالى: ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: الآية 60]

الرياضة: تمرين النفس على قبول الصدق.

وهي ثلاث درجات:

رياضة العامة وهي: تهذيب الأخلاق بالعلم، وتصفية الأعمال بالإخلاص، وتوفر الحقوق في المعاملة.

([10 ـ] باب الرياضة)

(**قال تعالى:** ﴿وَٱلَّذِينَ يُؤْتُونَ مَآ ءَاتَوا۟ وَّقُلُوبُهُمْ وَجِلَةٌ﴾ [المؤمنون: الآية 60]).

أي خائفة أن ما آتوه لا يقبل لفقد الإخلاص، واستشهاده بالآية يدل على أنه أراد بالرياضة تصفية الأعمال بصدق الإخلاص.

(**الرياضة: تمرين النفس**) أي تعويدها (**على قبول الصدق**) أي قبولك للصدق إذا أخبرت به، أو قبول صدور الصدق منك في الأخبار وفي الأوصاف النفسية، ومن صدق في نفسه صدَّق غيره؛ فيحتاج المبتدىء إلى قبول الصدق بالمعنيين.

(**وهي ثلاث درجات:**

رياضة العامة: وهي تهذيب الأخلاق بالعلم) بأن لا يتحرك حركة خارجة عما يسوغه الشرع قولاً وفعلاً (**وتصفية الأعمال بالإخلاص**)؛ بأن يخلص قلبه عند العمل من الرياء والعجب، (**وتوفر الحقوق**) أي سلامتها من النقص (**في المعاملة**) بأن ينصف الحق بالخروج من العز الذي هو وصفه، إلى الذل الذي هو وصف العبد والخلق، حتى يلقى الله وليس لأحد منهم عنده مظلمة، وسَمَّى

ورياضة الخاصة: حسمُ التفرُّق وقطعُ الالتفات إلى المقام الذي جاوَزه وإبقاء العلم يجري مجراه.

ورياضة خاصة الخاصة: تجريد الشهود والصعود إلى الجمع ورفض المعاوضات والمعارضات.

تكلف الثلاثة «رياضة» لمشقتها على النفس.

(**ورياضة الخاصة: حسمُ التفرُّق**) بأن يبالغ فيه حتى ينجمع القلب عما سوى الله، (**وقطعُ الالتفات إلى المقام الذي جاوَزه**) فلا يلتفت إليه، لكونه عبر عنه؛ بل ولا لأشرف رتبة عند الله ينالها المقربون، بل يكون خالياً من المطالب، حتى لا يعبد الله لعلة شيء وإن كان عظيماً، (**وإبقاء العلم يجري مجراه**)؛ بأن يعلم أن التعرف الإلٰهي لا يطالب بفراق السنَّة، بل ينقل من سنَّة إلى سنَّة، ومن فرض لآخر.

(**ورياضة خاصة الخاصة: تجريد الشهود**) أي تخليصه من علائق الأسماء والصفات، فإنه شأن المتوسطين (**والصعود إلى الجمع**) أي شهود الصعود إلى الفناء في الذات، (**ورفض المعاوضات**) ما عاوضه من شغل أقصاه، وما خطر له على عمله من عوضٍ كرهه.

أو (**والمعارضات**) الواقعة بين الأسماء، كالاسم «الباسط» يعارض «القابض»، فمعارضتها أن شهود الذات تنقل إلى حضرة الجمع بصفة الفناء عن نسبة شاهد ومشهود، لما فيها من الثنوية، وقطع المعارضات؛ لشهوده أن الحق ما أعطاه شيئاً عوض شيء.

وأحوال خاصة الخاصة لا تكون بتعمُّل ولا اكتساب أصلاً في كل مقام، وإنما سمَّاه «رياضة» تجوزاً، أو لأنهم ربما ردوا، بل ارتقوا إلى البقاء الذي هو بعد الفناء، فيرتاضون في كتمان سر هذه الحضرة وفي ردٍّ بواطنهم إلى شهودها دائماً، فإنها الوطن الأول والمآل الآخر.

[10 ـ] باب السماع

قال تعالى: ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفَال: الآية 23].

نكتة: السماع حقيقة الانتباه.

وهو على ثلاث درجات: سماع العامَّة بثلاثة: إجابةُ زجر الوعيد رغبة، وإجابةُ دعوة الوعد جهداً، وبلوغ مشاهدة المنة استبصاراً.

وسماع الخاصة ثلاثة: شهود المقصود في كل رمز، . . . .

([11 ـ] باب السماع)

(**قال تعالى:** ﴿وَلَوْ عَلِمَ ٱللَّهُ فِيهِمْ خَيْرًا لَّأَسْمَعَهُمْ﴾ [الأنفَال: الآية 23])، الخير وهو ما فيه صلاحهم (**نكتة: السماع حقيقة الانتباه**) والانتباه على قدر المنتبه، فإذا سمع معنى تنبَّه على نصيبه من ذلك، وقيل: «السماع حاد يحدو كل أحد إلى وطنه»، فينتبه بالسماع كلّ أحد إلى المقصود الخاص به.

(**وهو على ثلاث درجات: سماع العامَّة بثلاثة: إجابةُ زجر الوعيد**) أي انتهاره؛ (**رغبة**) من العبيد في امتثال الأمر لا كرهاً، (**وإجابةُ دعوة الوعد جهداً**) أي امتثال الأمر طلباً للوصول إلى الموعود به، ببذل جهده في ذلك، (**وبلوغ مشاهدة المنة استبصاراً**) بأن يتنبه السامع في سماعه إلى أن كل ما لحقه من خير وشر نعمة منه تعالى، حيث أعطاه بلا استحقاق، وخصّه بالامتحان، ولو أهمله كان أبلغ في الهوان.

(**وسماع الخاصة ثلاثة: شهود المقصود في كل رمز**) وعليه قيل:

من كلِّ معنى لطيف اجتلى قدحاً   وكلُّ ناطقة في الكون تطربني[1]

---

(1) لم أعثر على اسم قائل هذا البيت.

والوقوف على الغاية في كلِّ حينٍ، والخلاص من التلذُّذ بالتفرُّق، وسَماعُ خاصَّة الخاصة: سماع يغسل العلل عن الكشف، ويصل الأبد بالأزل، ويرد النهايات إلى الأول.

وبهذا تمَّ قسم البدايات

وإنما أطربته كل ناطقة لكونه سمعها من محبوبه الأول.

(والوقوف على الغاية في كلِّ حينٍ) أي يقف في كل مسموع على ملاحظة الغاية، وهي الحق ـ تقدَّس ـ ليس وراء الله مرمى، ولا دونه مستقر.

(والخلاص من التلذُّذ بالتفرُّق) بأن لا يتلذذ بعالم التفرقة، ومنه التلذذ بالسَّماع فيشغله التلذذ به عن الحق؛ فينبغي أن يتفرق من لذة ذلك السماع، أو يفارق أولئك الجماعة ليتخلص من غلبة لذته.

(وسَماعُ خاصَّة الخاصة: سماع يغسل العلل عن الكشف) أي ينفي الشبه عنه ـ إذ منه الري من كل عطش، والهداية من كل دهش ـ فلا تبقى شبهة سابقة ولا لاحقة إلا حصل جوابها دفعة واحدة **(ويصل الأبد بالأزل)** فينتفي حكم الزمان فكيف المكان، **(ويرد النهايات إلى الأول)** بأن يشهد الخاتمة عين السابقة؛ لأنها خط الدائرة إلى نقطة مبدئها؛ فيصير الآخر هو الأول، والأبد هو الأزل، والحق ولا شيء سواه. وبهذا تمَّ قسم البدايات.

قسم الأبواب

وأما قسم الأبواب فهو عشرة: الحزن، والخوف، والإشفاق، والخشوع، والإخبات، والزهد، والورع، والتبتُّل، والرَّجاء، والرغبة.

لكل سالك باب منها يغلب على قلبه تكون منه نهضته، ودخوله في السلوك، فطوبى لمن دخل من جميع الأبواب كالصدِّيق رضي الله عنه.

[11 ـ] باب الحزن

قال تعالى: ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا﴾ [التّوبَة: الآية 92].

الحزن: توجُّع لغائب أو تأسُّفٌ على ممتنع.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: حزنُ العامَّة: وهو حزنٌ على التفريط في الخدمة وعلى التورُّط في الجفاء وعلى ضياع الأيام.

والدرجة الثانية: حزنُ أهل الإرادة؛ وهو حزنٌ على تعلُّق القلب بالتفرقة،

([12 ـ] باب الحزن)

سنح تعريفه وقد ينسى سببه، ثم هو قد يكون محموداً، وقد يكون مذموماً، (**قال تعالى:** ﴿تَوَلَّواْ وَّأَعۡيُنُهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ حَزَنًا﴾ [التّوبَة: الآية 92].

الحزن: توجُّع لغائب) أي تألُّم لمطلوب غائب عنه، (**أو تأسُّفٌ على ممتنع**) أي على أيام عمره التي مضت بلا عمل وامتنع ردها.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: حزنُ العامَّة: وهو حزنٌ على التفريط في الخدمة) وهو غير التفريط في العمل، فإن الأبواب فوق البدايات، فالخدمة من باب الأخلاق لا الأعمال؛ ولذلك ذكر مع التفريط فيها التورط في الجفاء بقوله: (**وعلى التورُّط في الجفاء**) إذ معناه فوق معنى المعصية، فالمعصية من البدايات، والجفاء من مقام الأبواب، والمعصية قرينة الوحشة، (**وعلى ضياع الأيام**) وهي في قسم البداية التفريط في العمل، وفي هذا القسم خلوها من الأنس.

(**والدرجة الثانية: حزنُ أهل الإرادة؛ وهو حزنٌ على تعلُّق القلب بالتفرقة،**

وعلى اشتغال النفس عن الشهود وعلى التسلِّي عن الحزن، وليست الخاصَّة من مقام الحزن في شيءٍ، ولكن الدرجة الثالثة من الحزن: التحزُّن للمعارضات ـ دون الخواطر ـ ومعارضات القصود والاعتراضات على الأحكام.

وعلى اشتغال النفس عن الشهود) أي عن الذكر الذي هو سببه؛ فإن الشهود يقهر النفس؛ فلا تتمكن من التشاغل عنه، **(وعلى التسلِّي عن الحزن)** فإن الحزن شريف بالنسبة لما تحته، وشرفه بشرف المحزون، كما أن شرف العلم بشرف المعلوم، فإذا فقد الحزن، وتسلى عنه حزن على التسلي عن الحزن.

(وليست الخاصَّة من مقام الحزن في شيءٍ) لأنه فقد، وهم أهل وجدان، **(ولكن الدرجة الثالثة من الحزن: التحزُّن للمعارضات ـ دون الخواطر ـ)** يعني معارضات معاني التجليات، فإن من حصل له تجلّ من الجمال فيتعلق بالبسط. فإن المعارضة في حقه من تجلٍّ آخر من عالم الجلال، فيتعلق بالقبض، وينحصر تحت قهر الانقباض، فيحزن على عالم الجمال، وليس ذلك من الخواطر بل من التجليات.

(ومعارضات القصود) وهي أن يقصد في سلوكه إلى الله طريقاً شريف يختارها، فيسلك به الحق غيرها، لكونه أعلم بما يليق به، فيحزن على عدم حصول قصده له، **(والاعتراضات)** الواقعة من أرباب الأحوال **(على الأحكام)** الجارية عليهم سهواً، وعليه فيحزنون عند إدراكهم لما فرط منهم من سوء الأدب، وقد يعترضون على بعض أحكام العلم الظاهر ببادىء الرأي لهجوم المعرفة عليهم، فإذا هم تمكنوا أدركوا صحة العلم الظاهر في طوره، وصحة المعارف في طورها؛ فيحزنون على تسرعهم في الاعتراض، وعلى ما فاتهم من فضل التسليم للعلم أولاً، وهذه أمور تجدها أهل المواجيد.

[12 ـ] باب الخوف

قال الله تعالى: ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النّحل: الآية 50].

الخوف: الانخلاع عن طمأنينةِ الأمن بمطالعة الخبَر.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الخوفُ من العقوبة، وهو الخوف الذي يصح به الإيمان؛ وهو خوف العامة، ويتولَّد من تصديق الوعيد، وذكر الجناية، ومراقبة العاقبة.

الدرجة الثانية: خوف المكر في جريان الأنفاس المستغرقة في اليقظة، المشوبة بالحلاوة، . . . .

([13 ـ] باب الخوف)

هو فزع القلب من مكروه يناله، أو محبوب يفوته. وسببه:

(**قال الله تعالى:** ﴿يَخَافُونَ رَبَّهُم مِّن فَوْقِهِمْ﴾ [النّحل: الآية 50]) أثنى الله على هؤلاء لمكان خوفهم فدل على أن الخوف مقام جليل.

(**الخوف: الانخلاع عن طمأنينةِ الأمن بمطالعة الخبَر**)، وهو استحضار الخبر الوارد من الله على لسان رسوله ﷺ بأنواع الترهيب.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: الخوفُ من العقوبة. وهو الخوف الذي يصح به الإيمان؛ وهو خوف العامة، ويتولَّد من تصديق الوعيد، وذكر الجناية، ومراقبة العاقبة) وهو دوام حضور الذهن مع ما يراقبه، والعاقبة الآخرة.

(**الدرجة الثانية: خوف المكر في جريان الأنفاس المستغرقة في اليقظة، المشوبة بالحلاوة**)؛ فإن من حصل له اليقظة بلا غفلة، واستغرقت أنفاسه فيها،

وليس في مقام أهل الخصوص وحشةُ الخوف إلا هيبة الجلال، وهي أقصى درجة يشار إليها في غاية الخوف، وهي هيبةٌ تعارض المكاشِفَ أوقات المناجات، وتصونُ المشاهِدَ أحيان المسامرة، وتقصم المعايِنَ ـ بالعين المهملة ـ بصدمة العزَّة.

واستحلى ذلك، إذ الحضور في اليقظة حلو ـ فصاحب هذا المقام يعرض له خوف المكر، فيخاف أن يسلب الحلاوة.

(وليس في مقام أهل الخصوص وحشةُ الخوف إلا هيبة الجلال)؛ لأنهم أهل وصول؛ والخوف يكون مع الانقطاع، والجلال: «نعت إلٰهي يُعطي في القلوب هيبة وتعظيماً»، ﴿وَلَهُ ٱلْحُكْمُ﴾ [القَصَص: الآية 70]، ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ﴾ [الصَّافات: الآية 180]، ﴿وَمَا قَدَرُواْ ٱللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِۦٓ﴾ [الأنعَام: الآية 91].

(وهي أقصى درجة يشار إليها في غاية الخوف)، والهيبة: «مشاهدة جلال الله في القلب»، **(وهي هيبةٌ تعارض المكاشِفَ أوقات المناجات)** أي تمنع المشاهدين الانبساط، وتجمعه على حفظ الأدب، **(وتصونُ المشاهِدَ أحيان المسامرة)** فالمشاهدة توجب الإدلال، والهيبة تصون المشاهد منه، والمسامرة أخص من المناجاة، فإنه لا يسامر ـ أي يساهر الليل في المباسطة والاطلاع على الأسرار ـ إلا كل حبيب، فالهيبة تصونه في أحيان المسامرة من الإخلال **(وتقصم المعايِنَ ـ بالعين المهملة ـ بصدمة العزَّة)**؛ فإن أنوار العزة ـ إذا اصطلمت الولي ـ تقصمه، أي ترده إلى إدراكه.

وفي نسخ: «تقصم العاين»ـ بالقاف ـ أي تغيبه بصدمة العزة، لاقتضاء هذا المقام أن يطلب صاحبه رؤية الحق بالمعاينة، وهي الرؤية بالعين.

[13 ـ] باب الإشفاق

قال تعالى: ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطُّور: الآية 26].

الإشفاق: دوام الحزن مقروناً بالترحم رحمة عليها وإبقاء لها.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: إشفاقٌ على النفس أن تجمح إلى العناد، وإشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع، وإشفاق على الخليقة لمعرفة معاذيرها.

والدرجة الثانية: إشفاقٌ على الوقتِ أن يشوبَه تفرُّقٌ، . . . .

([14 ـ] باب الإشفاق)

(**قال تعالى:** ﴿إِنَّا كُنَّا قَبْلُ فِيٓ أَهْلِنَا مُشْفِقِينَ﴾ [الطُّور: الآية 26].

الإشفاق: دوام الحزن مقروناً بالترحم)؛ لأن المشفق على نفسه يحذر الموبقات رحمة عليها وإبقاء لها، (**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: إشفاقٌ على النفس أن تجمح إلى العناد) أي تميل ميلاً شديداً بالهوى إلى مخالفة الحق فشبَّه العاصية بالفرس الجموح أي المائل عن مطاوعة الفارس في طريق الهوى (**وإشفاق على العمل أن يصير إلى الضياع)** بأن لا يفعل غير صالح (**وإشفاق على الخليقة)** من المؤاخذة؛ (**لمعرفة معاذيرها)** أي رحمة على الخلق وحذراً من مؤاخذتهم بالعقوبة لعلمه أنهم معذورون في العصيان إذ لا تصدر حركة إلا بمشيئته تعالى فهو يعلم أنهم من حيث القَدَر معذورون.

(**والدرجة الثانية: إشفاقٌ على الوقتِ أن يشوبَه تفرُّقٌ)** أي يحذر من تفرقة

وعلى القلب أن يزاحمه عارض، وعلى اليقين أن يُداخِله سببٌ.

والدرجة الثالثة: إشفاقٌ يصون سعيَه عن العجب، ويكفُّ صاحبَه عن مخاصمة الخَلْق، ويحمل المريدَ على حفظ الحَدِّ.

قلبه عن الحضور، **(وعلى القلب أن يزاحمه عارض)** من فترة أو مِلال أو ورود شبهة تُناقض الحال، ونحو ذلك من كل شيء يعوق السالك، **(وعلى اليقين)** أي الثقة بالله في إتيانه برزقه **(أن يُداخِله سببٌ)**؛ فإن السبب يناقض ذلك، فهو يحذر على ما عاهده عليه الله من اليقين في التوكل أن يرجع إلى السبب.

(والدرجة الثالثة: إشفاقٌ يصون سعيَه عن العجب، ويكفُّ صاحبَه عن مخاصمة الخَلْق، ويحمل المريدَ على حفظ الحَدِّ) بأن يرى سعيه توفيقاً من الله وعطاءً منه لا من نفسه فيعرض له الإعجاب ويتطاول به على الخلق فيكون سعيه وبالاً عليه ويحذر الجفاء والمخاصمة لأهل المعاصي لرؤية أعذارهم واحترازاً من نسبة الفعل إلى الغير ويحافظ على الحمد شكراً لله ليزيد في توفيقه.

[14 ـ] باب الخشوع

قال الله تعالى: ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحَديد: الآية 16].

الخشوع: خمودُ النفس وهمودُ الطباع لمتعاظَم أو مُفزع.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: التذلُّل للآمر، والاستسلام للحُكم، والاتِّضاع لنظر الحق.

والدرجة الثانية: ترقُّبُ آفات النفس و العمَل، . . . .

([15 ـ] باب الخشوع)

وهو الخضوع مع محبة لمن خشع له أو خاف منه.

(**قال الله تعالى:** ﴿۞ أَلَمْ يَأْنِ لِلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَن تَخْشَعَ قُلُوبُهُمْ لِذِكْرِ ٱللَّهِ وَمَا نَزَلَ مِنَ ٱلْحَقِّ﴾ [الحَديد: الآية 16]) الخشوع بالحقيقة خضوع ممزوج بخوف أو محبة فهو إنكسار النفس فلذلك فسره بقوله:

(**الخشوع: خمودُ النفس**) أي إمساكها عن الانبساط، (**وهمودُ الطباع**) أي سكون قوى النفس (**لمتعاظَم**)ـ بفتح الظاء ـ أي من له عظمة، ومهابة في القلوب (**أو مُفزع**) أي له سطوة تُخشى ونقمة تُتَّقى.

(**وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: التذلُّل للآمر، والاستسلام للحُكم، والاتِّضاع لنظر الحق**)؛ بأن تعبد الله كأنك تراه، فتخشع له.

(**والدرجة الثانية: ترقُّبُ آفات النفس**) وهو انتظار ظهور نقائصها، وذلك يقتضي كونه خاشعاً ذليلاً لعلمه بنقائص نفسه، (**و**) آفات (**العمَل**) وهو أن يداخله

ورؤية فضل كل ذي فضل عليك، وتنسُّمُ نسيم الفناء.

والدرجة الثالثة: حفظ الحرمة عند المكاشفة، وتصفيةُ الوقت من مراءاة الخَلْق، وتجريدُ رؤية الفضل.

نحو رياء، أو عجب، أو فتور، أو تشتت نية، (**ورؤية فضل كل ذي فضل عليك**) بأن يراعي حقوق الخلق فيؤديها، ولا يطالبهم بحق نفسه، ويعرف فضل غيره، وينسى فضل نفسه (**وتنسُّمُ نسيم الفناء**) وهو مبادىء ظهور التجلي الإلٰهي على أسرار المكاشف؛ فإنه يدعوه إلى الإحساس بالفناء وهو باب التوحيد.

(**والدرجة الثالثة: حفظ الحرمة عند المكاشفة**) بأن يعارض البسط ـ الموجب للأول ـ بالقبض الحافظ للحرمة، (**وتصفيةُ الوقت من مراءاة الخَلْق**) بأن يخفي كراماته بالخشوع عن رؤية الناس لها؛ لئلا تؤديه إلى الرياء، (**وتجريدُ رؤية الفضل**) يعني شهود توحيد الأفعال، فلا يرى إحساناً إلا من فضله تعالى، والتجريد: «تخليص الفضل لصاحبه»، ومعنى الخشوع هنا: أن يشهد أن ما حصل له إنما هو بالله لا بعمل ولا استحقاق.

[15 ـ] باب الإخبات

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحَجّ: الآية 34].

الإخبات من أوائل مقامات الطمأنينة، وهو ورودُ المسافر من الرجوع والتردد.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تستغرق العصمة الشهوة، . . . .

([16 ـ] باب الإخبات)

وهو السكون إلى من انجذب إليه بقوة الشوق، قال تعالى: ﴿وَأَخْبَتُوٓاْ إِلَىٰ رَبِّهِمْ﴾ [هود: الآية 23] أي سكنوا.

قال الله تعالى: ﴿وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ﴾ [الحَجّ: الآية 34].

(الإخبات) وهو السكون إلى الله، **(من أوائل مقامات الطمأنينة)** يعني المقام الذي يلي مقام الإحسان، ويسمى مقام السكينة، وهو عند أول إحساس القلب بالواردات من الغيب **(وهو ورودُ المسافر من الرجوع والتردد)** أي من الرجوع عن السلوك، وعن التردد في أنه هل يرجع أو لا؟، وهل يقبل أو يُدبر؟، وقيل: «ورود المسافر» يعني به ورود السالك إلى الله إلى مشرب الأنس بالوارد والخطاب، فمعنى وروده من الرجوع: خلاصه من الغيبة إلى مورد المناجاة والخطاب والتنزُّلات.

(وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تستغرق العصمة الشهوة) بأن تستوفي جميع أجزائها، وذلك آية الدخول في مقام السكينة، وهي الإخبات، والاستغراق: «الاحتواء

وتستدرك الإرادةُ الغفلة، ويستهوي الطلبُ السلوةَ.

والدرجة الثانية: أن لا ينقض إرادتَه سببٌ، ولا يوحش قلبَه عارِضٌ، ولا يقطع عليه الطريق فتنة.

والدرجة الثالثة: أن يستوي عنده المدحُ والذمُّ، وتدومَ لائمتُه لنفسه، ويعمَى عن نقصان الخَلْق عن درجته.

على الشيء كله بحيث لا يبقى منه شيء»، وأول مقام السكينة: التخلص من تردد الخواطر بين الإقبال والإدبار إلى الاستقامة، والدوام على الحضور **(وتستدرك الإرادةُ)** أي إرادة الله، فارط **(الغفلة، ويستهوي الطلبُ السلوةَ)** أي تغلب المحبة السلوة، فالطلب هنا المحبة، والاستهواء الغلبة، فشبه الطلب بالبئر أو الهوَّة، والسلوة بشيء يهوي فيها أي يقع، وهو استعارة لغلبة المحبة على السلو.

(والدرجة الثانية: أن لا ينقض إرادتَه سببٌ، ولا يوحش قلبَه عارِضٌ) يعني لا يبقى فيه بقية توحش قلبه بعد الأنس بالله، والنقض هنا: الرجوع عن الإرادة، والعارض المخالف **(ولا يقطع عليه الطريق فتنة)** بأن يتمكن من صحة الإرادة حتى إذا فتن ـ أي اختبر ـ لا تؤثر الفتنة فيه.

(والدرجة الثالثة: أن يستوي عنده المدحُ والذمُّ، وتدومَ لائمتُه لنفسه) بأن يبغض نفسه ويروم فراقها، لا أنه يلومها على التفريط، فإن صاحب هذا النعت فوق مقام المفرطين، **(ويعمَى عن نقصان الخَلْق عن درجته)** أي يعمى عن نسبة حاله وإن كان أعلى، وعن اعتبار أحوال الخلق بالنسبة إليه؛ لاستغراقه في الحضور مع الله.

[16 ـ] باب الزهد

قال الله تعالى: ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [هُود: الآية 86].

الزهدُ إسقاط الرغبة عن الشيء بالكليَّة، وهو للعامَّة: قُربةٌ وللمريد: ضرورة وللخاصَّة: خشية خِسَّة حِسبة.

([17 ـ] باب الزهد)

هو الإعراض بالقلب عن الدنيا، وهو رأس كل طاعة؛ لأنه ضد حب الدنيا الذي هو رأس كل خطيئة، ولو لم يكن فيه إلا أنه يبعد به عن الدنيا ـ التي هي ملعونة الله ـ لكفى به شرفاً.

(**قال الله تعالى:** ﴿بَقِيَّتُ ٱللَّهِ﴾ [هُود: الآية 86] أي ما ادخره الله للعبد في خزائن غيبه أو فضله القديم ﴿خَيۡرٞ لَّكُمۡ﴾ [هُود: الآية 86] مما تستجلبونه بأعمالكم ﴿إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [هُود: الآية 86] موقنين بأن اختيار الحق لكم خير من اختياركم لأنفسكم، فدل هذا على أن الزهد في الدنيا إنما هو للرغبة فيما عند الله.

(**الزهدُ إسقاط الرغبة عن الشيء بالكليَّة**) حتى لا يبقى له فيه بقية.

(**وهو للعامَّة: قُربةٌ**) حسنة تقرب إلى الجنة، (**وللمريد: ضرورة**) لأنه لا يصح له التحلي لما هو بصدده إلا بإسقاط الرغبة عما سوى مطلوبه، فالمريض مضطر إلى الزهد (**وللخاصَّة: خشية**) أي خوف على ما حصل لهم من القرب أن يتكدر صفوه، لعدم حصول التمكن لهم في مقامهم، والانتقال إلى مقام خاصة الخاصة.

وفي نُسخ (خِسَّة)ـ بسين مهملة ـ أي التفات قلوبهم للدنيا ـ وإن كان

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الزهد في الشبهة ـ بعد ترك الحرام ـ بالحذر من المعتبة والأنفة من المنقصة وكراهة مشاركة الفُسَّاق.

والدرجة الثانيةُ: الزهد في الفُضول و ما زاد على المُسكة والبلاغ من القوت باغتنام التفرُّغ إلى عمارة الوقت وحسم الجأش والتحلي بحلية الأنبياء والصديقين.

والدرجة الثالثة: الزهد في الزهد.

للزهد ـ فيها خِسّة أي نزول عن مقامهم، إذ ليس لهم مع الله اختيار.

وفي نسخ (حِسبة)ـ بموحدة تحتية بعد المهملة ـ أي ليس زهدهم فيها من ضرورتهم كما للمريد، بل زهد حسبة، وتأسٍ بالأنبياء والصدِّيقين.

(وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الزهد في الشبهة) أي ما يشتبه عليك هل هو حلال أم حرام؟ وزاد قوله: **(ـ بعد ترك الحرام ـ)** إيماء إلى أن الزهد فيه لا يدخل في درجات الطائفة **(بالحذر من المعتبة)** أي للخوف من توجُّه العتب، **(والأنفة من المنقصة)** فلا يرضى لنفسه المنقصة، **(وكراهة مشاركة الفُسَّاق)** حيث لم يبالوا بتناول الشبهات، فسبب الزهد الحذر والأنفة والكراهة المذكورة.

(والدرجة الثانيةُ: الزهد في الفُضول) الذي يفضل عن القوت، **(و)** هو **(ما زاد على المُسكة)** أي ما يمسك الرمق، **(والبلاغ من القوت)** يعني البلغة من العيش، وهو قدر الضرورة؛ **(باغتنام)** أي بسبب اغتنام **(التفرُّغ إلى عمارة الوقت)** إذ الشغل بالدنيا يفوت انتهاز فرصة الوقت، **(وحسم الجأش)** أي قطع الاضطراب، والاضطراب أن يزهد تارة، ويرغب في الدنيا أخرى، **(والتحلي بحلية الأنبياء والصديقين)** أي التخلق بأخلاقهم.

(والدرجة الثالثة: الزهد في الزهد.

وهو بثلاثة أشياء: باستحقار ما زهدت فيه، واستواء الحالات عندك، والذهاب عن شهود الاكتساب ناظراً إلى وادي الحقائق.

وهو بثلاثة أشياء: باستحقار ما زهدت فيه)؛ فلا ترى أن ما تركته يستحق أن يجعل قرباناً؛ لأن الدنيا وما فيها لا تساوي عند الله جناح بعوضة.

(واستواء الحالات) فيه **(عندك)**؛ فترى أن ترك ما زهدت فيه وأخذه سيان؛ لكونه لا قدر له.

(والذهاب عن شهود الاكتساب) فمن استصغر الدنيا، واستوى عنده وجودها وعدمها لم ير أنه اكتسب بتركها درجة عند الله، أو أنه إذا شاهد تصرف الله في العطاء والمنع، والأخذ والترك؛ لم ير أنه ترك ولا أخذ شيئاً؛ لكونه **(ناظراً إلى وادي الحقائق)** أي ناظراً بعين الحقيقة إلى وحدانية الفاعل الحق، فكيف يرى الاكتساب مَنْ نظر الأشياء بعين الجمع، وسلك في وادي الحقائق بالحق؟!

ولم يذكر خاصة الخاصة هنا؛ لأنهم لا يتقيدون بأخذ ولا ترك؛ بل يتركون وقتاً ـ واختيارهم من اختيار الله، ويأخذون وقتاً كذلك الزاهد مقيد بالترك.

[17 ـ] باب الورع

قال الله تعالى: ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدَّثِّر: الآية 4].

الورع: توقّ مستقصى على حذر أو تحرُّجٌ على تعظيم وهو آخر مقام الزهد للعامَّة، وأول مقام الزهد للمريد.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تجنُّب القبائح لصون النفس، وتوفير الحسنات،

([18 ـ] باب الورع)

هو ترك الشبهات، وهو الورع المندوب الشائع، وقد يطلق على ترك الحرمات، وهو الورع الواجب وكل منهما مطلوب.

(**قال الله تعالى:** ﴿وَثِيَابَكَ فَطَهِّرْ ۝٤﴾ [المدَّثِّر: الآية 4]) استشهد بها إعلاماً بأن الحرام نجس، وما قرب من النجس يتنجس، وأن الورع هو الذي يطهر دنس القلب، كما يطهر الماء دنس الثوب.

(**الورع: توقّ مستقصى على حذر**)؛ بأن يتوقى الحرام والشبهات غاية التوقِّي، مع الحذر التام (**أو تحرُّجٌ على تعظيم**) أي تضييق على النفس بأن لا يفسح لها في تناول شبهة، يفعل ذلك تعظيماً لأمر الله، (**وهو آخر مقام الزهد للعامَّة، وأول مقام الزهد للمريد**) أي هذا المذكور تمام ورع العامة، وبداية ورع المريد ثم نزع بفصل ورع المريد، فقال:

(**وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: تجنُّب القبائح لصون النفس**) أي صون النفس غيرة عليها من القبائح، (**وتوفير الحسنات**) أي حفظ الحسنات

وصيانة الإيمان.

والدرجة الثانية: حفظُ الحدود عند ما لا بأس به، إبقاءً على الصيانة والتقوى وصعوداً عن الدناءة، وتخلُّصاً عن اقتحام الحدود.

والدرجة الثالثة: التورُّع عن كل داعية تدعو إلى شتات الوقت، و التعلُّق بالتفرُّق و عارض يعارض حال الجمع.

الحاصلة، ورعاية الأدب فيها، وطلب المزيد، **(وصيانة الإيمان)** عما يدنسه ويخل بكماله؛ وهذه الثلاثة مختصة بالمريد، فإن نفس العامي غير طاهرة فيغار عليها، وجهده تحصيل الحسنات لا توفيرها، بل ربما حفَّها بسوء الأدب، وأوفر أقسامه: تحصيل أول ما يصدق عليه به أنه مؤنس، ثم قد يعرض له ريب ووسواس، فيضطرب اضطراباً لا يخرجه عن الإيمان؛ لكونه يرجع فيفارقه الشك تصديقاً وتقليداً، والمريد فوق ذلك.

(والدرجة الثانية: حفظُ الحدود عند ما لا بأس به، إبقاءً على الصيانة والتقوى) أي يترك كثيراً من المباح خوفاً على الصيانة أن يتكدر صفوها، والفرق بينه وبين صاحب الدرجة الأولى: أن ذاك يسعى في تحصيل الصيانة، وذا يسعى في صون صفوها عن الكدر، **(وصعوداً عن الدناءة)** أي وتنزُّهاً عن الشبهات، **(وتخلُّصاً عن اقتحام الحدود)** أي حدود الله: وهي ما حرَّمه على عباده.

(والدرجة الثالثة: التورُّع عن كل داعية تدعو إلى شتات الوقت)، وهو الشغل بما سوى الحق تقدَّس، **(و)** عن **(التعلُّق بالتفرُّق)** عن الحق، وهو فوق حال من قبله؛ لأن ذاك يحفظ صفو الصيانة عن الكدر، وذلك عند هذا تفريق عن الحق، **(و)** عن كل **(عارض يعارض حال الجمع)** من عمل أو سبب، بأن يستغرق شهود فنائه في الوحدانية عن ذكر شتات الوقت، وعن ذكر التفرق أو الحضور؛ لأنه في غنية عنهما، وحال الجمع عندهم: «بقاء من لم يزل بعد فناء مَنْ لم يكن»، وذلك هو الحق المبين.

[18 ـ] باب التبتُّل

قال الله تعالى: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل: الآية 8] **التبتل الانقطاع بالكليَّة.**

وقوله عزّ وجل: ﴿إِلَيۡهِ﴾ **دعوة الحق إلى التجريد المحض.**

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأُولى: تجريدُ الانقطاع عن الحظوظ واللُحوظ إلى العالَم؛ خوفاً، أو رجاء، أو مبالاة بحالٍ بحسم الرجاء بالرضا، وقطع الخوف بالتسليم، . . . .

([19 ـ] باب التبتُّل)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ تَبۡتِيلٗا﴾ [المزمل: الآية 8].

التبتل) وهو (**الانقطاع**) إليه (**بالكليَّة**). قال تعالى: ﴿وَتَبَتَّلۡ إِلَيۡهِ﴾ [المُزمّل: الآية 8]، (**وقوله عزّ وجل:** ﴿إِلَيۡهِ﴾ **دعوة الحق إلى التجريد المحض**) أي دعوة الله لعبده أن يتجرد عن كل ما سواه فإن العابد المنقطع عن الدنيا لأجل الآخرة لم ينقطع لله بل للجنة، فالمتبتل له هو من جرد نفسه عما سواه والتجريد المحض أن يجرده إليه عن نفسه وغيره.

(**وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأُولى: تجريدُ الانقطاع عن الحظوظ**) وهو الاشتغال بالله عن النفس وحظوظها، (**واللُحوظ إلى العالَم؛ خوفاً، أو رجاء، أو مبالاة بحالٍ**) أي والانقطاع عن ملاحظة العالم من جهة الخوف والرجاء والمبالاة؛ فلا يخافهم ولا يرجوهم، ولا يبالي بهم، وحينئذ فالتبتل من نعت المريد لا العامة؛ إذ لا بد لهم من ملاحظة الخلق، وذلك إنما يكون (**بحسم الرجاء بالرضا**) أي بحسم مادة الرجاء للخلق بالرضا بحكم الله، (**وقطع الخوف بالتسليم**) أي وبحسم مادة الخوف بالتسليم لله، ومن سلم إليه لم يخف

ورفض المبالاة بشهود الحقيقة.

والدرجة الثانية: تجريد الانقطاع عن التعريج على النفس بمجانبة الهوى، وتنسُّم روح الأنس وشيم برق الكشف.

والدرجة الثالثة: تجريد الانقطاع إلى السبق، بتصحيح الاستقامة والاستغراق في قصد الوصول، والنظر إلى أوائل الجمع.

من الخلق، لأن نفسه التي يخاف عليها منهم سلّمها له، فلم يبق له ما يخاف عليه، (**ورفض المبالاة بشهود الحقيقة**) بهم؛ برؤية الأشياء منه تعالى، فلا يخاف المخلوق، ولا يبالي به؛ وهذه الدرجة لتجريد الانقطاع عن الخلق، والآتية لتجريد الانقطاع عن النفس كما قال:

(**والدرجة الثانية: تجريد الانقطاع عن التعريج على النفس**) وذلك بثلاثة أشياء (**بمجانبة الهوى**) وهو أول شيء يتركه المريد من النفس (**وتنسُّم روح الأنس**) لأن النفس لا بدَّ لها من التعلق فلما بطل تعلقها بهواها كان في الأنس بالله مثواها، وبهذا الثاني يبتدئ الإعراض عن النفس بعد إعراضه عن الهوى إذ من الأنس بداية الفناء (**وشيم برق الكشف**) أي النظر إليه لتعلم أي مكان ينزل الغيث، فشبه لائحة الكشف بالبرق.

(**والدرجة الثالثة: تجريد الانقطاع إلى السبق، بتصحيح الاستقامة**) وهي الإعراض عما سوى المقصود الحق، (**والاستغراق في قصد الوصول**) بأن يشغله طلب الوصول عن كل شيء، (**والنظر إلى أوائل الجمع**)، وهو مقام الوقفة ومنه يقع الفناء.

[19 ـ] باب الرجاء

قال الله تعالى: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: الآية 21].

الرجاء أضعف منازل المريد لأنه معارضةٌ من وجه واعتراضٌ من وجه، وهو وقوع في الرعونة في مذهب هذه الطائفة . . . .

([20 ـ] باب الرجاء)

ـ بالمد ـ بمعنى الأمل، وسيجيء بيانه، **وسببه**: الدوام على الأعمال الصالحة.

(**قال الله تعالى**: ﴿لَّقَدۡ كَانَ لَكُمۡ فِي رَسُولِ ٱللَّهِ أُسۡوَةٌ حَسَنَةٞ لِّمَن كَانَ يَرۡجُواْ ٱللَّهَ﴾ [الأحزاب: الآية 21]) أي بالبعث والجزاء.

(**الرجاء أضعف منازل المريد لأنه معارضةٌ من وجه**)؛ إذ الراجي يخصص بإرادته ما يؤمله، وما يدريه لعل اختيار الحق ومراده غيره، فكأنه عارضه تعالى، (**واعتراضٌ من وجه**) لأن مَنْ تعلق به قد يخطر بقلبه أنه ما للغني تعالى حاجة بعذاب خلقه، واللائق بكرمه العفو، ولمَ لا يشمل الكل بالرحمة؟ حتى كأنه أعلم بالحكمة من خالقه، وكفى به اعتراضاً.

(**وهو وقوع في الرعونة في مذهب هذه الطائفة**) فإن الرعونة: الوقوف مع حظ النفس، وذلك عين الرجاء، لتعلقه بالراحات، والطائفة أول طريقها الخروج عن النفس، فضلاً عن شهواتها، إذ مرادهم أن يكونوا بالله لا بأنفسهم حتى قالوا:

أُريدُكَ لا أُريدُكَ لِلثَّوابِ ولَكِن أُريدُكَ لِلعِقابِ

إلا ما فيه من فائدة واحدة، ولهذا نطق باسمها التنزيل والسُنَّة، ودخل في مسالك المحقِّقين، وتلك الفائدة كونه يُبرد حرارةَ الخوف، حتى لا يفضي إلى الإياس.

والرجاءُ على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: رجاء يبعث العامل على الاجتهاد، ويولِّد التلذُّذَ بالخدمة، ويوقظ الطباع للسماحة بترك المناهي.

فـكـلُّ مـآرِبـي قَـد نِـلـتُ مـنـهـا   سِوى مَـلـذوذِ وَجْـدي بِـالـعَـذابِ[1]

ولو كان نفس التلذُّذ مقصوداً أيضاً من العذاب كان رعونة؛ لكنه أراد أن يرى حُسن رضاه من أحكام مولاه بما لا دخل للرجاء فيه، ولا حظَّ للنفس فيه (**إلا ما فيه من فائدة واحدة**) عظيمة الموقع، وإن كان له فوائد كثيرة.

(**ولهذا نطق باسمها التنزيل والسُنَّة، ودخل في مسالك المحقِّقين، وتلك الفائدة كونه يُبرد حرارةَ الخوف، حتى لا يفضي**) بصاحبه (**إلى الإياس**) من الرحمة الذي هو كفر، وللراجي تعلق بالله من حيث اسمه «المحسن»، وهو الذي أوجب له الرجاء من حيث لا يدري ومن حيث يدري، ولا يعرض ذلك المرض ـ وهو حرارة الخوف وشدته ـ إلا لعامة هذه الطائفة بخلاف السالكين.

(**والرجاءُ على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: رجاء يبعث العامل على الاجتهاد، ويولِّد التلذُّذَ بالخدمة**) بأن يفرح بما يحصل له في مقابلها، فهو ملتذ بالسبب لرجائه في المسبَّب، (**ويوقظ الطباع**) فإذا سمع الوعيد على الترك تيقظ بحكم الطبع (**للسماحة بترك المناهي**) أي المحرمات الملتذة كالزنا، فإنه إذا رجا الحور الحسان هان عليه ترك مصائد الشيطان، ولولا ذلك لم تسمح نفسه بترك ما نُهِيَ عنه.

---

(1) هذان البيتان من البحر الوافر، وهما للحسين بن منصور الحلاج المولود سنة 244 هجرية والمتوفى سنة 309 هجرية. وتفعيلة البحر الوافر هي: مفاعلتن مفاعلتن فعولن. [الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي].

والدرجة الثانية: رجاءُ أرباب الرياضة أن يبلغوا موقفاً تصفو فيه هممهم برفض الملذوذات، ولزوم شروط العلم، واستقصاء حدود الحميَّة.

والدرجة الثالثة: رجاءُ أرباب القلوب، وهو رجاءُ لقاء الحقِّ عزَّ وجلَّ الباعث على الاشتياق المنغِّص للعيش المزهِّد في الخلق.

(**والدرجة الثانية: رجاءُ أرباب الرياضة**) وهم الذين يجاهدون في نفوسهم بترك مألوفها، ورجاؤهم (**أن يبلغوا**) مقصودهم من الرياضة، وهو أن يصلوا (**موقفاً تصفو فيه هممهم برفض الملذوذات**)؛ فيصفو لهم الوقت بترك الملذوذات، (**ولزوم شروط العلم**) أي أحكام الشرع، (**واستقصاء حدود الحميَّة**) أي النخوة التي تحميه عن الالتفات إلى الشهوات أو الحمية: التحرُّز.

(**والدرجة الثالثة: رجاءُ أرباب القلوب، وهو رجاءُ لقاء الحقِّ عزَّ وجلَّ**) وهو حظ أربابها؛ فإن أهل الرياضة مشغولون بتطهير القلوب، وهؤلاء طُهِّرَت قلوبهم فعلقت بها محبة المحبوب الحق، فلا جرم كان هو (**الباعث على الاشتياق**) وهو يكون في الحضور، والشوق في الغَيبة، ولذلك يبقى بعد الوصول إلى المحبوب، (**المنغِّص للعيش**) أي عيش الدنيا، (**المزهِّد في الخلق**) بسبب الأنس بالحق، أو بما هو أعلى منه.

[20 ـ] باب الرغبة

قال الله تعالى: ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ [الأنبيَاء: الآية 90].

الرغبة ألحقُ بالحقيقة من الرجاء، وهي فوق الرجاء لأن الرجاء طمعٌ يحتاج إلى تحقيق، والرغبة سلوك على تحقيق، والرغبة على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: رغبة أهل الخير تتولَّد من العلم، فتبعث على الاجتهاد المنوط بالشهود، . . . .

([21 ـ] باب الرغبة)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ﴾ [الأنبيَاء: الآية 90].

الرغبة ألحقُ بالحقيقة من الرجاء، وهي فوق الرجاء) أي بدايتها من الرجاء؛ (**لأن**) الرغبة رجاء وزيادة، فالرجاء من الرغبة ولا عكس، و(**الرجاء طمعٌ يحتاج إلى تحقيق، والرغبة سلوك على تحقيق**) أي طمع في مغيب عنه مشكوك بخلاف الرغبة، لا تكون إلا بعد تحقق ما رغب فيه.

(**والرغبة على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: رغبة أهل الخير**) وهي (**تتولَّد من العلم، فتبعث على الاجتهاد**) أراد بالخير قوة الإيمان القريب من الأحسان، بدليل جعل تولده من العلم بالكتاب والسنَّة، ودليل قرب هذا الإيمان من الإحسان قوله: (**المنوط بالشهود**) أي شهود مقام الإحسان، وهو «**أن تعبد الله كأنك تراه**»[1] وأما شهود الحق فهو فوق هذا.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب سؤال النبي ﷺ جبريل عليه السلام. . .، حديث رقم (50) [1/ 27] ورواه مسلم في صحيحه، باب بيان الإيمان والإسلام والإحسان. . .، حديث رقم (8) [1/ 36] ورواه غيرهما.

وتصون السالك عن وهن الفترة، وتمنع صاحبها من الرجوع إلى غثاثة الرخص.

والدرجة الثانية: رغبةُ أرباب الحال، وهي رغبة لا تبقي من المجهود إلا مبذولاً، ولا تدع للهمة ذبولاً، ولا تترك غير المقصود مأمولاً.

والدرجة الثالثة: رغبةُ أهل الشهود، وهي تشرُّف تصحَبه تقيَّةٌ وتحمله همّةٌ نـقـيَّة. . . . .

(**وتصون السالك عن وهن الفترة**) أي ضعف الفتور في العمل، (**وتمنع صاحبها من الرجوع إلى غثاثة الرخص**) شَبَّه الرخص باللحم الغث الذي تكرهه النفس الشريفة.

(**والدرجة الثانية: رغبةُ أرباب الحال**) وهي رغبة مقترنة بالغلبة، بحيث تخرجهم إلى ما فوق طاقة البشر حتى يصيروا بمنزلة الفَرَاش الذي يلقي نفسه في النار، ولا يلتفت لما أصابه، وهذا معنى قوله: (**وهي رغبة لا تبقي من المجهود إلا مبذولاً**) أي لا تترك شيئاً غير مبذول، (**ولا تدع للهمة ذبولاً**) بل يصير في كل ساعة، بل كل نَفَس في مزيد، (**ولا تترك غير المقصود مأمولاً**) أي لا تترك في القلب حظّاً لغير المقصود الحق تعالى ـ لا من حظ دنيوي ولا أخروي ـ وذلك لسلطان التجلي القاهر لعالم الخلق بملاحظة سطوة الحق.

(**والدرجة الثالثة: رغبةُ أهل الشهود**) أي شهود الحقيقة، فهو خلاف الشهود المذكور في الأولى، (**وهي تشرُّف**) أي تطلع، وملاحظة ـ بالقلب ـ إلى الرب سبحانه مع الهيبة له، وهو معنى قوله: (**تصحَبه تقيَّةٌ**) أي حذر وهيبة.

وفي نسخ: «تشوَّف»، وهو طلب الغيبوبة في فناء شاهد ومشهود.

وقوله: «تصحبه تقية» من التفات، فإنه في الحضرة، وأدبها يأبى الالتفات، وإن كانت هذه الحضرة يستحيل فيها الالتفات؛ إذ هي تنفي ما سواها، ولا تُبقي للأغيار أثراً في حماها. ويحتمل أن يريد التشرُّف أنه يشهد لنفسه شرفاً خَصَّه الحق به، وهو يستره تقية (**وتحمله همّةٌ نقيَّة**) أي تحمله على الرغبة همة نقية من الدنس، أي دنس التفرق، ولذلك قال:

لا تبقى معه من التفرُّق بقيَّة.

وهنا تمَّ قسم الأبواب

(**لا تبقى معه من التفرُّق**) أي شهود الأغيار (**بقيَّة**)؛ فصاحب هذه الهمة قد انطوى في بساط الفناء، وأذهب نور العين عند المتى والأين، وكان في الغاية القصوى لا في مطلع الأضواء، واحتجب حتى لا ينشر منشوره ولا يطوى.

قسم المعاملات

وأما قسم المعاملات فهو عشرة أبواب: وهي: الرعاية، والمراقبة، والحرمة، والإخلاص، والتهذيب، والاستقامة، والتوكُّل، والتفويض، والثقة، والتسليم.

ولما انفتحت أبواب الغيث على العبد بإشراق نور الحق وانعكاسه إلى النفس تعلق القلب بسماء الحضرة الإلٰهية بانفتاح عين البصيرة وتمرنت النفس بالطاعة فيأخذ القلب في المفاعلة مع الحق بقوة اليقين وظهور آثار الأنس بطلوع أنوار القدس وتأخذ النفس في الاطمئنان وموافقة القلب في الترقي إلى مقامه واكتساب خواصه فأول ما يبتدئ به من المعاملات هي الرعاية.

[21 ـ] باب الرعاية

قال الله تعالى: ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحَديد: الآية 27]

الرعايةُ: صونٌ بالعناية، وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: رعاية الأعمال.

والدرجة الثانية: رعاية الأحوال.

والدرجة الثالثة: رعاية الأوقات، فأما رعايةُ الأعمال: فتوفيرُها بتحقيرها والقيام بها من غير نظر إليها، وإجراؤها مجرى العلم لا على التزين بها.

([22 ـ] باب الرعاية)

(**قال الله تعالى:** ﴿فَمَا رَعَوْهَا حَقَّ رِعَايَتِهَا﴾ [الحَديد: الآية 27]). الرهبانية المبتدعة في دين المسيح هي كالتصوف في دين الإسلام وكما كانت الرهبانية إنما كتبت عليهم ابتغاء رضوان الله، فكذا التصوف المبتدع كتبه الله علينا ابتغاء رضوانه وكما لزمهم رعايتها كما ينبغي لزمنا مراعات التصوف حق رعايته فلذلك قال: (**الرعايةُ: صونٌ بالعناية**) أي صون النفس عن المخالفة والنظر إلى الغير بالعناية الأزلية، (**وهي على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: رعاية الأعمال، والدرجة الثانية: رعاية الأحوال، والدرجة الثالثة: رعاية الأوقات، فأما رعايةُ الأعمال: فتوفيرُها) أي سلامتها من النقص، وقبولها للزيادة (**بتحقيرها**) بالنسبة لما يجب عليه (**والقيام بها**) أي توفيتها حقها على التمام: أركاناً وسنناً وآداباً (**من غير نظر إليها**) حذر العُجْب، (**وإجراؤها مجرى العلم**) بأن يكون العمل على موجب العلم الشرعي المقتضي للإخلاص (**لا على التزين بها**) للناس.

وأما رعايةُ الأحوال: فهو أن تَعُدَّ الاجتهادَ مراءاة، واليقين تَشبُّعاً، والحال دعوى.

وأمَّا رعاية الأوقات: فأن يقف مع خطوه، ثم أن يغيب عن خَطْوه بالصفاء من رسمه، ثم أن يذهب عن شهود صفوه.

(وأما رعايةُ الأحوال: فهو أن تَعُدَّ الاجتهادَ مراءاة) أي تتهم نفسك في ذلك **(واليقين تَشبُّعاً)** فإذا أعرض عما في أيدي الناس يتهم نفسه في التوكل في الرزق لكونه مضموناً، وليقل هذا مني تشبُّع لا يقين، والتشبُّع: الافتخار بما لا يملكه، كأن يقول: «أنا شبعان وأنت جائع»، وفي حديث: «المُتَشبِّع بما لم يُعطَ كلابس ثَوبَيْ زُور»[1]، وفي نسخ بدل «اليقين» النفَس ـ بفتح الفاء ـ ومعناه: يَعُدُّ نفسه تشبُّعاً بما لا يملك من تَنَفُّسه، وهو التأوُّه.

(والحال دعوى) أي ويعد الحال الغالب عليه أنه دعوى كاذبة، يفعل ذلك كله قهراً للنفس، وتطهيراً لها من الرعونة، وتخلصاً للقلب من نصيب الشيطان.

(وأمَّا رعاية الأوقات: فأن يقف مع) كل **(خطوه)** وهي التقدم في السير إلى الحضرة **(ثم أن يغيب عن خَطْوه بالصفاء من رسمه)** أي يغيب عن شهود أنه مُقدَّم بنفسه، فإن رسمه نفسه، والنفس كدر، فإذا غاب عن شهود نفسه حصل الصفاء من الكدر، **(ثم أن يذهب عن شهود صفوه)** ويشتغل عن الصفو والكدر بالمقام الأطهر الأقدس.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب المتشبع بما لم ينل. . .، حديث رقم (4921) [5/ 2001]، ورواه المسلم في صحيحه، باب النهي عن التزوير في اللباس وغيره. .، حديث رقم (2129) [3/ 1681] ورواه غيرهما.

[22 ـ] باب المراقبة

قال الله تعالى: ﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ [الدّخَان: الآية 59]، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التّوبَة: الآية 10].

المراقبة: دوامُ ملاحظة المقصود.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: مراقبةُ الحقِّ ـ سبحانه ـ في السير إليه على الدَّوام من تعظيم مُذهل ومداناةٍ حاملة . . . .

([23 ـ] باب المراقبة)

(**قال الله تعالى:** ﴿فَٱرْتَقِبْ إِنَّهُم مُّرْتَقِبُونَ ۝٥٩﴾ [الدّخَان: الآية 59]، ﴿لَا يَرْقُبُونَ فِى مُؤْمِنٍ إِلًّا وَلَا ذِمَّةً﴾ [التّوبَة: الآية 10]).

قال الشيخ التلمساني: الآيتان لا دخل لهما هنا، ولعله قصد التبرُّك بذكرهما، أو معنى آخر. وقال القاشاني: وجه الاستشهاد بالآية أن المراقبة كما فسرها دوام ملاحظة المقصود وهو الحق تعالى، وفي الآية أمر النبي بملاحظة جناب الحق وانتظار التأييد والنصر منه والمداومة على ذلك ما دام المناوئ ينتظر غيره ويرتقبه، والمراقبة من أفعال القلب، فهي دوام ملاحظة جناب الحق بالقلب.

(**المراقبة: دوامُ ملاحظة المقصود**) أي دوام حضور القلب معه، أو دوام طموح البصيرة إلى المطلوب المحبوب.

(**وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: مراقبةُ الحقِّ ـ سبحانه ـ في السير إليه على الدَّوام من تعظيم مُذهل**) بأن لا ينسى العظمة المذهلة عند

وسرورٍ باعث.

والدرجة الثانية: مراقبة نظر الحقِّ إليك، وذلك برفض المعارضة وبالإعراض عن الاعتراض، ونقض رعونة التعرُّض.

والدرجة الثالثة: مراقبة الأزل بمطالعة عين السبق استقبالاً لعلم التوحيد،

ملاحظة القلب إلى المقصود المعبود **(ومداناةٍ)** أي قرب من الدنو **(حاملة)** أي تحمله تلك المداناة على دوام التعظيم الذي يذهله عن الإحساس بنفسه وبغيره، وهذا وهبي لا كسبي، والحضور بالقلب إنما هو الباب الذي منه يجد هذه الأسباب، فإذا وجدها حملته على التعظيم، **(وسرورٍ باعث)** فصاحب هذه المداناة يجد طرباً فينبسط لذلك وينبعث.

(والدرجة الثانية: مراقبة نظر الحقِّ إليك) وهو نقيض مراقبتك الحق؛ لأن مراقبتك له بحضورك معه بقلبك، ومراقبة نظره إليك بالغيبة لا بالحضور معه، **(وذلك برفض المعارضة)** أي بتركها، **(وبالإعراض عن الاعتراض)** أي بترك الاعتراض على الله في أفعاله وصفاته، فأي معنى بدا لك شهوده ـ من صفاته، وأطلعك عليه من معاني شواهده ـ لم يكن لك فيه اعتراض، لكن ترك الاعتراض عليه في صفاته يحكم عليك بترك الاعتراض قهراً، ولو أردت خلافه لم تقدر.

(ونقض رعونة التعرُّض) وهو بقاء العبد مع حواسه ومشاعره عند مراقبة الحق وهو من سوء الأدب، فيجب أن يتخلص من ذلك باستغراقه بنظر الحق إليه، فيذهل عن نفسه وعمَّا منه، ليكون عند نظره إليه متهيأً للفناء، ومن كان مراقباً لنظر الحق، ثم أحسَّ بشيء من حديث النفس أو الخواطر فقد تعرَّض واستدعى عوالم نفسه للحضور بحضرة الحق تعالى.

(والدرجة الثالثة: مراقبة الأزل بمطالعة عين السبق) أي بشهوده سبقه تعالى للموجودات في حضرةِ «كنت كنزاً»[1] **(استقبالاً لعلم التوحيد)**ـ بكسر العين ـ أي

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2016) [2/ 173].

ومراقبة ظهور إشارات الأزل على أحايين الأبد، ومراقبة الإخلاص من ورطة المراقبة.

يستقبل علم التوحيد، ـ وبالفتح ـ أي يستقبل أعلامه الظاهرة، وهذه المراقبة وهبيَّة لا مقدورية؛ لكن إذا تهيأ السالك لما في الدرجتين قبله حصلت له، هذه سنَّة الله مع عباده.

(ومراقبة ظهور إشارات الأزل على أحايين الأبد) أي اتصال الأزل بالأبد في شهوده، بأن يشهد الحقَّ الآن كما كان، وعلى ما هو الآن يكون بعد فناء الأكوان، و«الأحايين»: الأزمان، فكأنه يقول: إن المشاهد يتصل ـ في نظره ـ الأزلُ الذي لا بداية له بالأزمنة التي يعقل لها بداية، وهي أزمنتنا، ثم يتصل ذلك كله فتصير الأزمنة الثلاثة واحداً لا ماضٍ ولا آتٍ.

(ومراقبة الإخلاص من ورطة المراقبة) وذلك فناء المشاهد في نفسه، فإنه ما دام باقياً تلزمه المراقبة، وهي ورطة، ومَنْ لاح له هذا المشهد الأقدس خلص من نفسه، فضلاً عن المراقبة، فأشار بخلاصه من المراقبة إلى خلاصه من نفسه وعوالمها وقلبه وعوالمه.

[23 ـ] باب الحرمة

قال الله تعالى: ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحَجّ: الآية 30].

الحرمة: التحرُّج عن المخالفات والمجاسرات.

وهي على ثلاث درجات:

الأولى: تعظيم الأمر والنهي، لا خوفاً من العقوبة ـ فتكون خصومة للنفس ـ ولا طلباً للمثوبة ـ فيكون مُسْتَرقّاً للأجرة ـ ولا مشاهداً لأحد. . . . .

([24 ـ] باب الحرمة)

(**قال الله تعالى:** ﴿ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ حُرُمَٰتِ ٱللَّهِ﴾ [الحَجّ: الآية 30]) أي الحقوق التي تجب رعايتها (﴿فَهُوَ خَيْرٌ لَّهُۥ عِندَ رَبِّهِۦ﴾ [الحَجّ: الآية 30]).

وأول ما يراعى من الحقوق الموافقة بالطاعة ولهذا قال:

(**الحرمة: التحرُّج عن المخالفات والمجاسرات**) أي التضييق عليها ومنعها من المخالفة، والتجاسر على المحرمات.

(**وهي على ثلاث درجات: الأولى: تعظيم الأمر والنهي، لا خوفاً من العقوبة ـ فتكون خصومة للنفس ـ**)؛ فإن الخائف منها لا يزال يخاصم نفسه، فيقول: «يا نفس إياك والمخالفة فإنها توقع في العذاب. فإذا غلبته أقبل عليها باللوم والسب وأبغضها، ولا يزال الخصام بينهما حتى يكون تعظيمه للأمر والنهي لأجل أنه تعالى عظيم يلزم عباده تعظيمُ أمره ونهيه لاستحقاقه لذلك (**ولا طلباً للمثوبة ـ فيكون مُسْتَرقّاً للأجرة ـ**) لأن طالبها أجير، والأجير إذا أخذ أجرته انصرف، والسالك مقيم بباب سيده دائماً، (**ولا مشاهداً لأحد**) أي ولا يعظم

فيكون متديناً بالمراءاة، فإن هذه الأوصاف كلها شعب من عبادة النفس.

والدرجة الثانية: إجراءُ الخبر على ظاهره، وهو أن يُبقي أعلام توحيد العامة الخبريَّة على ظواهرها، ولا يَتحمَّل البحث عنها تعسفاً، ولا يتكلَّف لها تأويلاً، ولا يتجاوز ظواهرها تمثيلاً، ولا يدَّعي عليها إدراكاً، أو توهُّماً.

والدرجة الثالثة: صيانةُ الانبساط أن تشوبَه جرأةٌ، . . . .

الأمر والنهي ليشكره أحد أو يعتقده؛ (**فيكون متديناً بالمراءاة**) أي يكون فعله فعل الذين يتدينون بالرياء (**فإن هذه الأوصاف كلها شعب من عبادة النفس**) يعني أنَّ خائف العقوبة مشتغل بحفظ نفسه من العذاب، فهو عبد نفسه لسعيه في مصلحتها، وكذا مشاهد الخلق في عبادته، لأنه متوجِّه لطلب تعظيمها عندهم.

(**والدرجة الثانية: إجراءُ الخبر**) الوارد في الكتاب والسنَّة، سيما آيات وأحاديث الصفات (**على ظاهره**) بأن يعتقد مفهومه العامي المتبادر للفهم، على وفق اعتقاد العامة.

(**وهو أن يُبقي أعلام توحيد العامة**) أي أدلته (**الخبريَّة على ظواهرها**) أي يقرها على ما جاءت به (**ولا يَتحمَّل البحث عنها**) أي لا يلتزم البحث عنها (**تعسفاً، ولا يتكلَّف لها تأويلاً**) ليخرجها عن ظاهرها، (**ولا يتجاوز ظواهرها تمثيلاً**) ولا يضرب الأمثال لبيانه، بل يمررها على مراد الله ورسوله، ﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمۡ زَيۡغٞ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَٰبَهَ مِنۡهُ﴾ [آل عِمرَان: الآية 7] (**ولا يدَّعي عليها إدراكاً، أو توهُّماً**) غير إدراك العامة فيها، والقصد أن لا يعدل عن الظاهر لا إلى وهمٍ ولا إلى تحقيقٍ؛ بل يُسلِّمه لله، وبهذا القدر تتم الحرمة المختصة بالدرجة الثانية.

(**والدرجة الثالثة: صيانةُ الانبساط أن تشوبَه جرأةٌ**) فيبوح ببعض أسرار الحضرة، والغالب على أهل المشاهدة الانبساطُ، لكن بعضهم يحفظ الحق عليه صورة الآداب فلا يبوح ولا يشطح. قال الشبلي: «شربتُ بالكأس الذي شرب بها الحلاج، فصحوتُ وسكر الحلاج»، فبلغه؛ فقال: «لو شرب بها سكر كما سكرتُ»، فترافعا للجنيد فقال: «يقبل قول الصاحي على السكران»، فرجَّحَ الشبلي لحفظ الأدب عليه.

وصيانة السرور أن يداخله أمن، وصيانة الشهود أن يعارضه سبب.

(**وصيانة السرور أن يداخله أمن**) أي يصون المشاهدُ سروره عن مقارنته بالأمن من مكر الله (**وصيانة الشهود أن يعارضه سبب**) من ورود شبهة تكدره، أو المعارض: التفات الشاهد ـ حال شهوده ـ إلى نفسه وأحوالها، فبسبب هذا الالتفات يُحرم من الشهود، فيجب صون شهوده عنه.

[24 ـ] باب الإخلاص

قال الله تعالى: ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: الآية 3].

الإخلاص: تصفيةُ العمل من كل شوب.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: إخراج رؤية العمَل من العمَل، والخلاصُ من طلب العوض على العمل، والنزول عن الرضا بالعمل.

والدرجة الثانية: الخجل من الله مع بذل المجهود، . . . .

([25 ـ] باب الإخلاص)

(**قال الله تعالى:** ﴿أَلَا لِلَّهِ ٱلدِّينُ ٱلْخَالِصُ﴾ [الزُّمَر: الآية 3]) أي لا يكون الدين الصافي عن كل شائبة من نحو رياء أو عجب أو تزيّن إلا لله، وهذا معنى قوله: (**الإخلاص: تصفيةُ العمل من كل شوب**)، بأن لا يمزج عمله بشيء من رياء، أو طلب حظ دنيوي أو أخروي.

(**وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: إخراج رؤية العمَل من العمَل**) فلا يفتخر بعمله ولا يعتقد أنه يستحق به ثواباً لأنه من مواهب الحق فكيف يستحق عليه أجره، (**والخلاصُ من طلب العوض على العمل**)؛ فلا يفتخر بعمله، ولا يعتقد أنه يستحق به ثواباً، لأنه من مواهب الحق أجراه عليه، (**والنزول عن الرضا بالعمل**)؛ فلا يرى أن المطلوب منه العمل فقط؛ فيرضى بأنه قام بما لزمه، بل يعلم أن المراد منه ليس إلا معرفة الله ﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ [الذّاريَات: الآية 56] وهي الفناء في التوحيد.

(**والدرجة الثانية: الخجل من الله مع بذل المجهود**)؛ فيرى أنه عبدٌ يُهدي

وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود، ورؤية العمل في نور التوفيق من عين الجود.

والدرجة الثالثة: إخلاصُ العمل بالخلاص من العمل، يدعه يسيرُ مسيرَ العلم، وتسير أنت مشاهداً للحكم حُرّاً من رِقِّ الرسم.

لمولاه بعض ما أنعمَ به عليه وأولاه، فالخجل والحياء يكون غالباً على قلبه وقت تَقرُّبه، (**وتوفير الجهد بالاحتماء من الشهود، ورؤية العمل في نور التوفيق من عين الجود**)؛ فيوفر اجتهاده ويخلصه من رؤيته، بل يرى اجتهاده في أعماله بنور التوفيق جارياً عليه من عين المنة والجود.

(**والدرجة الثالثة: إخلاصُ العمل بالخلاص من العمل، يدعه يسيرُ مسيرَ العلم**) أي يكون عملك على وفق العلم الظاهر، حتى كأنك تعمل لطلب ثواب أو خوف عقاب، هكذا يكون ظاهرك، وتكون بباطنك مشاهداً للحكم كما قال: (**وتسير أنت مشاهداً للحكم**) أي عالماً بموقع الحكم، وهو مراد الحق فيك مشاهداً له، فتسر بقلبك إلى الحق ومع الحق بلا سبب منك، وعليه قيل[1]:

لـمَّـا رأيـتُـك لا تَـحـصُـل بـاحـتـيـال أو بـكـسـبِ
ألـقـيـتُ روحـي فـي الـنـيـاح وقـلـتُ: أَنَّـىٰ شـئـتَ سِـر بـي

(**حُرّاً من رِقِّ الرسم**) أي من رق ما سوى الله؛ بحيث تكون بقلبك مع القادر لا مع آثار قدرته، فلا يلتفت إلى موعود ثواب ولا وعيد عقاب، بل إما محبةً له تعالى، أو لاستحقاقه ذلك ووجوبِ العبودية له عليك.

---

(1) لم أقف على اسم هذا القائل.

[25 ـ] باب التهذيب

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأَفِلِينَ﴾ [الأنعَام: الآية 76].

التهذيبُ: محنةُ أرباب البدايات وهو شريعة من شرائع الرياضة.

وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: تهذيب الخدمة أن لا يخالجها جهالةٌ، ولا تشوبها عادة، . . . .

([26 ـ] باب التهذيب)

(**قال الله تعالى:** ﴿فَلَمَّآ أَفَلَ قَالَ لَآ أُحِبُّ ٱلۡأَفِلِينَ﴾ [الأنعَام: الآية 76]) وجه الاستدلال بالآية على التهذيب أن التهذيب تحسين الأدب والخلق والعمل والعلم وإبراهيم عليه السلام حسّن الأدب بهذا القول في الاستدلال بالقمرين والكواكب على الله وتحصيل العلم به حيث علم أن الأفول من رتبة الإمكان وبعدٌ عن خصوصية الوجوب وتدرج من الأنقص إلى الأكمل فالأكمل، ونفَى تعلق المحبة بالممكن عن نفسه وأثبت الضلال والشكَّ بتعلق المحبة بالغير وطلب الهداية من الله حتى بلغ المقصود قال: ﴿إِنِّي وَجَّهۡتُ وَجۡهِيَ﴾ [الأنعام: الآية 79] الآية، فهذا الأدب والعمل والخلُق.

(**التهذيبُ: محنةُ أرباب البدايات**) أي اختبارهم ليزول عنهم الدنس، (**وهو شريعة من شرائع الرياضة**) وهي تمرين النفس لتعتاد الخير وتنقاد له.

(**وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: تهذيب الخدمة أن لا يخالجها جهالةٌ**) أي لا يجاذبه عنها جهالة، والمراد: أن لا يصحبه في الخدمة جهالة؛ فإن الخادم إذا لم يعلم أدب الخدمة أوردها غير موردها، وفعل أفعالاً يعتقد أنها صلاح لمخدومه وهي فساد، فالخدمة إن لم تكن من عالم بها بَعَّدت صاحبها، وإن قصد بها التقرُّب، (**ولا تشوبها عادة**) من عوائد النفس، ويكون له في كل

ولا تقف عندها همَّةٌ.

والدرجة الثانية: تهذيب الحال، وهو أن لا يجنح الحال إلى علمٍ، ولا يخضع لرسم، ولا يلتفت إلى حظ.

والدرجة الثالثة: تهذيبُ القصد، وهو تصفيته من ذلِّ الإكراه وتحفظه من مرض الفتور ونصرته على منازعات العلم.

حركة وسكون نيَّة، لتخرج خدمته عن العادة، (**ولا تقف عندها همَّةٌ**) إذ لا تقف لصاحب الخدمة همَّة عند الخدمة؛ بل لا يرضى إلا بما فوقها، فإن القناعة من الله حرمان، فعليه أن يخدم ويطلب ما فوقها من الخلاص من السوى.

(**والدرجة الثانية: تهذيب الحال، وهو أن لا يجنح الحال إلى علم**) أي لا يميل صاحبه إلى علم، فإن الحال ليس في حُكمه، وذو الحال يَرِدُ علَيه أمور ليست في طور العلم، فإن مال إلى أن يقيم عليها ميزان العلم ومعياره فهو جهل منه وضعف من الحال الحاصل له، فإن الحال الصحيح لا يعارضه ما تحته، فإنه روح العمل كما أن المعرفة نور العلم، فمَنْ حصلت له أحوال المعرفة لم يجنح إلى أحكام العلم، وإلا فقد رجع القهقرى، (**ولا يخضع لرسم**) أي لعمل أو أثر علم أو كون من الأكوان، (**ولا يلتفت إلى حظ**) أي فرح بالحال، أو حظ من حظوظ البشرية، أو بقية من بقايا غيرية.

(**والدرجة الثالثة: تهذيبُ القصد**) وهو النية (**وهو تصفيته من ذلِّ الإكراه**)؛ بأن يكون نية السائر في الخدمة أنها طوعاً لا كرهاً، فإن عبادة المحب طوعاً، (**وتحفظه من مرض الفتور**) شَبَّهَ نشاط العزم بالصحة، والفتور بالمرض، والتحفظ كالحمية للمريض، (**ونصرته على منازعات العلم**) وهي المجاذبات والمدافعات؛ لأن العلم يطلب أن يعمل للرغبة والرهبة، وتهذيب القصد يطلب الخروج عن رؤية العمل والأجر والأجرة، وعن الخوف إنه يحذر على النفس، والرجاء فإنه لحظها، وملاحظة أحوال النفس نقص بالنسبة لمقام التهذيب؛ فذو التهذيب يدافع العلم ويجنح إلى عبودية الحكم، ومعنى النصرة: أن تنصر خاطر العبودية على خاطر طلب الأجر ليتهذَّب القصد.

[26 ـ] باب الاستقامة

قال الله تعالى: ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [فُصّلَت: الآية 76]

قوله: ﴿إِلَيۡهِ﴾ إشارة إلى عين التفريد، والاستقامةُ روحٌ تحيا بها الأحوال كما تربو للعامة عليها الأعمالُ، وهي برزخٌ بين أوهَادِ التفرُّق وروابي الجمع، وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الاستقامةُ على الاجتهاد في. . . . .

([27 ـ] باب الاستقامة)

(**قال الله تعالى:** ﴿فَٱسۡتَقِيمُوٓاْ إِلَيۡهِ﴾ [فُصّلَت: الآية 6]) هذه الاستقامة هي استواء القصد في السلوك إلى الله وهي دون الاستقامة في السلوك في الله في الاتصاف بصفاته والاستقامة في الله دون الاستقامة المطلقة المأمور بها نبينا في قوله: ﴿فاستقم كما أُمِرت﴾ لأن تلك من مقام جمع الجمع والبقاء مع الفناء والأول للمريد والثاني للمتوسط ولهذا قال في معناها (**قوله: ﴿إِلَيۡهِ﴾ إشارة إلى عين التفريد**)؛ بأن يستقيموا في شهود تفريده، وهو أن لا يروا غير فردانيته تعالى، وهو عين الجمع.

(**والاستقامةُ روحٌ تحيا بها الأحوال**) أي تقويها، (**كما تربو للعامة عليها الأعمالُ**) أي تزيد وتكثر، (**وهي برزخٌ بين أوهَادِ التفرُّق**) يعني رؤية الأغيار المناقض لشهود الفردانية، (**وروابي الجمع**) و«الوهاد»: «المكان المنخفض» وهو يستر عمن فيه الأشياء المبصرة، و«الروابي»: «أماكن مرتفعة تكشف للعين القريب والبعيد»، فكذا شهود الجمع يكشف الحقائق التي كانت محجوبة.

(**وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: الاستقامةُ على الاجتهاد في**

الاقتصاد؛ لا عادياً رسم العلم، ولا متجاوزاً حدَّ الإخلاص، ولا مخالفاً نهج السنَّة.

والدرجة الثانية: استقامةُ الأحوال: وهي شهود الحقيقة ـ لا كَسْباً ورفض الدعوى لا علماً والبقاء مع نور اليقظة لا تحفُّظاً.

والدرجة الثالثة: استقامته بترك رؤية الاستقامة، وبالغيبة عن تَطلُّب الاستقامة بشهود إقامة الحق، وتقويمه عزَّ اسمه.

الاقتصاد؛ لا عادياً رسم العلم، ولا متجاوزاً حدَّ الإخلاص، ولا مخالفاً نهج السنَّة) أي لا يتجاوز في عبادته الأحكام الشرعية، ولا في إخلاصه إلى الرياء وطلب أعراض الدنيا.

(والدرجة الثانية: استقامةُ الأحوال: وهي شهود الحقيقة ـ لا كَسْباً) أي يتحقق عند مشاهدتها أن شهودها بغير كسب لأنه من عمل النفس، والحقيقة لا تبدو مع بقائها، إذ النفس ظلمة والحقيقة نور، والنور ينفي الظلمة. وقوله: (لا كسباً) قد يوهم أن الحقيقة قد تُشهد بالكسب والأمر بخلافه، **(ورفض الدعوى)** وهي نسبة الشيء لنفسه بلا بينة فيه حقاً أو باطلاً **(لا علماً)** بل كشفاً وشهوداً وحالاً وحقيقةً؛ لمشاهدته أنه ليس له من الأمر شيء، فلا يكون العلم هو الحامل له على تركها **(والبقاء مع نور اليقظة)** أي أن يدوم في اليقظة، ودوامه لكونه مجذوباً إلى الحق لا تغلبه الغفلة حفظاً من الله، **(لا تحفُّظاً)** أي احترازاً منك، فدوامك فيها به لا بك، وفيه إشارة إلى أنه هنا غير مكتسب.

(والدرجة الثالثة: استقامته بترك رؤية الاستقامة) فإنما يحتاج إليها ما دام السالك في الطريق ـ لأنها استقامة السير ـ ومن وصل إلى المنزل لم يحتج إليه، **(وبالغيبة عن تَطلُّب الاستقامة بشهود إقامة الحق)** بأن يرى أن الحق هو المقيم له في هذه الاستقامة، **(وتقويمه عزَّ اسمه)** أي يشهد أن الحق هو الذي أقامه في الاستقامة من مدد اسمه «القيُّوم»؛ فإن به قام كل شيء، فمن أشهده الحق ذلك فقد أقامه في الاستقامة عن اسمه «القيوم».

[27 ـ] باب التوكُّل

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المَائدة: الآية 23]

التوكُّل: كِلَةُ الأمر كُلّه إلى مالكه، والتعويل على وكالته، وهو من أصعب منازل العامة عليهم، وأوهى السبل عند الخاصة؛ لأن الحقَّ تعالى قد وكَّلَ الأمور كلها إلى نفسه وأيأس العالم من ملك شيءٍ منها.

وهو على ثلاث درجات ـ كلها تسير مسير العامَّة ـ.

الدرجة الأولى: التوكُّل مع الطلب، ومعاطاة السبب بنيَّة شغل نفسه،

([28 ـ] باب التوكُّل)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَعَلَى ٱللَّهِ فَتَوَكَّلُوٓاْ إِن كُنتُم مُّؤۡمِنِينَ﴾ [المَائدة: الآية 23]).

(**التوكُّل: كِلَةُ الأمر**) أي تسليمه (**كُلّه إلى مالكه، والتعويل على وكالته**) استغناءً بفعله عن فعلنا، وبإرادته عن إرادتنا، (**وهو من أصعب منازل العامة**)؛ لأنهم لحبهم لنفوسهم وعدم خروجهم عن عرض الدنيا، فضلاً عن نفوسهم ـ يصعب (**عليهم**) أن يوكلوا الله في أمورهم، ويتركوا الأسباب ويعتمدوا على المسبِّب الحق (**وأوهى السبل عند الخاصة؛ لأن الحقَّ تعالى قد وكَّلَ الأمور كلها إلى نفسه**) حيث جعل الأمور كلها له، (**وأيأس العالم من ملك شيءٍ منها**) فكيف توكل المالك على ملكه، وليس لك فيه شيء؟! فالخاصة لمَّا تحققوا هذا تَرقَّوا عن مقام التوكل، وبقي الخطاب فيه للعامة الذين لم يعلموا أن الأمر كله لله حقيقة ـ وذلك جائز ـ فخوطبوا على قدر عقولهم، وتنزل الخطاب على أفهامهم، حيث رأوا أنهم متصرفون في أموالهم.

(**وهو على ثلاث درجات ـ كلها تسير مسير العامَّة ـ الدرجة الأولى: التوكُّل مع الطلب ومعاطاة السبب**) فلا يتركه؛ بل يتعاطاه (**بنيَّة شغل نفسه**) به؛

ونفع الخَلق، وترك الدعوى.

والدرجة الثانية: التوكُّل مع إسقاط الطلب، وغض العين عن السبب اجتهاداً في تصحيح التوكُّل، وقمعاً لتشوُّف النفس، وتفرُّغاً لحفظ الواجبات.

والدرجة الثالثة: التوكُّل مع معرفة التوكُّل، النازعة إلى الخلاص من علَّة التوكُّل، وهو أن يعلم أن ملك الحق تعالى للأشياء ملك عزَّة لا يشاركه فيها مشارك، فيكِل شركته إليه، فإن من ضرورة العبودية أنَّا نعلم أنَّ الحق هو مالك الأشياء وحده.

لئلا يتفرغ فيطلب طرق الهوى، (**ونفع الخَلق، وترك الدعوى**) مخافة أن يعتقده الناس إذا وجدوه تَجرَّدَ؛ فيحصل عنده عجبٌ وميلٌ للدعوى.

(**والدرجة الثانية: التوكُّل مع إسقاط الطلب**) بأن لا تتعلق نفسه به فلا يطلب من الخلق بل ولا من الحق شيئاً، لكمال الوثوق بالمضمون (**وغض العين عن السبب**) أي عدم الالتفات بقلبه إلى سبب سوى ما أمره به الحق (**اجتهاداً في تصحيح التوكُّل**) فامتحان النفس، فإن متعاطي السبب قد يظن أنه حصَّل التوكل ولم يُحَصِّله، إذ ربما لو فارق السبب لم يثبت، (**وقمعاً لتشوُّف النفس**) فلا تستشرف نفسه إلى الأسباب (**وتفرُّغاً لحفظ الواجبات**) أي أداؤها على الوجه الأكمل، بفراغ الخاطر المشوش عليه وقته.

(**والدرجة الثالثة: التوكُّل مع معرفة التوكُّل، النازعة إلى الخلاص من علَّة التوكُّل**) أي توكُّله لتتخلص منه نفسه بنظرها في حقيقة التوكل الحاملة على الخلاص من علته، (**وهو أن يعلم أن ملك الحق تعالى للأشياء ملك عزَّة لا يشاركه فيها مشارك**) من مخلوقاته التي منها توكُّل العبد (**فيكِل شركته إليه**) وبذلك يتبرأ من أحواله فضلاً عن أعماله، ولذلك قال:

(**فإن من ضرورة العبودية**)ـ في نسخة: العبودة ـ (**أنَّا نعلم أنَّ الحق هو مالك الأشياء وحده**) من حيث نتحقق أن ذات العبد مملوكة له ذاتاً وحالاً وفعلاً، فلسان الحال يقول لمن جعل الحق وكيلاً: في ماذا وَكَّلته؟ إن وكّلت الأمر إليه فيما هو له فهو له قبل أن تكِله إليه! وإن وكّلت إليه ما هو لك فليس لك من الأمر شيء.

[28 ـ] باب التفويض

قال الله تعالى حاكياً عن مؤمن آل فرعون: ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: الآية 44]

التفويض ألطف إشارة وأوسع معنى من التوكُّل، فإنَّ التوكُّل بعد وقوع السبب، والتفويض قبله وبعده، وهو عين الاستسلام والتوكل شعبة منه.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعلم أن العبد لا يملكُ قبلَ عمله استطاعةٌ،

([29 ـ] باب التفويض)

(**قال الله تعالى حاكياً عن مؤمن آل فرعون:** ﴿وَأُفَوِّضُ أَمۡرِيٓ إِلَى ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱللَّهَ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ﴾ [غافر: الآية 44]).

(**التفويض ألطف إشارة**) يعني أن المفوِّض يتبرأ من الحول والقوة، ويرد الأمر لمالكه بغير أن يقيمه مقام نفسه في مصالحه، بخلاف التوكل؛ لاقتضائه أن يقوم الوكيل مقام الموكل، وفيه جسارة على الله لولا أنه أذن فيه ما جَسَرَ أحد أن يتعاطاه، (**وأوسع معنى من التوكُّل**) لأن له القبلية والبعدية؛ (**فإنَّ التوكُّل بعد وقوع السبب، والتفويض قبله وبعده، وهو عين الاستسلام**) أي الانقياد للحق تعالى، ولا يبالي أكان ممن يُقدَّر له الخير أم خلافه، إذ لا يعترض على الحق، والموكِّل يعتبر أن الوكالة لا تكون إلا في مصالحه، (**والتوكل شعبة منه**) أي قسم من أقسام التفويض.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: أن تعلم أن العبد لا يملكُ قبلَ عمله استطاعةٌ) أي يعترف

فلا يأمن من مكرٍ، و لا ييأس من معونته، ولا يُعوِّل على نيَّةٍ.

والدرجة الثانية: معاينة الاضطرار، فلا يرى عملاً منجياً، ولا ذنباً مهلكاً، ولا سبباً حاملاً.

والدرجة الثالثة: شهود انفراد الحقِّ بملك الحركة والسكون والقبض والبسط، ومعرفته بتصريف التفرقة والجمع.

العبد قبل العمل أنه لا يمكنه العمل إلا إن حَرَّكه الله؛ (**فلا يأمن من مكرٍ**)؛ لأن من لا يتحرك إلا بالغير فقد لا يخرجه الغير لعمل صالح، وهو معنى المكر، (**و**) إذا كان المحرك الحق (**لا ييأس من معونته**) تعالى وهو جوَّاد، (**ولا يُعوِّل على نيَّةٍ**) لخطر المشيئة؛ فينبغي أن يُعوِّل على الله لا على المشيئة.

(**والدرجة الثانية: معاينة الاضطرار**) أي الفقر والفاقة إلى الله مع العمل وعدمه؛ (**فلا يرى عملاً منجياً، ولا ذنباً مهلكاً، ولا سبباً حاملاً**) أي لا يرى فاعلاً إلا الله، فالنجاة برحمته لا بالعمل، والهلاك بنقمته لا بالذنب، والحامل على العمل هو تعالى لا السبب.

(**والدرجة الثالثة: شهود انفراد الحقِّ بملك الحركة والسكون**) أي يشهد صدورهما عنه في ظهورات الموجودات بلا واسطة، وهذه الدرجة تتعلق بالمشاهدة، وما قبلها باليقين القريب منها (**والقبض والبسط**) أي يشهد السكون من اسمه القابض والحركة من الباسط ويكون القبض والبسط أي منه تعالى وحده، (**ومعرفته بتصريف التفرقة والجمع**) أي يكون المشاهد عارفاً بمواقعهما، فالأشياء منفرجة عند أهل الكشف انفراج الأصابع من الكف لا متفرقة، وفي الحقيقة عين الجمع هو عين التفرقة، لدلالته على الكثرة، وإنما سُمِّيَ «جمعاً» لأجل العين الواحدة التي تجمع التفرقة.

[29 ـ] باب الثقة

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القَصَص: الآية 7]

الثقة: سوادُ عين التوكُّل ونقطةُ دائرة التفويض وسويداءُ قلب التسليم.

وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: درجة الإياس؛ وهو إياسُ العبد من مقاواة الأحكام ليقعد عن منازعة الأقسام، وليتخلص من قِحَّة الإقدام.

والدرجة الثانية: درجةُ الأمن؛ وهو أمنُ العبد من فوت المقدور

([30 ـ] باب الثقة)

(**قال الله تعالى:** ﴿فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ﴾ [القَصَص: الآية 7]) إنما ألقت أم موسى ولدها في اليمّ لحسن الثقة بالله ولولا أن وهبها الله تعالى الثقة ما فعلتها.

(**الثقة: سوادُ عين التوكُّل**) أي خُلاصَته؛ فهي أشرف ما فيه، (**ونقطةُ دائرة التفويض**)، والنقطة أشرف ما في المحيط؛ (**وسويداءُ قلب التسليم**)؛ فالثقة المركز الذي يدور عليه التفويض، ومهجة قلب التسليم.

(**وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: درجة الإياس؛ وهو إياسُ العبد من مقاواة الأحكام**)؛ بأن يعتقد أنه إذا حكم الله بأمر فلا مَردَّ له، ومَنْ حُكِمَ له بنصيبٍ وقسم سيحصل له، ومن لا فلا سبيل له إليه، وبذلك القدر ينقطع النزاع، كما قال: (**ليقعد عن منازعة الأقسام، وليتخلص من قحَّة الإِقدام**)؛ فلا يقدم عليه في طلب شيء، ولا ينازعه في طلب قسم فإنه من قلة الحياء.

(**والدرجة الثانية: درجةُ الأمن؛ وهو أمنُ العبد من فوت المقدور**)؛ لأن مَنْ

وانتقاص المسطور فيظفر بروح الرضا وإلا فبعين اليقين وإلا فبظَلْف الصبر.

والدرجة الثالثة: بمعاينة أزليَّة الحقِّ، ليتخلص من محن القصود تكاليف الحمايات والتعريج على مدارج الوسائل.

تحقق أن ما قُسِمَ له لا رادَّ له، أَمِنَ من فوت نصيبه المقدَّر له، **(وانتقاص المسطور)** أي من فوت ما كتب له في الكتاب المسطور وهو «اللوح» **(فيظفر بروح الرضا)**؛ لأن من رَضِيَ استراح من الكد والتعب ومقاومة الأقدار في الطلب **(وإلا)** أي وإن لم يقدر على الرضا **(فبعين اليقين)** بأن ما كُتِبَ له لا يزيد ولا ينقص؛ **(وإلا)** أي وإن لم يقدر على اليقين **(فبظَلْف الصبر)** أي فيظفر بقوة الصبر وشدته.

(والدرجة الثالثة: بمعاينة أزليَّة الحقِّ، ليتخلص من محن القصود) أي يظهر له شهود الأزل فيغنيه عن الطلب، وإذا استغنى عنه خلص من المحن التي تعرض له دون المقصود، أي يتخلص بمعاينة الأزل من المحن التي تعرض في الطريق إلى المقصود ويتخلص من **(تكاليف الحمايات)**؛ فلا يلتجيء إلى غير المقصود ليكون في حمايته، أو يطلب ما حماه الله عنه، **(والتعريج على مدارج الوسائل)** أي ويتخلص من الوقوف على الأسباب التي بها يتوسل للمقصود.

[30 ـ] باب التسليم

قال الله تعالى: ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النِّساء: الآية 65].

وفي التسليمِ والثقةِ والتفويضِ ما في التوكُّل من العلل، وهو من أعلى درجات سُبل العامَّة.

وهو على ثلاث درجات:

([31 ـ] باب التسليم)

(**قال الله تعالى:** ﴿فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّىٰ يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنفُسِهِمْ حَرَجًا مِّمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [النِّساء: الآية 65]).

أقسم بجلال ربوبيته المختصة بمقام محمد على أن المسلمين لا تكمل لهم درجة الإيمان حتى يحكموا محمداً فيما شجر بينهم أي اختلفوا فيه ثم لا يجدوا في أنفسهم ضيقاً فيما قضى أي حكم، ويسلموا تسليماً أي لا يشق عليهم إلا ولحكمه ولا تضيق صدورهم مما لا يوافق غرضهم ويقبلوه بطيب نفس من اعتراض عليه.

(**وفي التسليمِ والثقةِ والتفويضِ ما في التوكُّل من العلل**) وهي: معاني الدعوى والجهل في نسبة الأشياء لنفسه، حيث زعم أنه وكَّل الحق وتوكَّل عليه أن يقوم عنه بالمصالح الذي زعم أنه كان يُحصِّلها بالأسباب (**وهو من أعلى درجات سُبل العامَّة**) لما ذكر.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: تسليمُ ما يزاحمُ العقولَ مما يشق على الأوهامَ من الغيب، والإذعان لما يغالب القياس من تغيير الدُوَل و القِسَم، والإجابةُ لما يُفزِّع المريدَ من ركوب الأحوال.

والدرجة الثانية: تسليمُ العِلمِ إلى الحال، والقصد إلى الكشف، والرسمِ إلى الحقيقة.

الدرجة الأولى: تسليمُ ما يزاحمُ العقولَ كأخبار الصفات، وأمر الجنة والنار، وترك الأسباب من الغيب فإن العقل يحكم بأن تارك الأسباب قد يجوع أو يعطش، أو تعرض له حاجة يتصل إليها بالأسباب، وكل ما يبدو لك من المعاني مما يخالف العقل في مبادىء الحال، ونحو ذلك (**مما يشق على الأوهامَ من**) معاني (**الغيب**) أي يتوهم المكاشف أنها تضره، كأن يبدو له صور منكرة مثل رؤية نفسه في صورة أسد أو مشدودة بالسلاسل، وليست في الحس بل في تمثله وتخيُّله، ثم ينتقل من صورة قبيحة إلى حسنة، حتى تتمثل له أرواح الملائكة وتريه من معاني الروحانيات ما يزاحم عقله المحجوب، ويشق على وهمه، إذ هو مغلوب، (**والإذعان لما يغالب القياس**) والمعتاد (**من تغيير الدُوَل و**)اختلاف (**القِسَم**) فإن الله يعطي ويمنع من شاء ما شاء، فعلى العبد التسليم، (**والإجابةُ لما يُفزِّع المريدَ**) أي ينبغي أن يهجم المريد على الأمور المفزعة، فلا يلتفت إلى ما يفزعه (**من ركوب الأحوال**) أي اختلاف الواردات، وفي نسخة (الأهوال) أي كالهم والحزن والبلاء والمحن، فلا يعترض فيها ولا يتسخط، والأحوال أولى، ومعناه: إن طرق قلبه حال يضعف عن حمله سَلَّمَ وصبَرَ حتى يأتيه العون.

(**والدرجة الثانية: تسليمُ العِلمِ إلى الحال**) أي تسليم ذي العلم لذي الحال، وذي النية لذي الوجود والكشف، وذي الوقوف مع الرسوم من الأعمال والأحوال لذي الحقيقة، ويكون ذلك للرجل الواحد باختلاف حاله ومقامه. قال الجنيد: كنت أسمع أن العبد يصل لحال لو ضُرِبَ بسيف لم يشعر، وكان في نفسي منه شيء حتى تبين له صحته، فكان يؤمنُ ويسلِّمُ حتى فُتِحَ عليه وجوده.

والدرجة الثالثة: تسليمُ ما دون الحقِّ إلى الحقِّ، مع السلامة من رؤية التسليم بمعاينة تسليم الحقِّ إيَّاك إليه.

وهنا تمَّ قسم المعاملات

(**والقصد إلى الكشف**) هو أن يترك القصد عند غشيان الكشف، لأن الكشف يريه حضور المطلوب، وإذا حضر بطل القصد، إذ قصد تحصيل الحاصل جهل (**والرسم إلى الحقيقة**) فيسلم ذلك ليفنى في شهود الحقيقة، إذ ذات العبد رسم تفنيه الحقيقة، كما يفني النورُ الظلمةَ.

(**والدرجة الثالثة: تسليمُ ما دون الحقِّ إلى الحقِّ، مع السلامة من رؤية التسليم**) معنى هذا التسليم شهود اضمحلال رسوم الخلق في نور فردانية الحق.

وحاصل هذه الدرجة أنَّ مَنْ شَهِدَ وحدانية الفاعل الحق وجد ذاته مُسلِّمة إلى الحق، ووجد أن ما سلمها الحق إلى غير الحق، فقد سَلِمَ العبد من رؤية أنه سَلَّم إلى الحق، وسلامتك إنما كانت (**بمعاينة تسليم الحقِّ إيَّاك إليه**) أي لمعاينة أنَّ الحق هو الذي سَلَّم ذلك إلى نفسه لا غيره، فقد سَلِمَ العبد من دعوى التسليم.

قسم الأخلاق

وأما قسم الأخلاق فهو عشرة أبواب، وهي: الصبرُ، والرِضَا، والشكرُ، والحياءُ، والصدقُ، والإيثارُ، والخُلقُ، والتواضعُ، والفتوَّةُ، والانبساطُ.

الأخلاق مواريث المعاملة، فإن الأخلاق ملكة نفسانية تصدر معها الأفعال عن النفس مجردة بلا روية فإذا تكررت المعاملات القلبية مع الله بنيّة صالحة طهرت من دوام نظرها هيئات راسخة في النفس لتنورها بنور القلب وصفاته الحادثة بتزكية المعاملات فيسهل عليه صدور الفضائل والخيرات منها وسلوك الطريق.

[31 ـ] باب الصبر

قال الله تعالى: ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النّحل: الآية 127].

الصبرُ: حبسُ النفسِ على المكروه، وعقل اللِّسان عن الشكوى، وهو من أصعب المنازل على العامَّة، وأوحشها في طريق المحبَّة، وأنكرها في طريق التوحيد.

([32 ـ] باب الصبر)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَٱصْبِرْ وَمَا صَبْرُكَ إِلَّا بِٱللَّهِ﴾ [النّحل: الآية 127]) لأن الصبر إنما يكون بالقوة والقوة لله جميعاً فمن لا يؤيده الله تعالى بقوة لا يستطيعه.

(**الصبرُ: حبسُ النفسِ على المكروه، وعقل اللِّسان عن الشكوى**) أي حبس النفس عن إظهار الشكاية إلى الغير مع تكوُّن الجزع في الباطن والمراد الشكاية لغير الله؛ (**وهو من أصعب المنازل على العامَّة**)؛ لأن العامي لا دربة له، فإذا امتحنه الحق بالبلاء عَزَّ عليه وجدان الصبر لعدم رياضته (**وأوحشها في طريق المحبَّة**)؛ لأن الصبر يقتضي أنَّ البلاء مكروه، والمحبة تقتضي أنه محبوب، لالتذاذ المحب بالبلاء فيتناقضان، وخص لفظ «الوحشة» لأن الالتذاذ بالبلاء في المحبة من طريق أنس القلب بالمحبوب، فإذا أحس المحب بالألم انتقل من الأنس بالوحشة، وعدم تعوده بقمع النفس فهو ليس من أهل المحبة حتى يلتذّ بالبلاء، بل لولا الوحشة ما أحسَّ بالألم المستدعي للصبر، فالمحبة تقتضي الأنس بالمحبوب والإلتذاذ بالبلاء لشهود المُبلي فيه وإيثار مراده كما قيل:

وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: الصبر عن المعصية ـ بمطالعة الوعيد ـ وإبقاء على الإيمان، وحذراً من الحرام، وأحسن منه الصبر عن المعصية حياءً.

وكـل لـذيـذ قـد نـلـت مـنـهـا سوى ملذوذ وجدي بالعذاب(*)

وقال آخر:

أريـد وصـالـه ويـريـد هـجـري فـأتـرك مـا أريـد لـمـا يـريـد

فالمحبة تقتضي اللذة بالبلاء، والصبر إظهار التجلُّد، وهو في مذهب المحبة من أشد المنكرات وأظهر علامات العداوة كما قال:

وتحسن إظهار التجلُّد للعدا ويقبح غير العجز عند الأحبة

(وأنكرها في طريق التوحيد) لأن فيه قوة الدعوى، لدعواه قوة الثبات؛ فيلزم منه أن يعتقد لنفسه قوة، وهذا بهتان؛ إذ لا قوة لأحد لأجل ﴿أَنَّ ٱلْقُوَّةَ لِلَّهِ جَمِيعًا﴾ [البَقَرَة: الآية 165]، وبه يشهد التوحيد؛ لأنه يَرُّد الأشياء إلى الله، والصبر يَرُدها إلى النفس، وإثبات النفس في التوحيد منكر.

(وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: الصبر عن المعصية ـ بمطالعة الوعيد ـ) أي حضوره على الخاطر، وذكره بالقلب، **(وإبقاء على الإيمان)** أي يصبر عنها ليبقى إيمانه سالماً، والإيمانُ: التصديق، ولولا تصديقه بالعذاب ما صبر عن المعصية للوعيد **(وحذراً من الحرام)** أي من العقوبة عليه **(وأحسن منه)** أعني الصبر على المعصية **(الصبر عن المعصية حياءً)**؛ لأن الحياء شيم الأحرار والأشراف، والخوف شيم العبيد والأشرار، ولأن صاحب الحياء حاضر مع الله، وذو الخوف غائب، لمراعاته حفظ نفسه لا حياء سيده، فهو مع نفسه لا مع الحق.

(*) أحد بيتين للحسين بن منصور الحلاج المقتول سنة 309 هجرية. والبيتان هما:

أُريـــدُكَ لا أُريـــدُكَ لـــلـــثـــوابِ ولـــكـــن أريـــدك لـــلـــعِـــقـــابِ

فـكـلُّ مـآربـي قـد نِـلـتُ مـنـهـا سِـوى مَـلـذوذِ وَجـدي بـالـعَـذابِ

[الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي].

والدرجة الثانية: الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها دواماً، . . . . . وبرعايتها إخلاصاً، وبتحسينها علماً.

والدرجة الثالثة: الصبرُ في البلاء بملاحظة حُسْن الجزاء، وانتظار رَوح الفرَج، وتهوين البليَّة بِعَدِّ أيادي المنن، وتذكُّر سوالف النِّعم.

وفي هذه الدرجات الثلاث من الصبر نزل: ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 200] **أي في البلاء** ﴿وَصَابِرُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 200] **يعني عن المعصية** ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 200] **يعني على الطاعة.**

وأضعف الصبر: الصبرُ لله ـ وهو صبرُ العامَّة ـ وفوقه الصبرُ بالله وهو صبرُ المريدين ـ وفوقهما الصبرُ على الله ـ وهو صبرُ السالكين ـ.

(**والدرجة الثانية: الصبر على الطاعة بالمحافظة عليها دواماً**) وذلك بحفظها من النقص وفعلها في أوقاتها، (**وبرعايتها إخلاصاً، وبتحسينها علماً**) أي بمراعاة الإخلاص فيها على مقتضى العلم الظاهر.

(**والدرجة الثالثة: الصبرُ في البلاء بملاحظة حُسْن الجزاء، وانتظار رَوح الفرَج، وتهوين البليَّة بِعَدِّ أيادي المنن، وتذكُّر سوالف النِّعم**)؛ لأنه إذا لاحظ ما أعدَّه الله للصابرين من الثواب صبر ليحصل له، وكلما تذكَّر سوالف النعم هوَّن على نفسه البلية؛ فيقول: «هذا بذاك، ولا يدوم ذا ولا ذاك»، ومن تذكر له مع سيده أوقات رضًا رجاء أن تعود فهان عليه البلاء.

(**وفي هذه الدرجات الثلاث من الصبر نزل:** ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱصۡبِرُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 200] **أي في البلاء** ﴿وَصَابِرُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 200] **يعني عن المعصية** ﴿وَرَابِطُواْ﴾ [آل عِمرَان: الآية 200] **يعني على الطاعة.**

وأضعف الصبر: الصبرُ لله) أي لأجل ثوابه، وكذا الصبر خوف عذابه (**ـ وهو صبرُ العامَّة ـ وفوقه الصبرُ بالله**) وهو شهود «لا حول ولا قوة إلا بالله» (**وهو صبرُ المريدين ـ وفوقهما الصبرُ على الله**) أي على أحكامه؛ إذ يرون أنَّ المتصرِّف فيهم هو الحق تعالى (**ـ وهو صبرُ السالكين ـ**)؛ فيصبرون عليه مع

. . . .

مكابدة الألم، وهؤلاء الثلاثة من العوام؛ إذْ هم في مقام الصبر.

وأثبت بعضهم الصبر مع الله لأهل الحضور والمشاهدة والصبر على الله لأهل المحبة إذا أراد المحبوب فيها والمحب.

وروي أن شاباً سأل الشبلي عن الصبر فقال: أي صَبرٍ أشد، فقال: الصبر لله، فقال: لا، فقال: بالله، فقال: لا، فقال: على الله، فقال: لا، فقال: في الله، فقال: لا، فقال: مع الله، فقال: لا، فقال: فأي الصبر قال عن الله، فشهق الشبلي وخرّ مغمٌى عليه وقال:

صابَرَ الصبرَ فاستعاذَ بهِ الصبرُ فصاحَ المحبُّ بالصبرِ صبراً(*)

(*) أحد ثلاثة أبيات، والبيتان الباقيان هما:

عَبَراتٌ خططنَ في الخدِّ سطرا قع قَراها من ليس يُحسِن يَقرا
إنّ موتَ المحب من أَلم الشو قِ وخوفِ الفِراقِ يُورث عُذرا

[الموسوعة الشعرية، المجمع الثَقافي، أبو ظبي].

[32 ـ] باب الرِّضا

قال الله تعالى: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ [الفَجر: الآية 28].

لم يدع في هذه الآية للمتسخِّط إليه سبيلاً، وشرَطَ للقاصد الدخول في الرضا.

والرضا: اسم للوقوف الصادق حيث ما وقف العبد لا يلتمس متقدماً ولا متأخراً ولا يستزيد مزيداً، ولا يستبدل حالاً، وهو من أوائل مسالك أهل الخصوص، وأشقِّها على العامَّة.

([33 ـ] باب الرِّضا)

قال الله تعالى: ﴿ٱرۡجِعِيٓ إِلَىٰ رَبِّكِ رَاضِيَةٗ مَّرۡضِيَّةٗ ٢٨﴾ [الفَجر: الآية 28]).

(**لم يدع في هذه الآية للمتسخِّط إليه سبيلاً، وشرَطَ للقاصد الدخول في الرضا**) تشير الآية إلى أنه لا سبيل إلى الرجوع إلى الحق إلا بالرضا؛ أي أمر النفس بالرجوع وقيد الرجوع بالرضى فيكون الرجوع مشروطاً بالرضى والمعلق بالشرط يعدم عند عدمه، فأشار بالآية إلى أنه لا سبيل إلى الرجوع إلى الحق إلا بالرضا، فلا سبيل إلى المتسخِّط إلى الرجوع إليه، إذ الدخول في الرضاء شرط الرجوع إليه.

(**والرضا: اسم للوقوف الصادق**) وهو الوقوف مع مراد الحق حقيقةً بغير تردد (**حيث ما وقف العبد**) أي ـ على أي حال كان ـ (**لا يلتمس متقدماً ولا متأخراً**) أي لا يختار حالة دون حالة؛ لا يبالي التقدم في السلوك ولا التأخر عنه، (**ولا يستزيد مزيداً، ولا يستبدل حالاً**) أي لا يطلب حالة لتصحيح رضاه بأحكام الله، ولا يزيد زيادة على ما هو فيه، ولا يطلب أن تتغير حاله (**وهو من أوائل مسالك أهل الخصوص، وأشقِّها على العامَّة**) لما فيه من الخروج عن اختيار نفسه.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: رضا العامَّة؛ وهو الرضا بالله ربّاً بسخط عبادةِ ما دونه، وهذا قطبُ رَحى الإسلام؛ وهو يطهر من الشرك الأكبر.

وهو يصح بثلاثة شرائط: أن يكون الله تعالى أحب الأشياء إلى العبد، وأولى الأشياء بالتعظيم، وأحق الأشياء بالطاعة.

والدرجة الثانية: الرضا عن الله، وبهذا الرضا نطقت آياتُ التنزيل، وهو الرضا عنه في كل ما قضى وقَدَّر، وهذا من أوائل مسالك أهل الخصوص.

ويصح بثلاثة شرائط: باستواء الحالات عند العبد، . . . .

تنبيه: العبد مأمور بطلب المزيد، فهو أبداً يلتمس التقدم إلى أعلى؛ فكلامه محمول على ما يحتاجه العبد في دنياه من النوازل التي لم يتعلق طلب الشرع بالنقلة عنها أو أمر بالصبر عليها والرضا بها.

(**وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: رضا العامَّة؛ وهو الرضا بالله ربّاً بسخط عبادةِ ما دونه**)، وهو الرضا عن الله في كل ما قَدَّر وقَضَى، (**وهذا قطبُ رَحى الإسلام؛ وهو يطهر من الشرك الأكبر**) وهو عبادة مخلوق لمخلوق، والشرك الأصغر: «إثباتُ فعلٍ من الأفعال لقوة مخلوق ما، وهو الشرك الخفي».

(**وهو يصح بثلاثة شرائط: أن يكون الله تعالى أحب الأشياء إلى العبد، وأولى الأشياء بالتعظيم، وأحق الأشياء بالطاعة**) الأول يصحح الإيمان لقوله تعالى: ﴿والذين آمنوا أشد حباً لله﴾، والثاني يصحح مقام الإحسان لأن من يراه حاضراً عظمه أشدَّ تعظيم، ويراه أولى بالتعظيم من كل شيء، والثالث يصحح مقام الإسلام، لأن المسلم لا يطيع أحداً إطاعته لله تعالى.

(**والدرجة الثانية: الرضا عن الله، وبهذا الرضا نطقت آياتُ التنزيل، وهو الرضا عنه في كل ما قضى وقَدَّر، وهذا من أوائل مسالك أهل الخصوص**) لأن مضمونه الخروج عن الحظوظ؛ إذ من رَضِيَ بكل ما قَضَى الله وقَدَّر وقف مع إرادته تعالى، وهو مقدمة للخروج عنها، والخروج عنها طريق الخاصة.

(**ويصح بثلاثة شرائط: باستواء الحالات عند العبد**) فلا يميل إلى محبوب

وسقوط الخصومة مع الخلق، والخلاص من المسألة والإلحاح.

والدرجة الثالثة: الرضا برضا الله تعالى، فلا يرى العبد لنفسه رضًا ولا سخطاً؛ فيبعثه على ترك التحكُّم وحسمِ الاختيار وإسقاط التمييز ـ ولو أُدخل النارَ ـ.

ولا عن مكروه، **(وسقوط الخصومة مع الخلق، والخلاص من المسألة والإلحاح)**؛ إذ مَنْ لم يبق له حظٌ ولا ميل إلى جهة، فعلى أي شيء يخاصم الخلق، أو يسأل أحداً حاجة، فضلاً عن الإلحاح؟!

(والدرجة الثالثة: الرضا برضا الله تعالى) بأن يقيم رضا الله مقام رضاه، فيرى أن رضاه فرع رضا ربه، وذلك لسقوط إرادته، والرضاء أخص من الإرادة، فإذا ارتفع الأعم ارتفع الأخص؛ **(فلا يرى العبد لنفسه رضًا)** أي لا يجد لها رضًا، **(ولا سخطاً؛ فيبعثه على ترك التحكُّم)** لأنه إذا لم يبق له إرادة لم يكن له شيء يبعثه على التحكُّم على ربه، ومعنى التحكُّم: «ترجيح شيء عن شيء، وإيثار حال دون حال»، **(وحسمِ الاختيار)** أي قطعه بالكلية، **(وإسقاط التمييز)**؛ فلا يرى شيئاً بالنسبة إليه أميز من شيء **(ـ ولو أُدخل النارَ ـ)** كما يشهد له حال الخليل عليه السلام حين ألقي في النار وأتاه جبريل فقال له: هل لك حاجة؛ فلا يراها أميز عنده من الجنة لاستغنائه بإرادة الحق عن إرادته وتصحيح مقام الرضا.

[33 ـ] باب الشكر

قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ: الآية 13].

الشكر: اسمٌ لمعرفة النعمة، لأنها السبيلُ إلى معرفة المنعم، ولهذا المعنى سُمِّيَ الإيمان والإسلام في القرآن «شكراً».

ومعاني الشكر ثلاثة أشياء: معرفةُ النعمة ثم قبول النعمة ثم الثناء. . . . . .

([34 ـ] باب الشكر)

(قال الله تعالى: ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِىَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ: الآية 13]).

فَخَّم الشكر لأن عباده الخاصين لا يقومون به إلا قليل منهم.

(الشكر: اسمٌ لمعرفة النعمة، لأنها السبيلُ إلى معرفة المنعم) فمن شكر على النعمة فقد عرفها، ولا يتصور شكرها بدون معرفتها، فلمَّا كان بين الشكر والمعرفة تلازماً جُعِلَ أحدهما اسماً للآخر، وفي حديث قدسي: «**يا داود إذا ما علمتَ أن ما بك من نعمة فمني فقد شكرتني**»[1]، **(ولهذا المعنى سُمِّيَ الإيمان والإسلام في القرآن «شكراً»)** فإنهما أثر معرفة الخلق والرزق، ومنه دابة شكور لظهور أثر النعمة عليها لحماً وشحماً.

(ومعاني الشكر ثلاثة أشياء: معرفةُ النعمة) أي إحضارها في الذهن، وتمييز أنها نعمة، فربَّ جاهل يُحسَن إليه وهو لا يدري، فلا يصح منه الشكر.

(ثم قبول النعمة) أي تَلقيها من المنعم بإظهار الفقر والفاقة إليها، **(ثم الثناء**

(1) أورده البقاعي في تفسير نظم الدرر، سورة النمل، آية 15، [5/ 413]، وأورده الشربيني في تفسير السراج المنير، سورة النمل، آية 14 [3/ 90].

بها، وهو أيضاً من طرق العامَّة.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الشكر على المحابِّ، وهذا شكر تشاركت المسلمون فيه واليهود والنصارى والمجوس، ومن سعة برِّ الله سبحانه أنه عدَّه شكراً، ووعدَ عليه الزيادة وأوجب له المثوبةَ.

والدرجة الثانية: الشكر على المكاره، وهذا ممَّن تستوي عنده الحالات إظهاراً للرضا وممن يُميِّز بين الأحوال كظمُ الغيظ وستر الشكوى

بها) على المنعِم بما يستحقه، **(وهو)** أي الشكر **(أيضاً)** كالتوكُّل **(من طرق العامَّة)**؛ لأن فيه دعوى، وهي كونه شكر الحق على إنعامه؛ فكأنه يكافئه إذ الشكر مكافأ، والعبد أحقر منها.

(وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: الشكر على المحابِّ) وهو المشار إليه بقوله ﷺ: «**أحِبُّوا الله لما يَغْذُوكُمْ بهِ مِنْ نِعَمِهِ**»[1]، **(وهذا شكر تشاركت المسلمون فيه واليهود والنصارى والمجوس)** بل وعبَدَة الأوثان وغيرهم من جمهور فرق الكفر ﴿مَا نَعۡبُدُهُمۡ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَآ إِلَى ٱللَّهِ زُلۡفَىٰٓ﴾ [الزُّمَر: الآية 3].

(ومن سعة برِّ الله سبحانه أنه عدَّه شكراً، ووعدَ عليه الزيادة) بقوله: ﴿لَئِن شَكَرۡتُمۡ لَأَزِيدَنَّكُمۡۖ﴾ [إبراهيم: الآية 7] **(وأوجب له المثوبةَ)** مع كونه ما تبرع بشيء يجازى عليه بالزيادة، فيمَ إذا يستحقها؟! فما ذاك إلا من سعة عطائه.

(والدرجة الثانية: الشكر على المكاره، وهذا ممَّن) أي من رجل **(تستوي عنده الحالات)**؛ بأن لا يُميِّز بين مكروه ومحبوب؛ فإذا نزل به المكروه وشكر عليه فشكره إنما هو **(إظهار للرضا)** بما نزل به، وهذا هو مقام الرضا، **(وممن)** أي ومن رجل **(يُميِّز بين الأحوال)**؛ فهو لا يحب المكروه، فإذا نزل به فشكر عليه فشكره إنما هو **(كظمُ الغيظ)** الذي أصابه أي ستره **(وستر الشكوى)** وإن

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، ومن مناقب أهل رسول الله ﷺ، حديث رقم (4716) [3/162] ورواه الترمذي في سننه، باب مناقب أهل بيت النبي ﷺ، حديث رقم (3786) [3789] ورواه غيرهما.

ورعاية للأدب، وسلوكه مسلك العلم، وهذا الشاكر أول من يُدعى إلى الجنة.

والدرجة الثالثة: أن لا يشهد العبد إلا المنعم، فإذا شهد المنعم عبودة، استعظم منه النعمة، وإذا شهده حبّاً استحلى منه الشدَّة، وإذا شهد تفريداً لم يشهد منه نعمة ولا شدَّة.

كان باطنه شاكياً، **(و)** كظم الغيظ إنما هو **(رعاية للأدب، وسلوكه مسلك العلم)** أي لأجل ذلك؛ فإن العلم الشرعي يأمر العبد بالشكر في السراء والضراء، فهو مسلك يشكر طريق العلم لا أنه شاكر لله شكر من رضي بقضائه، **(وهذا الشاكر)** أي الكاظم للغيظ **(أول من يُدعى)** يوم القيامة **(إلى)** دخول **(الجنة)** لأنه أحسن حيث قابل حكم الله بما يجب له مع ما فيه من المشقة ﴿وَقَلِيلٌ مِّنْ عِبَادِيَ ٱلشَّكُورُ﴾ [سَبَإ: الآية 13]، إذ أكثر من يحل به البلاء يشتغل بالجزع والشكوى منه.

(والدرجة الثالثة: أن لا يشهد العبد إلا المنعم)؛ فتشغله مشاهدة المنعم عن النعمة، لاستغراقه في المنعم، **(فإذا شهد المنعم عبودة، استعظم منه النعمة)** أي استغرق فيه استغراق عبودية، أي يكون مشاهداً له مشاهدة العبد لسيده، بأدب العبد إذا حضر بين يدي سيده؛ فيستغرق فيه عن الإحساس بما له عنده من الإنعام، فإذا أنعم عليه في هذه الحالة فإنه يستعظم الإحسان؛ لأن العبودة توجب عليه أن يستصغر نفسه عن الإحسان **(وإذا شهده حبّاً استحلى منه الشدَّة)** وقد قال بعض مَنْ عشق حُسن الصورة لا صورة الحسن:

مَنْ لَمْ يَذُقْ ظُلْمَ الحَبيبِ كَظَلْمِهِ حُلْواً فَقَدْ جَهِلَ المَحَبَّةَ وادَّعى[1]

(وإذا شهد تفريداً) أي إذا شهده شهود تفريد ـ برفع الثنوية وفناء الرسم **(لم يشهد منه نعمة ولا شدَّة)** أي لم يحس بشيء منهما، ويقول ما قال بعضهم: «مَنْ كانت هباته لا تتعدى يديه؛ فلا واهب ولا موهوب».

---

(1) أحد أبيات قصيدة للشاعر من العصر الأموي كمال الدين ابن النبيه: علي بن محمد بن الحسن بن يوسف أبو الحسن كمال الدين، المولود سنة 560 هجرية والمتوفى سنة 619 هجرية. والقصيدة من البحر الكامل، وتفعيلته: متفاعلن متفاعلن متفاعلن. (الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

[34 ـ] باب الحياء

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العَلق: الآية 14].

الحياءُ من أول مدارج أهل الخصوص يتولَّدُ من تعظيم منوط بوُدّ.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: حياء يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه، فيجذبه إلى تحمُّل المجاهدة، ويحمله على استقباح الجناية، ويستكفه عن الشكوى.

([35 ـ] باب الحياء)

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ يَعْلَم بِأَنَّ ٱللَّهَ يَرَىٰ ﴿١٤﴾﴾ [العَلق: الآية 14]) فيستحي.

والحياء فيه ملاحظة حضور في من يُستحَى منه. وفي الآية إشعار بأن الحياء من الإيمان، وبأن الله يرى عبده، وهو إحدى خصلتي الإحسان في قوله: «**فإن لم تكن تراه فإنه يراك**».

(**الحياءُ من أول مدارج أهل الخصوص**) فأول سلوكهم أن يروا أن الحق حاضر معهم، فالحياء (**يتولَّدُ من تعظيم منوط بوُدّ**) أي يحصل من امتزاج التعظيم بالمودة، والود: الثبات على الحب؛ فلو انفرد التعظيم أثمر الخوف، أو المحبة أثمرت الشوق؛ فلما اجتمعا لزم الحياء.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: حياءٌ يتولَّد من علم العبد بنظر الحقِّ إليه، فيجذبه إلى تحمُّل المجاهدة، ويحمله على استقباح الجناية، ويستكفه) يسكته (**عن الشكوى**) يعني إذا علم العبد أن الحق ينظر إليه دائماً استحيا منه أن يخالفه في أحكامه فيجذبه ذلك إلى المجاهدة في نظره كما يعمل العبد بحضور السيد فإنه أخف

والدرجة الثانية: حياءٌ يتولَّد من النظر في علم القُرب، فيدعوه إلى ركوب المحبَّة، ويربطه بروح الأنس، ويكرِّه إليه ملابسة الخلق.

والدرجة الثالثة: حياءٌ يتولَّد من شهود الحضرة، وهي التي تشوبها هيبةٌ، ولا يقارنها تفرقة، ولا يُوقَف لها على غاية.

وأنشط منه في العمل بغيبته، وكذا يحمله إلى استقباح الجناية ويستكفُه أي يطلب منه أن يكف عن الشكوى إلى الناس.

(**والدرجة الثانية: حياءٌ يتولَّد من النظر في علم القُرب**) وهو تحقق القلب أنَّ الحق تعالى مع عبده؛ فيتولد في علم ذلك الحياء لكونه من الحاضر أبلغ، ثم يتولَّد من الحياء مع العلم بالقرب الميل إلى المحبة، وهو قوله: (**فيدعوه إلى ركوب المحبَّة، ويربطه بروح الأنس**) إذ يؤلف له الأنس بالله والراحة (**ويكرِّه إليه ملابسة الخلق**) والاجتماع بهم.

(**والدرجة الثالثة: حياءٌ يتولَّد من شهود الحضرة**) وهو أرفع من الدرجتين اللتين قبله، فإن الحياء فيهما نشأ من علم تقرُّب، وهذا نشأ عن شهود بحضرة القريب تعالى، (**وهي التي تشوبها هيبةٌ**) أي عظمة يجدها المستحِي بقلبه، إذا أفرطت تُذهب حاله ونعته (**ولا يقارنها تفرقة**) أي لا تبقى منها شيئاً، (**ولا يُوقَف لها**) أي لهذه الحضرة (**على غاية**)؛ فتوصف بالعبارة، أو تُنعت بالإشارة، وفي نسخة: (من شهود الخطرة) وهي بارقة تلوح من الجناب الفرداني الأقدس؛ إذا شهدها العبد فأول شيء يغشاه الهيبة، ثم لا يجد معها تفرقة، ويعني (بالتفرقة): أن لا يخطر بباله سوى الحق، ومعنى (لا يُوقَف لها على غاية): أي لا تثبت حتى يفنى الشاهد في المشهود، بل تنصرف قبل ذلك، لأنها مبدأ كشف لاح ثم راح.

[35 ـ] باب الصدق

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محَمَّد: الآية 21]

الصدقُ اسم لحقيقة الشيء بعينه، حصولاً ووجوداً.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: في صدق القصد وبه يصحُّ الدخول في هذا الشأن، ويتلافى به كل تفريط. . . . .

([36 ـ] باب الصدق)

(**قال الله تعالى:** ﴿فَلَوْ صَدَقُوا۟ ٱللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ﴾ [محَمَّد: الآية 21]) أي فإذا تحقق الأمر فلو صدقوا الله في العزيمة على ما أمروا به لكان خيراً لهم. .

(**الصدقُ اسم لحقيقة الشيء بعينه، حصولاً ووجوداً**).

قال الشارح: الصدق حالة في العبد، تحمل على إيقاع الفعل على وجهه مع حدٍ وثبات وعدم فترة، وفي اللسان: «إخبار عما في القلب»، وهو الإخبار عن الشيء على ما هو به، ويكون في النية والفعل، والمؤلِّف لما رأى أن الصادق في الإخبار عن حاله هو من تمَّ له حصول الأمر ووجوده، جعله اسماً لحصول الشيء بعينه ووجوده؛ لما بينهما من القرب، كالصدق بذاته مؤثر، حيث ظهر عينه ظهر حكمه.

(**وهو على ثلاث درجات**:

الدرجة الأولى: في صدق القصد)؛ بأن تكون في القلب داعية إلى السلوك صادقة، لا يمازجها رياء، (**وبه يصحُّ الدخول في هذا الشأن**) أي طلب الحق تعالى، (**ويتلافى به كل تفريط**) أي يسرع إلى مخالفة الكسل، بحيث لا يترك

ويتدارك كل فائت ويعمر كل خراب وعلامة هذا الصادق: أن لا يحتمل داعية تدعو إلى نقض عهد، ولا يصبر على صحبة ضد، ولا يقعد عن الجد بحالٍ.

والدرجة الثانية: أن لا يتمنَّى الحياة إلا للحقِّ، ولا يشهد من نفسه إلا أثر النقصان، ولا يلتفت إلى ترفية الرُخَص.

والدرجة الثالثة: الصدقُ في معرفة الصدق، فإن الصدق لا يستقيم في علم أهل الخصوص إلا . . . .

فرصة تفوته كما فاتت الفرص السابقة، حتى يصلح من قلبه ما أفسدت الغفلة، **(ويتدارك كل فائت)** أي يجتهد اجتهاداً يحصل له نظير ما فاته، حتى كأنه ما فرط، **(ويعمر كل خراب)** أي خراب القلب بالغفلة، وعمارته بالذكر، ودوام الرعاية.

(وعلامة هذا الصادق: أن لا يحتمل داعية تدعو إلى نقض عهد) فالصدق: الثبات على السلوك والتوجه الصادق، ومَنْ هذا حاله يستحيل عليه نقض عهد، **(ولا يصبر على صحبة ضد)** ممن استحكمت فيه الغفلة، فهو ضد الصادق الذي استحكمت فيه اليقظة والحضور، فهو يحس بالأجنبية بينه وبين ضده إن نطق الضد أو صمت، ولقوة صدقه لا يداريه ولا يداجيه[1]، لأنه يرى ذلك كَذباً **(ولا يقعد عن الجد بحالٍ)** عطف على «ويعمر كل خراب» وذلك لأن بترك الجد يعم الخراب قريباً.

(والدرجة الثانية: أن لا يتمنَّى الحياة إلا للحقِّ) لأن الصادق مَنْ لم يبق لنفسه حظ فلا يعيش إلا للحق، **(ولا يشهد من نفسه إلا أثر النقصان)** أي التقصير وعدم الأهلية، **(ولا يلتفت إلى ترفية الرُخَص)** أي لا يريد أن يرفه نفسه عن الخدمة ويأخذ بالرخص.

(والدرجة الثالثة: الصدقُ في معرفة الصدق) يعني أن الصدق المحقق يحصل لمن يعرف الصدق؛ **(فإن الصدق لا يستقيم في علم أهل الخصوص إلا**

---

(1) **المداجاة**: المداراة. يقال: داجيته إذا داريته، كأنك ساترته العداوة. (الصحاح للجوهري).

على حرف واحد، وهو: أن يتفق رضا الحقِّ بعمل العبد وحاله ووقته، وإيقان* العبد وقصده، فيكون العبد راضياً مرضيّاً، فأعمالُه إذاً مرضيَّةٌ، وأحوالُه صادقة، وقصوده مستقيمةٌ، وإن كان العبدُ كسيَ ثوباً مُعاراً، فأحسن أعماله ذنب، وأصدق أحواله زورٌ، وأصفى قصوده قعودٌ.

على حرف واحد، وهو: أن يتفق رضا الحقِّ بعمل العبد وحاله ووقته، وإيقان* العبد وقصده، فيكون العبد راضياً مرضيّاً، فأعمالُه إذاً مرضيَّةٌ، وأحوالُه صادقة، وقصوده مستقيمةٌ، وإن كان العبدُ كسيَ ثوباً مُعاراً) أي ثوباً من نعت الصدق، ولم يتحقق بتحقيق الحق على ما هو عليه **(فأحسن أعماله ذنب)** كما قيل:

مَـنْ لَـمْ يـكُـن لـلـوصَـالِ أهْـلاً فـكُـلُّ إِحْـسـانِـهِ ذُنُـوبُ

(وأصدق أحواله زورٌ، وأصفى قصوده قعودٌ)؛ لأنه ما اتفق رضا الحق به وبأعماله وبقصوده.

---

* وفي نسخة [إتيان] بدل [إيقان].

[36 ـ] باب الإيثار

قال الله تعالى: ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ [الحَشر: الآية 9]

الإيثار: تخصيصٌ واختيارٌ، والأثرة تحسن طوعاً، ويصح كُرهاً.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تؤثر الخَلْقَ على نفسك فيما لا يحرم عليك ديناً، ولا يقطع عليك طريقاً، . . . .

([37 ـ] باب الإيثار)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَيُؤْثِرُونَ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ وَلَوْ كَانَ بِهِمْ خَصَاصَةٌۚ﴾ [الحَشر: الآية 9]).

(**الإيثار: تخصيصٌ واختيارٌ**) يعني: أن المؤثِر خصص الغير بما آثره به واختاره، وقد يكون مع الخصاصة أو توهمها، والإيثار فعل، والأثرة وصف عنه يصدر ذلك الفعل، فالإيثار: حسن الأثرة في النفس في ظهوره عنها طوعاً أو كرهاً، فإن كانت طوعاً حَسُنت، أو كرهاً صَحَّتْ، كما قال: (**والأثرة تحسن طوعاً**) الإيثار: حسن من المؤثر الذي آثر غيره على نفسه، سيما إن كان به خصاصة (**ويصح كُرهاً**) لأن أحب الأعمال إلى الله أشقها على النفس.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: أن تؤثر الخَلْقَ على نفسك فيما لا يحرم عليك ديناً) احتراز من إيثار لا يجوز شرعاً، كأن يتعرى حتى لا يجد ما يستر عورته (**ولا يقطع عليك طريقاً**) احتراز من إيثار يجوز، لكنه يؤدي إلى تشتت الخاطر في الطريق، كأن يؤثر بِقُوتِهِ حتى يضعف عن ورده، أو يتفرق خاطره في طلب

ولا يفسد عليك وقتاً، ويستطاع هذا بثلاثة أشياء: بتعظيم الحقوق، ومقت الشُحِّ والرغبة في مكارم الأخلاق.

والدرجة الثانية: إيثارُ رضا الله تعالى على رضا غيره، وإن عظمت فيه المِحَنُ، وثقلَت به المؤَنُ، وضعف عنه الطَولُ والبدنُ، . . . .

القوت، **(ولا يفسد عليك وقتاً)** كالإيثار بما كان بسببه مجموعاً، فانفسد عليه الوقت بإيثاره، ولذلك أمسك من أمسك قوت مدةٍ من الصوفية ليتفرغ خاطره للوقت.

(ويستطاع هذا بثلاثة أشياء: بتعظيم الحقوق) فإن لربك عليك حقاً، ولنفسك عليك حقاً، ولجميع الخلق عليك حقاً، ومَنْ عظمت عنده هذه الحقوق قام بواجبها، وعظَّمَ أمرها، فحمله على الإيثار **(ومقت الشُحِّ)**؛ فإن من مقته التزم الإيثار، **(والرغبة في مكارم الأخلاق)** فمَنْ رغب فيها آثر.

(والدرجة الثانية: إيثارُ رضا الله تعالى على رضا غيره)؛ بأن يفعل ويعتقد ما يرضي الله ولو كان سبب غضب الخلق.

فَلَيتَكَ تَحلو والحياةُ مَرِيرَةٌ ولَيتَكَ تَرضَى والأنامُ غِضابُ[1]

(وإن عظمت فيه المِحَنُ، وثقلَت به المؤَنُ) أي الكلف، يعني ولو تكلَّف في ذلك ثقلاً عظيماً، وكلفةً شاقةً **(وضعف عنه الطَولُ)** وهو هنا الفاضل عن القدرة **(والبدنُ)** أي وقدرة البدن، كأنه قال: ولو ضعفت عنه قدرته والزائد عن قدرته فإنه مع ذلك يؤثر رضا ربه.

---

(1) أحد أربع أبيات للحسين بن منصور الحلاج المولود سنة 244 هجرية، والمتوفى سنة 309 هجرية. وتتمة الأبيات هي:

وَلَيتَ الَّذي بَيني وبَينَكَ عامِرٌ وبَيني وبينَ العالَمينَ خَرابُ
إذا نِلتُ مِنكَ الوُدَّ فالكُلُّ هَيِّنٌ وكُلُّ الَّذي فوقَ الترابِ تُرابِ
فيَا لَيتَ شُربي مِن وِدادِكَ صافِياً وشُربِي مِن ماءِ الفُراتِ سَرابُ

والأبيات من البحر الطويل، وتفعيلته: «فعولن مفاعيلن فعولن مفاعلن». (الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

ويستطاع هذا بثلاثة أشياء: بطيب العود، وحسن الإسلام، وقوَّةِ الصبر.

والدرجة الثالثة: إيثارُ إيثارِ الله تعالى ـ فإنَّ الخوض في الإيثار دعوى في الملك ـ ثمَّ تركُ شهودِ رؤيتك إيثار الله ثم غيبتك عن الترك.

(**ويستطاع هذا بثلاثة أشياء: بطيب العود**) أي بكمال الاستعداد، وهو أن يخلقه الله على طبيعة منقادة، وقريحة وقَّادة، (**وحسن الإسلام**) يعني ثم يكمل الله هذه الغريزة بأنوار الإسلام (**وقوَّةِ الصبر**) و«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه»، ورضا غير الله مما لا يعنيه، ـ وفي نسخ (بطلب العود) أي الرجوع إلى الله، فإن مَن آثر رضا الله على الخَلق عاداهم، فيسعون في إتلافه، فلا يقدم على معاداتهم في رضاهم إلا مَن يطلب الموت، ومن حَسُنَ إسلامه طلب رضا الله وإنْ سخط عليه العالم كله، ومَن ضعف صبره عجز أن يطلب رضا الله بسخط عبيده.

(**والدرجة الثالثة: إيثارُ إيثارِ الله تعالى**) أي تؤثر الله بإيثارك له على غيره، أي تضيف إليه، وتبرىء نفسك منه (**ـ فإنَّ الخوض في الإيثار دعوى في الملك ـ**) أي ملكك له، (**ثمَّ تركُ شهودِ رؤيتك إيثار الله**) أي ترك رؤيتك لكونك مؤثراً له بإيثاره على غيره، (**ثم غيبتك عن الترك**) أي ثم تغيب به عن نفسك له، فضلاً عن إيثارك لك، وهذا هو الفناء في التوحيد، وقيل: «إيثار الله: أن ترى أنك إذا آثرت غيرك بشيء فالذي آثرته هو الحق بنسبة إيثارك الله»، فمن ادَّعى أنه مؤثر ادعى أنه مَلَكَ ما آثر به غيره، والملك لله تعالى.

[37 ـ] باب الخلق

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: الآية 4]. .

الخُلُقُ: ما يرجع إليه المتكلِّف من نعته.

واجتمعت كلمةُ الناطقين في هذا العلم أن: «التصوُّف هو الخُلق» وجماع

([38 ـ] باب الخلق)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ ﴿٤﴾﴾ [القَلَم: الآية 4]) الخطاب للمصطفى. وأورد كلمة (على) لاعتلائه على الخُلُق العظيم واقتداره عليه لكونه جُبِل عليه لائتمانه عليه، ووصف الله خُلُقه بالعظيم لأن خلقه مستفاد من القرآن العظيم فيكون عظيماً، قالت عائشة: كان خُلُقه القرآن، أي كان متأدباً بآدابه.

ووصف هذا الباب بالخُلُق وإن كانت المعاني المذكورة في الأبواب العشرة في هذا القسم محلها أخلاقه لأن الخُلُق خص في العرف العامِّ بحسن العشرة والصحبة مع الخالق والخلق. والمراد هنا ذلك الخاص العرفي ولأن اختصاص هذه الطائفة بالخُلُق واتفاقهم على أن التصوف هو الخُلُق وإجماعهم على أن مرجع الخُلُق إلى بذل المعروف وكف الأذى وليس ذلك إلا حسن العشرة مع الغير.

(**الخُلُقُ: ما يرجع إليه المتكلِّف من نعته**) يعني أن خُلق كل مكلَّف ما اشتملت عليه صفاته، فإن كانت حسنة فهو على خلق حسن، أو سيئة فعلى خُلُق سيىء، ومعنى (ما يرجع إليه): ما يشتمل عليه.

(**واجتمعت كلمةُ الناطقين في هذا العلم أن: «التصوُّف هو الخُلق» وجماع**

الكلام فيه يدور على قطبٍ واحد: وهو بذلُ المعروف، وكفُّ الأذى.

وإنما يُدرَك إمكانُ ذلك في ثلاثة أشياء: في العلمِ، والجودِ، والصبرِ.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن يعرف مقامَ الخَلق: أنهم بأقدارهم مربوطون، وفي طاقتهم محبوسون، وعلى الحُكم موقوفون.

فيستفيد بهذه المعرفة ثلاثة أشياء: أَمْنَ الخَلق منك ـ حتى الكلب ـ ومحبَّة الخَلق إيَّاك، . . . .

الكلام فيه يدور على قطبٍ واحد: وهو بذلُ المعروف، وكفُّ الأذى) أي يرجع إلى أصل واحد هو بذل المعروف، الذي من جملته كفُّ الأذى.

(وإنما يُدرَك إمكانُ ذلك في ثلاثة أشياء: في العلمِ، والجودِ، والصبرِ)؛ لأن العلم يرشده إلى مواقع بذل المعروف ليضعه موضعه، والجود يجذبه إلى المسامحة بحقوق نفسه، ويدعوه إلى بذل نفسه في حق غيره، والصبر يحتاجه في البذل إلى الدوام عليه.

(وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن يعرف مقامَ الخَلق: أنهم بأقدارهم مربوطون)؛ فيعلم أن كُلَّ أحد لا يخرج عن قدره، فلا يطلب من الناقص كمالاً، فإنَّ فعل الكامل النقصُ فهو ناقص من تلك الجهة، **(وفي طاقتهم محبوسون)** أي لا يقدرون على موافقة من فوقهم على شيء؛ لأنهم محبوسون فيما يطيقون، فصاحب الخلق لا يطلب من أحد إلا ما يقدر عليه، ويعذره في عجزه عما هو محبوس عنه، **(وعلى الحُكم)** أي القضاء والقدر **(موقوفون)**، فكيف يلامون فيما يصدر منهم؟! بل يعذرون، فإن بدا منهم في حقك هفوة فهي من أحكام القدر فيك وفيهم فاغفر لهم، واشكرهم حتى تزيل عنهم وحشة الذنب، وابذل لهم المعروف.

(فيستفيد بهذه المعرفة ثلاثة أشياء: أَمْنَ الخَلق منك ـ حتى الكلب ـ) وهذه الخصلة هي كف الأذى، **(ومحبَّة الخَلق إيَّاك)** يعني أن أمْنَهم منك وبذلَ

ونجاةَ الخَلق بك.

والدرجة الثانية: تحسينُ خُلقك مع الحقِّ. وتحسينُه منك: أن تعلمَ أن كلَّ ما يأتي منك يوجبُ عُذراً، وكلَّ ما يأتي من الحقِّ يوجبُ شكراً، وأن لا ترى له من الوفاء له بُدّاً.

والدرجة الثالثة: التخلُّق بتصفية الخُلق، ثمَّ الصعود عن تفرُّق التخلُّق، ثُمَّ التخلُّق بمجاوزة الأخلاق.

معروفك لهم موجب محبتهم إياك، (**ونجاةَ الخَلق بك**) يعني تبذل لهم معروفك الدنيوي والأخروي، فينجوا منك فلا يتأذوا، وينجوا بك إذا أرشدتهم إلى طريق سعادتهم الأخروية.

(**والدرجة الثانية: تحسينُ خُلقك مع الحقِّ. وتحسينُه منك: أن تعلمَ أن كلَّ ما يأتي منك يوجبُ عُذراً، وكلَّ ما يأتي من الحقِّ يوجبُ شكراً**)؛ فإن الناقص لا يأتي منه إلا النقص، والنقص يجب العذر منه حسناً أو سيئاً، والحق لا يفعل مع عبده إلا خيراً، فيجب شكره عليه، (**وأن لا ترى له من الوفاء له بُدّاً**) يعني أن معاملته للحق تقتضي الاعتذار من فعل نفسه والشكر على فعل ربه؛ لا يرى بدّاً من الدوام عليه، فإنه هو الوفاء.

(**والدرجة الثالثة: التخلُّق بتصفية الخُلق**) أي بتكميل ما ذكر في الدرجتين الأوليين، (**ثمَّ الصعود عن تفرُّق التخلُّق**) بأن تشتغل بالسلوك إلى الله، فإن التخلق بالتصوف ليس من السلوك في الحقيقة، بل تزكية النفس لتقبل بعد ذلك السلوك، غير أن أهل هذه الطريق يسمون متصوفة، وهم فوق مقام التصوف، وإنما كان التخلُّق تَفرُّقاً لأنه اشتغال بالغير، وقضية السلوك في الشغل بالحق عما سواه، (**ثُمَّ التخلُّق بمجاوزة الأخلاق**) أي ثم أن يتصف بالغَيبة عن التخلق والأخلاق، وهذه الغَيبة مراتب: أقلها الاشتغال بذكر الله عن كل ما سواه، وأعلاها الفناء في الفردانية، وما بين ذلك من المراتب ـ بل كلها ـ لا نصيب فيها للاكتساب؛ لكن العبد يتعرض للنفحات الربانية.

. . . .

تَـعَـرَّضْ لآرامِ الـصَّـرِيـمِ لـعـلَّـهَـا بِأَلْحَاظِهَا تَرْمِي حَشَاكَ فَتَجْرَحُ[1]

(1) أحد ثمانية أبيات للعفيف التلمساني: سليمان بن علي بن عبد الله بن علي الكوفي التلمساني عفيف الدين المولود سنة 610 هجرية والمتوفى سنة 690 هجرية. والأبيات من البحر الطويل. وجاءت الأبيات كاملة على النحو التالي:

عَسَى لَيْلُ آمالِي بوَجْهِكَ يُصْبِحُ ويُسعِفُنِي الدَّهْرُ البَخِيلُ ويَسْمَحُ
ويَسْكُنُ قَلْبٌ قدْ تَمادَى خُفُوقُهُ ويَخْلُصُ طَرْفٌ رَاحَ للدَّمْعِ يَسْفَحُ
أُؤَمِل أَنْ يَبْدُو لِعَيْنِي جَمَالُها عَسَى لَحْظُهَا في رَوْضَةِ الحُسْنِ يَسرَحُ
فَلَما بَدَتْ أَطَرَقْتُ في الحِينِ هَيْبَةً وَمَنْ ذَا لِعَيْنِ الشَّمْسِ بالعَيْنِ يَلْمِحُ
تَعَرَّضْ لآرامِ الصَّرِيمِ لَعَلَّهَا بِأَلْحَاظِهَا تَرْمِي حَشَاكَ وتَجْرَحُ
فَمَا عَاشَ إلَا مَيِّتٌ في حِمَاهُمُ ومَا مَاتَ إلا مَن أَهْلِيهِ يَصْلُحُ
إِذَا أَسَرَتْ قَلْبِي عُيونُ أُهَيْلَهِ فَلا عِشْتُ إِنْ أَمَّلْتُ أَنِّي أُسْرَحُ
وأَينَ جَمِيلٌ مِنْ غَرَامِي وقدْ غَدَا لَدَيهِ جَمِيلُ الصَّبْرِ في الحُبِّ يَقْبُحُ

(الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

[38 ـ] باب التواضع

قال الله تعالى: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفرقان: الآية 63].

التواضع: أن يتواضع العبدُ لصَولةِ الحقِّ.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: التواضع للدين؛ وهو أن لا يعارضَ بمعقولٍ منقولاً، ولا

([39 ـ] باب التواضع)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى ٱلْأَرْضِ هَوْنًا﴾ [الفُرقان: الآية 63]) الهون: اللين والرفق، ومنه المثل: إذا عزَّ أخوك فَهُنْ. وفي خبر: «المؤمنون هينون لينون»[1] أي يمشون مشياً ليِّناً أي يمشون هينين من التذلُّل والتواضع للخلق.

(**التواضع: أن يتواضع العبدُ لصَولةِ الحقِّ**) ومن صولة الحق سبحانه: صولة الحق ضد الباطل، والتواضع: أن يتواضع لأمر الله ونهيه، وتواضعك بأن تضع نفسك لعظمة الله، فإن للحق صولة، ولا تبلغ حقيقة التواضع إلا عند لمعان نور المشاهدة في قلبك؛ فعند ذلك تذوب النفس، وفي ذوبها صفاؤها من الكبر فتلين وتطيع.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: التواضع للدين؛ وهو أن لا يعارضَ بمعقولٍ منقولاً، ولا

---

(1) رواه الشهاب القضاعي في المسند، (97 المؤمنون هينون. . . ،) حديث رقم (139) [1/ 114] ورواه الديلمي في الفردوس، حديث رقم (6583) [4/ 188] ورواه غيرهما.

يتَّهم على الدين دليلاً، ولا يرى إلى الخلاف سبيلاً، ولا يصحُّ ذلك له إلا بأن يعلمَ أن النجاةَ في البصيرة والاستقامة بعد الثقة، وأنَّ البينة وراء الحجَّة.

والدرجة الثانية: أن ترضى بمَنْ رضي به الحقُّ لنفسه عبداً من المسلمين: أخاً وأن لا ترد على عدوك حقاً، وتقبل من المعتذر معاذيره.

والدرجة الثالثة: أن تتَّضع للحقِّ، فتنزل عن آرائك، وعوائدك في الخدمة، ورؤية حقِّك في الصحبة. . . . .

يتَّهم على الدين دليلاً) أي يقبل أدلة العلم الشرعي ولا يتهمها **(ولا يرى إلى الخلاف سبيلاً)** أي لا يجد بباطنه إلى مخالفة الشرع طريقاً، ومجموع هذه الدرجة هو من التواضع للحقِّ الذي هو ضد الباطل.

(ولا يصحُّ ذلك له إلا بأن يعلمَ أن النجاةَ في البصيرة) أي في حصول العلم بالبصيرة، وهي ما يخلصك من الحيرة، أي لا يبقى لك في العلم الشرعي الذي حصل لك في البصيرة حيرة، وأراد بالعلم الشرعي المنقول، والقصد: أن يعتقد أن نجاته في العلم الشرعي والعمل بمقتضاه، **(والاستقامة)** في العمل تحصل **(بعد الثقة)** بصحة العلم الشرعي إيماناً، **(وأنَّ البينة)** الشرعية **(وراء الحجَّة)** العقلية، وقيل: البينة الشرعية والحجة عليها معجزة الرسول ﷺ.

(والدرجة الثانية: أن ترضى بمَنْ رضي به الحقُّ لنفسه عبداً من المسلمين: أخاً) أي أن ترضى أن تكون أخاً لعبده، لأنك مثله؛ **(وأن لا ترد على عدوِّك حقاً)** أي تعترف بالحق لمن جاء به وإن كان عدواً، **(وتقبل من المعتذر معاذيره)** محقّاً كان أو مبطلاً.

(والدرجة الثالثة: أن تتَّضع للحقِّ، فتنزل عن آرائك، وعوائدك في الخدمة) فتخدم الحق تعالى وتعبده بما أمرك على مقتضى ما أمرك به، لا على ما تراه أنت من رأيك؛ وتخرج عن عوائدك المناقضة للخدمة، من نحو كثرة أكل، ونوم، وكلام، وخلطة، **(ورؤية حقِّك في الصحبة)** أي ولا ترى لنفسك حقاً على الله لأجل عملك، فإن صحبتك مع الحق ـ أي مع خدمتك ـ توجب عليك

وعن رسمك في المشاهدة.

الأدب، ومنه أن لا تطلب من الله حقاً أوجبه لك على نفسك، بل ترى له الفضل أنْ أهَّلك لخدمته، ولا تطلب حقاً من حقوقك من الخلق، لأنه يرجع للأول **(وعن رسمك في المشاهدة)** أي وتترك رسمك لتفنيه الحقيقة، وإن كان الترك غير مكتسب بل ذاتي، لأن المتجلي نور، والنور يُنَفِّر الظلمة، والرسم كله ظلمة، فهي تنفر منه ضرورة؛ لكنه سمَّاه نزولاً لا مجازاً، فمعنى الرسم ذات العبد، والنزول عن الشيء تركه للغير ليتصرف فيه.

[39 ـ] باب الفتوة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: الآية 13].

نكتة: الفُتوَّة: أن لا تشهد لك فضلاً، ولا ترى لك حقاً.

وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تركُ الخصومة والتغافلُ عن الزلَّة ونسيانُ الأذيَّة.

والدرجة الثانية: أن تقرِّب من يُقصيك، وتكرم من يؤذيك، وتعتذر لمن

([40 ـ] باب الفتوة)

(**قال الله تعالى:** ﴿إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ ءَامَنُواْ بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَٰهُمْ هُدًى﴾ [الكهف: الآية 13]) الفتوة لمقام القلب الصافي عن صفات النفس وذلك الصفا هو زيادة الهدى بعد الإيمان ولهذا لما سأل موسى ربه عن الفتوة قال: أن ترد نفسك إليَّ طاهرة كما قبلتها.

نكتة) نكتة الشيء: خلاصته وقلبه وسواد عينه، (**الفُتوَّة: أن لا تشهد لك فضلاً، ولا ترى لك حقاً)** تطلب به أحداً بل ترى الحقوق واجبة للكل عليك.

(**وهي على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: تركُ الخصومة)؛ بأن لا يخاصم أحداً على حقه، ولا ينوي أن يقاتل أحداً، (**والتغافلُ عن الزلَّة)** فإذا رأى من أحد زلة أظهر له أنه ما رآها؛ لتزول الوحشة عن صاحبها، (**ونسيانُ الأذيَّة)** أي ويتناسى أذية من آذاه حتى يصفو له قلبه، ويحسن معه عشرته.

(**والدرجة الثانية: أن تقرِّب من يُقصيك، وتكرم من يؤذيك، وتعتذر لمن**

يجني عليك، سماحاً لا كظماً، وتواداً لا مصابرة.

والدرجة الثالثة: أن لا تتعلَّق في المسير بدليلٍ، ولا تشوب إجابتك بعوض، ولا تقف في شهودك على رسم.

واعلم أن من أحوجَ عدوَّه إلى شفاعة، ولم يخجل من المعذرة إليه لم يشمَّ رائحة الفُتُوَّة.

يجني عليك سماحاً) أي يكون كل هذا بسماح نفس، **(لا كظماً)** للغيظ، فإنه علامة كون باطنك بخلاف ظاهرك، والقصد إنما هو الباطن، فإذا صلح، صلح الظاهر تبعاً، ويفعل ذلك تودُّداً **(وتواداً لا مصابرة)**؛ فإذا فعلت ذلك كانت ملاطفتك إياه بغير مشقة تحتاج فيها إلى مصابرة ـ أي صبر ـ ولا يكون الصبر إلا على مكروه، والقصد أن يصير احتمال الأذى عندك محبوباً لا مكروهاً.

(والدرجة الثالثة: أن لا تتعلَّق في المسير بدليلٍ) أي بدليل المعقول، فإن دلَّه الشيخ عليه عرف منزلته لربه وشكره بذلك، ولم يسكن بقلبه إليه، ويكون مع الشيخ بالأدب، ومع الله بصدق الطلب، وكل ما جمعك على الله افعله، وكل ما فرّقك عنه اتركه، والاستدلال بالأدلة مفرِّقة غالباً، لأنك ترى الدليل والمدلول، وإنما يجمع القلب نور التعرُّف الإلٰهي **(ولا تشوب إجابتك بعوض)**؛ فإن دعاه داعٍ من الحق لطاعته أجابه خالصاً بكمال إقباله عليه، غير ملتفت إلى عِوَضٍ، كالأجير السوء، **(ولا تقف في شهودك على رسم)**، ولا يكون نظرك إلى السوى عند الشهود؛ لأن الفتى من لا يراعي الخلق، فلا يتفتَّى على الخلق إلا بصفة حقٍ أو أمر حق، فيكون الحق المتفتي لا هو، هكذا يكون التخلُّق.

(واعلم أن من أحوجَ عدوَّه إلى شفاعة، ولم يخجل من المعذرة إليه لم يشمَّ رائحة الفُتُوَّة) فيه رد على المشتغلين بالمعقول، وفيه معنى لطيف، كأنه يقول: إذا لم يكن لك أن تُحوجَ عدوَّك إلى عذرٍ، فكيف تُحوجُ نبيك ﷺ إلى أن ينزل إلى قدر عقلك؟! فحقيقة الفتوة: «أنْ يؤْثِر العلم المشروع على هوى نفسه، وعلى الأدلة العقلية إذا خالفت علم الشارع»، وليس للعارف أن يتفتَّى مطلقاً.

[40 ـ] باب الانبساط

قال الله تعالى ـ حاكياً عن كليمه صلوات الله عليه ـ: ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعرَاف: الآية 155]، ﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعرَاف: الآية 155].

الانبساط: إرسال السجيَّةِ والتحاشي من وحشةِ الحشمةِ، وهو السيرُ مع الجبلَّة.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الانبساطُ مع الخَلْق، وهو أن لا تعتَزلهم ضنّاً على نفسكَ

([41 ـ] باب الانبساط)

(**قال الله تعالى ـ حاكياً عن كليمه صلوات الله عليه ـ:** ﴿أَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ ٱلسُّفَهَآءُ مِنَّآ﴾ [الأعرَاف: الآية 155]).

هذا موضع البسط إذا ضاق إليهم، ثم أتبعه بالأدب والإقرار بأنها كلها أفعاله، فقال: (﴿إِنْ هِىَ إِلَّا فِتْنَتُكَ﴾ [الأعرَاف: الآية 155]) الانبساط في الآية إنكار الإهلاك على الله لمجموعهم وخواصهم الحكماء والحلماء بفعل سفهائهم وإسناد الفتنة إليه لا إلى السائرين رعاية للأدب وإن كانت في الحقيقة اختباراً منه تعالى لتمييز الضال من المهتدي.

(**الانبساط: إرسال السجيَّةِ**) أي إطراح التكلُّف والتصنُّع في الكلام والفعل (**والتحاشي من وحشةِ الحشمةِ**) يعني الحياء؛ فإن المستحي مستوحش، (**وهو السيرُ مع الجبلَّة**) أي الانبساط بالمشي مع ما جبله الله عليه من الأخلاق بغير تكلفة.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: الانبساطُ مع الخَلْق، وهو أن لا تعتَزلهم ضنّاً على نفسكَ)

أو شُحّاً على حظِّكَ، وتسترسلَ لهم في فضلك، وتسعَهم بخُلقكَ، وتدعَهم يَطَؤونَكَ ـ والعِلمُ قائمٌ وشهودُك المعنى دائمٌ ـ.

والدرجة الثانية: الانبساط مع الحق، وهو أن لا يحبسك خوف، ولا يحجبك رجاءٌ، ولا يحول بينك وبينه آدم وحواء.

والدرجة الثالثة: الانبساطُ في الانطواء عن الانبساط؛ وهو رَحْبُ الهمَّة؛

أي بخلاً عليهم بها، **(أو شُحّاً على حظِّكَ)** فإذا كان لك حظ في الخلوة، وراحة في العزلة، فتتركه تكرُّماً على جلسائك **(وتسترسلَ لهم في فضلك)** أي تواسيهم بالفاضل عن ضرورتك، أو «الفضل»: الإحسان مطلقاً، **(وتسعَهم بخُلقكَ)** أي توسع أخلاقك في احتمال ما يبدو منهم من الأذى، **(وتدعَهم يَطَؤونَكَ[1] ـ والعِلمُ قائمٌ)** أي احتمالك منهم، وبسطك وتواضعك لهم على الحد المشروع، يحد لكم قدر الانبساط حتى لا تتعدوه **(وشهودُك المعنى دائمٌ ـ)** أي وشهودك معنى الانبساط باقٍ، كأنه يقول: «لا يخرجك العلم إلى اليبس، ولا الانبساط إلى محرَّم»، أو المراد: لا تغفل حال الانبساط عن الحق تعالى ضنّاً على نفسك؛ وفيه إشارة إلى أن له اعتزالهم لتصفية حاله مع الله، أو خوفاً من توقع ضرر منهم، وأما المتمكن فبسطه معهم أبلغ في شأنه.

(والدرجة الثانية: الانبساط مع الحق، وهو أن لا يحبسك خوف)؛ فإن الانبساط لا يكون إلا للعارف، والخوف للعوام؛ فلا يجامعه البسط لأنه من عالم الجمال، والخوف من عالم الجلال، وبين تعينهما تقابلاً ـ لا من جهة المسمَّى بهما جَلَّت قدرته؛ فالانبساط مع الحق لا يكون إلا مع تجنُّب الخوف **(ولا يحجبك رجاءٌ)** الرجاء يحجب عن الانبساط من جهة أن ذا الحاجة متملقٌ لتحصيلها، والمنبسط غير متملق، بل هو على جبلته غير متكلف، **(ولا يحول بينك وبينه آدم وحواء)**.

(والدرجة الثالثة: الانبساطُ في الانطواء عن الانبساط؛ وهو رَحْبُ الهمَّة؛

---

(1) وفي نسخة [يطروك] فإنَّ كثرة الإطراء تحدث الزهو وتدني من الغرة.

لانطواء انبساط العبد في بسط الحقِّ جلَّ جلاله.

وهنا تمَّ قسم الأخلاق

لانطواء انبساط العبد في بسط الحقِّ جلَّ جلاله) وهذا الانطواء: أن لا يرى لنفسه بسطاً ولا قبضاً؛ ملاحظةً لكون الحق هو الباسط بغير واسطة؛ فتضييع صفة العبد في صفة الحق من باب توحيد الأفعال.

قسم الأصول

وأما قسم الأصول، فعشرة أبواب، وهي: القصدُ، والعزمُ، والإرادةُ، والأدبُ، واليقينُ، والأنسُ، والذكرُ، والفقرُ، والغِنى، ومقامُ المراد.

إنما سمي هذا القسم أصولاً لأنها مبادئ السلوك وأساس السير يبنى عليها قطع الأودية بنور القوة القدسيّة وهي مفاوز القلب كما أن الأخلاق منازل النفس.

[41 ـ] باب القصد

قال الله تعالى: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النِّساء: الآية 100].

القصد: الإزماعُ على التجرُّد للطاعة.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: قصدٌ يبعث على الارتياض، ويُخلص من التردُّد، ويدعو إلى مجانبة الأغراض.

والدرجة الثانية: قصدٌ لا يلتقي سبباً إلا . . . .

([42 ـ] باب القصد)

(**قال الله تعالى**: ﴿وَمَن يَخْرُجْ مِنۢ بَيْتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدْرِكْهُ ٱلْمَوْتُ فَقَدْ وَقَعَ أَجْرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [النِّساء: الآية 100]) لما كان المقام الأصلي في الإنسان رتبة القلب جعل قصد العروج من موطن القلب إلى الحضرة الإلٰهية خروجه من بيته فاستشهد فأحسن وأصاب.

(**القصد: الإزماعُ على التجرُّد للطاعة**) أي ثبوت العزم على الحركة والشروع فيها.

(**وهو على ثلاث درجات**:

الدرجة الأولى: قصدٌ يبعث على الارتياض) أي يحرك العزم على الرياضة (**ويُخلص من التردُّد**) أي يخلص القلب إلى الطاعة، ويريحه من التردد: هل يفعل أو لا؟ (**ويدعو إلى مجانبة الأغراض**) أي يجذب القلب إلى عبادة الربِّ بلا غرض.

(**والدرجة الثانية: قصدٌ لا يلتقي سبباً**) أي لا يتلقى سبب تعويقه (**إلا**

قطعه، ولا يدع حائلاً إلا منعه، ولا تحاملاً إلا سَهَّله.

والدرجة الثالثة: قصدُ الاستسلام لتهذيب العِلم، وقصدُ إجابةِ دواعي الحُكم، و قصدُ اقتحامٍ في بحر الفناء.

قطعه، ولا يدع حائلاً) دون المطلوب **(إلا منعه، ولا تحاملاً)** أي صعوبة **(إلا سَهَّله)**؛ فلا يبقى عنده تحاملٌ على الأعمال وتكلُّف لها، بل خَفَّف عليه كل عمل وسَهَّله.

(والدرجة الثالثة: قصدُ الاستسلام لتهذيب العِلم) أي الانقياد للعلم المشروع، وللحق تعالى في كل مسألة من مسائل العلم، نداء ينادي به العبد للعمل اللائق بتلك المسألة، وهذا القصد هو إجابة ذلك النداء، **(وقصدُ إجابةِ دواعي الحُكم)** أي حكم علم الشرع، والحكم في علم الشرع سر الله الداعي إليه دون ما سواه، وهو من مبادىء تعرف الله إلى قلب عبده، وهو أول أبواب الميل إلى الفناء، **(و)** بعده يكون **(قصدُ اقتحامٍ في بحر الفناء)**.

[42 ـ] باب العزم

قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 159].

العزم: تحقيقُ القصْدِ طوعاً أو كرهاً.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: إباءُ الحال على العلم بشيم برق الكشف، واستدامة نور الأنس، والإجابة لإماتة الهوى.

([43 ـ] باب العزم)

(قال الله تعالى: ﴿فَإِذَا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ﴾ [آل عِمرَان: الآية 159].

العزم:) ـ وهو أول الشروع في الحركة لطلب المقصود ـ **(تحقيقُ القصْدِ طوعاً)** من النفس **(أو كرهاً)** عليها.

(وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: إباءُ الحال على العلم)؛ لأن العلم يدعو إلى إحكام الغيبة، والحال يدعو إلى أنس الكشف والحضور، وذلك أول درجات الانتقال عن مقام الأبرار إلى مقام المقربين، وذلك **(بشيم برق الكشف)** شَبَّه الكشف بالبرق؛ لأن الكشف ضعيف، فهو يشبه البرق يلوح ثم يروح، **(واستدامة نور الأنس)** أي أن الكشف يدعو إلى الأنس، وهذا العزم هو استدامة ذلك الأنس، **(والإجابة لإماتة الهوى)** أي هوى البقاء في الحجاب، وذلك أن بعض السالكين إذا أشرف على الكشف أحس بحالة تشبه الموت ـ وهي مبادىء الفناء ـ فتهوى نفسه العود إلى الحجاب ـ خوف الانعدام ـ فهذا الهوى إذا حصل العزم أميت ولم يلتفت إليه؛ رغبةً في الفناء في الحضرة؛ فإن الحقيقة لا تبدو إلا بعد فناء البشرية.

والدرجة الثانية: الاستغراقُ في لوائح المشاهدة، واستنارةُ ضياء الطريق، واستجماعُ قوى الاستقامة.

والدرجة الثالثة: معرفةُ علَّة العزم، ثمَّ العزمُ على التخلُّص من العزمِ، ثمَّ الخلاصُ من تكاليف ترك العزم، فإن العزائم لم تورث أربابها ميراثاً أكرمَ من وقوفهم على علل العزائم.

(**والدرجة الثانية: الاستغراقُ**) أي فقدان الإحساس بعين المشاهد (**في لوائح المشاهدة**) أي ما يلوح من جمال المشهود، (**واستنارةُ ضياء الطريق**) يعني وضوح الجادة، واتصالها بمحل المشاهدة، كمن يصل إلى قريب من المدينة ويرى الطريق واضحة إلى أن يصل بابها؛ فهو قد أيقن بالوصول، وأَمِنَ من المعارض، وأنه لا يضل عن باب المدينة، فكذا هذا السالك انقطعت عنه الموانع، واستنار له الطريق، وأيقن بالوصلة لظهور أنوار المشهود الدالة على حصول المقصود، كما يدل ظهور الشفق على قرب طلوع الشمس، (**واستجماعُ قوى الاستقامة**) أي توافق ظاهره وباطنه فيها على طريقة الوصول.

(**والدرجة الثالثة: معرفةُ علَّة العزم**) إذا نسب العزم إلى نفسه، فتلك النسبة هي العلة، فإذا لاح له لوائح الكشف شَهِدَ توحيد الفعل، فاطلع على أن تلك النسبة كانت مرضاً، (**ثمَّ العزمُ على التخلُّص من العزمِ**) أي إذا لاح له علة العزم عزم على ترك العزم، ليخلص من تلك العلة، وكان هذا العزم حسنة «للأبرار»، فصار في حقه سيئة لانتقاله إلى «المقربين» (**ثمَّ الخلاصُ من تكاليف ترك العزم**) يعني: أن يرى ترك العزم من فعل الله فيه لا من فعل نفسه، فإذا أراد ترك العزم تعرَّض إلى تكاليف غير مطلوبة منه؛ فهو يطلب الخلاص من تكاليف ترك العزم كما كان يطلبه (**فإن العزائم لم تورث أربابها ميراثاً أكرم من وقوفهم على علل العزائم**) أي حاصل؛ العزم وثمرته: الوقوف على أن العزم علة، والعزائم أمراض، والسكون الحاصل للعارف هو بهذا السبب، وكل نهضة تحصل للعباد في اجتهادهم من غيبتهم عن هذه الحقيقة، والله أعلم.

[43 ـ] باب الإرادة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسرَاء: الآية 84].

الإرادة من قوانين هذا العلم وجوامع أبنيته، وهي الإجابةُ لدواعي الحقيقة طوعاً.

وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: ذهابٌ عن العاداتِ بصحبة العلمِ، والتعلُّق بأنفاس السالكين................................

([44 ـ] باب الإرادة)

هي جمرة من نار المحبة في القلب المقتضية لإجابة دواعي الحقيقة.

(**قال الله تعالى:** ﴿قُلْ كُلٌّ يَعْمَلُ عَلَىٰ شَاكِلَتِهِۦ﴾ [الإسرَاء: الآية 84]) أي غريزته وفطرته التي فطر عليها، وجه الاستدلال بها أن تصرف المريد بأمر مولاه لا بِهواه، ولولا دواعي الحق ما تحرك بمحض إرادته (**الإرادة من قوانين هذا العلم**) أي أصوله (**وجوامع أبنيته**) وهي القواعد التي تبنى عليها أموره (**وهي الإجابةُ لدواعي الحقيقة**) أي الانقياد لما يسنح في سر العبد من الخواطر الحقانية الباعثة على الطلب إلى الحق (**طوعاً**) ولا يكون إلا بجاذب نور يكشف ظلم الرسوم إلى الانعدام بنور التجلي الجمعي الفردي.

(**وهي على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: ذهابٌ عن العاداتِ بصحبة العلم) أي خروج المريد عن عادات نفسه بجعله بدلاً عنها صحبة العلم الشرعي في العَلم (**والتعلُّق**) أي التقيد (**بأنفاس السالكين**) في المقامات، لا الواقفين في مقام واحد ـ وهو مقام العبادة ـ

مع صدق القصد، وخلعُ كل شاغل من الإخوانِ، ومشتِّت من الأوطان.

والدرجة الثانية: تقطُّعٌ بصحبةِ الحال، وترويح الأنس، والسير بين القبض والبسط.

والدرجة الثالثة: ذهول مع صحة الاستقامة، وملازمة الرعاية على تهذيب الأدب.

(**مع صدق القصد**) أي الخلاص من الرياء (**وخلعُ كل شاغل من الإخوانِ، ومشتِّت من الأوطان**) أي الإعراض عن رسوم الطباع وعادات النفوس والعوام.

(**والدرجة الثانية: تقطُّعٌ بصحبةِ الحال**) يعني إذا انقطع عن المألوفات والعادات تصحبه الحال، أي تنتقل من مقام الإيمان إلى مقام العيان بواسطة التعرُّف الوارد على القلب، المغير لوصف التقليد بوصف المكاشفة، (**وترويح الأنس**) أي ينتقل من تعب عمل أهل التكليف التقليدي إلى ترويح القلب بعمل أهل الأنس، فإنَّ لكل مقام عملٌ يليق به، (**والسير بين القبض والبسط**) أما القبض فمن جانب النفس أو العلم، والبسط من جانب القلب أو المعرفة، وأشار به إلى أنه وإن كان من أهل الأنس، لكنه لم يخلص إلى الأنس الكلي الذي هو عالم البسط؛ بل يرد عليه من بقايا عالم القبض ﴿وَٱللَّهُ يَقۡبِضُ وَيَبۡصُۜطُ﴾ [البَقَرَة: الآية 245] في هذه الدرجة، ﴿وَإِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ﴾ [البقرة: الآية 245] في الثالثة.

(**والدرجة الثالثة: ذهول**) أي غَيبة في المشاهدة بالحال الغالبة؛ لكنه (**مع صحة الاستقامة**)، وهي أن يحفظ عليه أداء الفرائض في أوقاتها، (**وملازمة الرعاية**) أي رعاية حق الله، وحق شيخه، وحق وقته حتى يصفو مشربه (**على تهذيب الأدب**) أي بتهذيب الأدب مع الله ومع خلقه.

[44 ـ] باب الأدب

قال الله تعالى: ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾ [التّوبَة: الآية 112].

الأدبُ: حفظُ الحدِّ بين الغلوِّ والجفاءِ بمعرفة ضرر العُدوان.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: منعُ الخوف أن يتعدَّى إلى الإياس، وحسن الرجاء أن يخرج إلى الأمن، وضبطُ السرور أن يضاهي الجرأة.

([45 ـ] باب الأدب)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَٱلْحَٰفِظُونَ لِحُدُودِ ٱللَّهِۗ﴾ [التّوبَة: الآية 112]).

أي أحكام شرعه والأدب كله محافظتها بحيث لا يجري عليه شيء مما لا يسوغه الشرع فيه.

(**الأدبُ: حفظُ الحدِّ بين الغلوِّ**) أي مجاوزة الحد، (**والجفاءِ**) أي التقصير؛ بأن يتأدب مع كل شيء بغير إفراط ولا تفريط، ولا يمكن هذا إلا (**بمعرفة ضرر العُدوان**)؛ لأن ﴿وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُۥۚ﴾ [الطّلَاق: الآية 1]، والعدوان: التعدي؛ وله مراتب كثيرة منها: التعدي في مراتب السلوك عن حدود المقامات كما يأتي.

(**وهو على ثلاث درجات:**

(**الدرجة الأولى: منعُ الخوف أن يتعدَّى إلى الإياس**)؛ فلا يحكم الخوف على قلبه، بحيث ييأس من الرحمة (**وحسن الرجاء أن يخرج إلى الأمن**)؛ فلا يبلغ فيه إلى أن يأمن من مكر الله، (**وضبطُ السرور أن يضاهي الجرأة**) أي أن يخرج إلى مشابهتها، وهي: «ترك التحفظ بإهمال الأدب».

والدرجة الثانية: الخروج من الخوفِ إلى ميدان القبض، والصعود عن الرجاء إلى ميدان البسط، ثم الترقي عن السرور إلى مَيدان المشاهدة.

والدرجة الثالثة: معرفة الأدب، ثم الفناء عن التأدُّب ـ بتأديب الحق ـ ثم الخلاصُ من شهود أعْبَاء الأدب.

(**والدرجة الثانية: الخروج من الخوفِ إلى ميدان القبض، والصعود عن الرجاء إلى ميدان البسط، ثم الترقي عن السرور إلى مَيدان المشاهدة**) يعني ينتقل عن مقام الخوف والرجاء إلى أصليهما، فإن أصلَ الخوف القبضُ، والرجاء البسطُ ـ بالنسبة لصدور الأشياء عن الحق في عالم الخلق، أما بالنسبة للسلوك فالخوفُ جسمٌ روحُه القبضُ، والرجاءُ جسمٌ روحُه البسطُ ـ فالقلبُ في الخوف، والرجاءُ بين لمة المَلَك ولمة الشيطان، وفي القبض والبسط «بين أصبعين من أصابع الرحمٰن».

(**والدرجة الثالثة: معرفة الأدب**) أي الاطلاع على معناه في الدرجات الثلاث، وإنما يكون بحصوله في الثالثة، (**ثم الفناء عن التأدُّب ـ بتأديب الحق ـ**) بأن يغلب عليه شهود مَن أقامه في الأدب ـ وهو الحق ـ فينسب الأدبَ إلى فعل الحق، ويفنى عن رؤية نفسه، (**ثم الخلاصُ من شهود أعْبَاء الأدب**) فيفنى عن مشاهدة الأدب أصلاً؛ لاستغراقه في شهود الحقيقة في حضرة الجمع ـ التي غيَّبته عن الأدب فيها ـ فيستريح من كلفة حمل أعباء الأدب، وإنما ينحط عنه حمل الأدب إذا فني رسمُه.

[45 ـ] باب اليقين

قال الله تعالى: ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠﴾ [الذّاريَات: الآية 20].

اليقينُ مركب الآخذ في هذا الطريق وهو غاية درجات العامة ـ وقيل: أولُ خَطوة الخاصَّةِ.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: علم اليقين؛ وهو قبولُ ما ظَهر من الحقِّ، وقبولُ ما غابَ للحقِّ تعالى، والوقوفُ على ما قام بالحقِّ.

([46 ـ] باب اليقين)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَفِي ٱلْأَرْضِ ءَايَٰتٌ لِّلْمُوقِنِينَ ۝٢٠﴾ [الذّاريَات: الآية 20].

اليقينُ مركب الآخذ في هذا الطريق) أي مركب الشروع فيه، استعار المركب لليقين لأنه الذي يحمل الطالب على السفر وارتكاب الأهوال، ولولاه ما ثبت قدم في السلوك، **(وهو غاية درجات العامة ـ وقيل: أولُ خَطوة الخاصَّةِ)** فالعُبَّاد إليه ينتهون، والخاصة منه يبتدؤون السلوك، فهو مبدأ الخطوة الأولى.

(وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: علم اليقين. وهو قبولُ ما ظَهر من الحقِّ) أي ما جاءت به الرسل من الأحكام، **(وقبولُ ما غابَ)** أي ما أخبرنا به الرسل من أمر الآخرة ومن كل غائب عنا؛ فإنا إنما قبلناه **(للحقِّ تعالى)** أي لأجله، أو لأجل الحق الذي ظهر لنا بالمعجزة **(والوقوفُ على ما قام بالحقِّ)** والوقوف هنا الكشف الصوري، ومبادىء أنوار توحيد الأفعال، والإخبار بالمغيبات مما فيه خرق عادة بطريق الكرامات، فإن الاطلاع على ذلك بالحق.

والدرجة الثانية: عين اليقين؛ وهو الغِنى بالاستدراكِ عن الاستدلال وعن الخبَرِ بالعيان، وخرقُ الشهودِ حجابَ العلْم.

والدرجة الثالثة: حقُّ اليقين، وهو إسفارُ صبحِ الكشف، ثم الخلاص من كُلفة اليقين، ثم الفناءُ في حقِّ اليقين.

(**والدرجة الثانية: عين اليقين؛ وهو الغِنى بالاستدراكِ عن الاستدلال**) عين اليقين هو شهود الأشياء كما هي بالكشف أي بالعود إلى الفطرة الأولى وإدراك الحقائق في عالم القدس ولا دخل فيه للنظر كما في علم اليقين. فعلوم اليقين يجري فيها النقل والاستدلال، وعين اليقين لا يجري فيها إلا الكشف، وهو معنى الاستدراك، (**وعن الخبَرِ بالعيان**) أي وعن النقل عن غائب بالكشف، (**وخرقُ الشهودِ حجابَ العلْم**) فإن العلم حجاب عن المشهود؛ لكنه كشف عن المعلوم، ولا يكون العلم إلا في الغيبة، فلذلك لازمته الحجابية.

(**والدرجة الثالثة: حقُّ اليقين، وهو إسفارُ صبحِ الكشف**) أي تحققه وثبوته، ومفارقة طور العلم بالكلية إلى الاستغراق في المشهود، بالفناء عن الرسم المحدود، (**ثم الخلاص من كُلفة اليقين**)؛ فإن لليقين حقوقاً يلزم صاحبه آداؤها، فإذا فَنِيَ في التوحيد ارتفع في طورها، فقامت به أمور أخرى أعلا منها، يصير فيها محمولاً بعد أن كان حامِلاً، فتزول عنه كُلفة حمله لها، (**ثم الفناءُ في حقِّ اليقين**) أي وجوب حكمه.

واعلم أن اليقين: «كل ما ثبت واستقر ولم يتزلزل»، وله «علم» و«عين» و«حق»، ولا يضاف إلى اليقين إلا ما يقبله، فإن كان مما يدل عليه علامة أُضِيف إليه العلم، وإن كان مما يُشهَد أضيف إليه العين، وإن كان مما له في نفس الأمر حكم واجب حتى على نفسه أضيف إليه الحق، فقيل: «حق اليقين» لوجوبه.

[46 ـ] باب الأنس

قال تعالى: ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَة: الآية 186].

الأنسُ عبارةٌ عن رَوحِ القرب.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الأنسُ بالشواهد، وهو استحلاءُ الذِّكرِ، والتَّغذِّي بالسماعِ والوقوفُ على الإشارات.

([47 ـ] باب الأنس)

(**قال تعالى:** ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِى عَنِّى فَإِنِّى قَرِيبٌ﴾ [البَقَرَة: الآية 186]) الاستشهاد بالآية إنما هو لتحقيق معنى القرب بقوة الإيمان فيلزمه الأنس، ألا ترى إلي قوله:

(**الأنسُ عبارةٌ عن رَوحِ القرب**) لأن القرب يوجب الجمعية ظاهراً وباطناً ولا لذة إلا في الجمعية فتوجب الروح أي الراحة بالأنس، والبعد يوجب التفرقة ولا ألم إلا فيها فتوجب الترح بالوحشة.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الأنسُ بالشواهد) الشاهدة له بالتقدم في سلوكه، والنجاح في طريقه، (**وهو استحلاءُ الذِّكرِ، والتَّغذِّي بالسماعِ**) ولا يختص بالفناء؛ بل هو اعتباراتٌ يفهمها أهلُ الصفاء، ومعانٍ سمعتها القلوب المشرقة بنور الله، فتجد فيها لذةً روحانيةً، يصل نعيمُها إلى القلوب، بل والأجسام (**والوقوفُ على الإشارات**) وهي معانٍ تشير إلى الحقيقة من وراء حجاب شفاف، وتلك المعاني تفهم من كل محسوس، كما قيل:

والدرجة الثانية: الأنس بنور الكشف وهو أُنسٌ شاخص عن الأُنس الأول يشوبه صولة الهيمان، ويضربه موجُ الفناء، وهذا الذي غلب قوماً على عقولهم، وسلب قوماً طاقةَ الاصْطِبار، وحلَّ عنهم قيودَ العلم، . . . .

مِنْ كُلِّ مَعْنى لطِيفٍ أَجْتَنِي قَدَحاً   وكُلُّ نَاطِقَةٍ في الكَونِ تُطْرِبُنِي

وسبب إدراك الإشارات: صفاء يحصل بالجمعية يُلَطِّف الحس، فينتبه لإدراك أمور لطيفة، كان حسُّه يكشف عنها، فلما لطُف أدركها.

(**والدرجة الثانية: الأنس بنور الكشف**) أي بسبب نوره، (**وهو أُنسٌ شاخص**) أي بادٍ وظاهر (**عن الأُنس الأول**) أي عن الأنس المذكور في الدرجة الأولى، لا الأنس الراجع إلى الأزل بمعنى السابقة؛ فإنه لا يليق بالثانية، وإن تحقق معناه فإنما يرجع إلى الثالثة، (**يشوبه صولة الهيمان**) أي يكون مبدؤه كشفاً عن معنى الجمال الموجب للبسط الغالب، ثم يقوى إلى أن يستغرق عقل المشاهد، فيمتزج بالهيمان، وجعل للهيمان صولة ـ وهو القهر ـ لأنه يقهر العقل، والهيمان: «الحيرة والحركة إلى كل جهة من غير تمييز» (**ويضربه موجُ الفناء**) يعني أن صاحب هذا الأنس يطالع مبادىء الفناء محيطة به، فهي تقلِّبه كما تُقلِّب الموج الغريق، وذلك قبل استيلاء سلطان الفناء على وجوده (**وهذا الذي غلب قوماً على عقولهم**) لكن العقل لم ينسلب، لكنه رأى معاني فوق ما أَلِفَ إدراكه فانخرم عليه القياس، وشاهد مدركات شريفة معشوقة، فاشتغل بها عن إدراك الحواس، وهؤلاء هم المولهون في جمال الحضرة، وهم في عداد الملائكة المهيمة ـ أي الذين لا يعلمون أن الله خلق آدم لشغلهم به عمن سواه ـ وهؤلاء مع استغراقهم في جمال المشهود، دون أهل التمكين في المقام الذين صحوا بعدما سكروا، وعادوا بالحق إلى الخلق، (**وسلب قوماً طاقةَ الاصْطِبار**) أي ربما لاح ذلك الأنس الممزوج بالهيمان لقوم أقوياء، لم يسلبهم عقولهم، لكن سلبهم الاصطبار عنه، لاستيلاء أنوار الجمال عليهم، (**وحلَّ عنهم قيودَ العلم**) أي التعبُّد بأحكام الشرع، انتقالاً عنها إلى التقييدات ببواطنها وحقائقها، فإن لكل حقٍّ حقيقة، فمَنْ حُفِظَ عليه في سلوكه صورة الشرع فهو المريد بتأييد

وفي هذا ورد الخبر بهذا الدعاء: «أسألُكَ شَوقاً إلى لِقائِكَ» في غيرِ ضرَّاءَ مُضِرَّةٍ ولا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ.

والدرجة الثالثة: أنسُ اضمحلال في شهودِ الحضرة؛ لا يعبَّر عن عينِه ولا يشار إلى حدِّه ولا يوقَف على كُنهه.

الله، خَلَّصه به من فتنة مضلّة (**وفي هذا ورد الخبر**) أي خبرٌ (**بهذا الدعاء: «أسألُكَ شَوقاً إلى لِقائِكَ»**) أي مشاهدتك، ولا يقال: إنه طلب الموت لتكون المشاهدة في الآخرة، فإن الموت والحياة لا يكونان سبب لقاء الله، لأن لقائه لا سبب له إلا الموهبة (**في غيرِ ضرَّاءَ مُضِرَّةٍ**) أي يحصل له الشوق الذي لا يغلبه على عقله، فإنه ضرَّاء مضرة (**ولا فِتْنَةٍ مُضِلَّةٍ**) أي ولا يغلبه على محافظته على أحكام الشرع؛ فإن ذلك أيضاً فتنة مضلّة.

كذا قرَّره التلمساني. وقال القاشاني: الضراء المضرّة ذهاب العقل. والفتنة المضلّة إنحلال قيود العلم، فإن ذهاب العقل يضر بالدنيا، وهو مرض يشبّه بالجنون، والانحلال عن قيود العلم زندقة مؤدية إلى الضلال والإضلال.

(**والدرجة الثالثة: أنسُ اضمحلال في شهودِ الحضرة؛ لا يعبَّر عن عينِه**) أي عن حقيقته (**ولا يشار إلى حدِّه**) إذ لا حد له، (**ولا يوقَف على كُنهه**) أي إذا ظهر أفنى الأغيار، فلا يبقى من يقف على كنهه، وليس أيضاً كنهه مما يدرك بهذه الحقيقة، ولا يُتكلَّم في هذا المقام، إذ ليس عنه عبارة، ولا إليه إشارة.

[47 ـ] باب الذكر

قال تعالى: ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾ [الكهف: الآية 24].

يعني إذا نسيتَ غيرَه، ونسيتَ نفسَك في ذكركَ، ثم نسيتَ ذكرَك في ذكره، ثمَّ نسيتَ في ذِكر الحقِّ إيّاك كلَّ ذكرٍ، والذكرُ: «هو التخلُّص من الغفلةِ والنسيان».

([48 ـ] باب الذكر)

(**قال تعالى:** ﴿وَٱذۡكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَۚ﴾ [الكهف: الآية 24]) فسّر المؤلف الآية بلسان الإشارة لا العبارة الذي هو لسان العموم، فإن خطابه لأهل الخصوص، فخاطبهم بلسانهم فقال:

(**يعني إذا نسيتَ غيرَه**) أي غير الحق تعالى إلا نفسك، ولا يمكن كون نفسك منسيَّة في هذه المرتبة الأولى، وإن كانت غير الحق، لأنك ناسٍ، ولا تكون ناسياً إلا ونفسك ثابتة، حيث يثبت لها وصف النسيان، فإذا نسيت غيره إلا نفسك فقد ذكرت ربك بأول درجات الذكر، وهو ذكر اللسان، وذلك من جملة الغير، (**ونسيتَ نفسَك في ذكركَ**) أي عُدِمتَ إدراكها المذكور، (**ثم نسيتَ ذكرَك في ذكره**) يعني نسيت أنك ذكرته بعدمها أيضاً في شهود ذكره لك، (**ثمَّ نسيتَ في ذِكر الحقِّ إيّاك كلَّ ذكرٍ**) إذ لم يبق بعد ذلك إلا نسيانك كل ذكر في ذكر الحق إيّاك، يعني أن تشهد قيام حقيقة الصفات كيف صدورها عن فعل الواحد الحق لا غيره، فلا يكون معه سواه، وهذا هو وجدان المذكور في الذِكر والذاكر، أي يشتمل حقيقة الجمع على النسب والإضافات، فيجتمع الشتات وتنقطع الإشارات، (**والذكرُ: «هو التخلُّص من الغفلةِ والنسيان»**).

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الذكرُ الظاهرُ: من ثناءٍ، أو دعاءٍ، أو رعايةٍ.

والدرجة الثانية: الذكرُ الخفيُ؛ وهو الخلاصُ من القيود، والبقاءُ مع الشهودِ، ولزومُ المسامرةِ.

والدرجة الثالثة: الذِّكْرُ الحقيقي؛ وهو شهودُ ذكر الحقِّ إيَّاك، والتخلُّصُ من شهودِ ذِكرك، ومعرفةُ افتراء الذاكر في بقائِه مع الذكر.

وهو على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: الذكرُ الظاهرُ: من ثناءٍ، أو دعاءٍ، أو رعايةٍ) أي رعاية حضور القلب مع العبادة، فإنه ذكر بالقلب، وفيه رعاية حقوق الله.

(والدرجة الثانية: الذكرُ الخفيُ؛ وهو الخلاصُ من القيود) وهو قيد ذكر اللسان، **(والبقاءُ مع الشهودِ)** وهو ذكر القلب **(ولزومُ المسامرةِ)** وهو ذكر الروح، وهو تفرُّد الأرواح بخفي مناجاتها ولطيف مناغاتها في سر السر بلطيف إدراكها للقلب.

(والدرجة الثالثة: الذِّكْرُ الحقيقي؛ وهو شهودُ ذكر الحقِّ إيَّاك، والتخلُّصُ من شهودِ ذِكرك، ومعرفةُ افتراء الذاكر في بقائِه مع الذكر)؛ فمَنْ شهد ذكر الحق له قبل ذكره إيَّاه، فإنه الذي خصَّه بذكره له، وخلقه فيه، ووالاه على قلبه حتى أنساه ذكرَ نفسه، فقد خلص من شهود ذكره، وإذا تحقق عنده أنَّ كمال الذكر غَيبة الذاكر عن ذكر نفسه تُيقِّن افتراؤه في ذكره، أي كذبه في دعوى ذكره.

[48 ـ] باب الفقر

قال الله تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فَاطِر: الآية 15].

الفَقْرُ: اسمٌ للبراءة من رؤيةِ المَلكَةِ.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: فقرُ الزهَّاد؛ وهو نفضُ اليد عن الدنيا ضبطاً أو طلباً، وإسكاتُ اللسان عنها مدحاً أو ذمّاً، والسلامةُ منها طلباً أو تركاً، وهذا هو الفقرُ الذي تكلَّموا في شرَفه.

([49 ـ] باب الفقر)

(**قال الله تعالى:** ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ﴾ [فَاطِر: الآية 15].

الفَقْرُ: اسمٌ للبراءة من رؤيةِ المَلكَةِ) يعني الفقر عدم الملك، ونفس الإنسان ليست له، فإن لم يخرج عنها لله فقد ادعى فيها الملك، فلا يصح له الفقر.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: فقرُ الزهَّاد؛ وهو نفضُ اليد عن الدنيا ضبطاً) أي قبض اليد عن الضبط، وهو بذل ما ملكت يدُه، (**أو طلباً)** أي وعن الطلب، بأن يتعرض إليه، أي الامتناع عن كلام الأمرين فإن أتته بذلها وإن لم تأته لم يطلبها (**وإسكاتُ اللسان عنها مدحاً أو ذمّاً، والسلامةُ منها طلباً أو تركاً)**؛ فيسلم من تبعات تركها كما يسلم من تبعات طلبها، ومن تبعات تركها أن يعرض له عجب، أو رياء بكونه تركها، (**وهذا هو الفقرُ الذي تكلَّموا في شرَفه)** وفوق ذلك ما يأتي:

والدرجة الثانية: الرجوعُ إلى السبق بمطالعةِ الفضلِ، وهو يُورثُ الخلاصَ من رؤيةِ الأعمال، ويقطعُ شهودَ الأحوالِ، ويتمحَّصُ من أدناسِ مطالعةِ المقاماتِ.

والدرجة الثالثة: صحَّةُ الاضطرار، والوقوع في يد التقطع الوحداني، والاحتباسُ في قيد التجريد، وهذا فقرُ الصوفيَّةِ.

(**والدرجة الثانية: الرجوعُ إلى السبق بمطالعةِ الفضلِ**) بأن يرى أن ذاته من فضل الله، ووجوده صدقة منه، وكذا علمه فإنه من لواحق الذات، (**وهو يُورثُ الخلاصَ من رؤيةِ الأعمال**) أي من رؤية أن له عملاً، (**ويقطعُ شهودَ الأحوالِ**) فلا يرى له حالاً شريفاً، بل يلقى الله بالفقر من الأعمال والأحوال، (**ويتمحَّصُ من أدناسِ مطالعةِ المقاماتِ**) فإذا طالع سابقة الفضل، وأن المقامات صدقة عليه لم يعتد بها، فيتمحص أدناسها عنه ـ أي تتفرق ـ فالمقامات أوساخ لدلالة رؤيتها على أن لصاحبها علواً، فمن تدنس بها لم يكن فقيراً.

(**والدرجة الثالثة: صحَّةُ الاضطرار**)؛ بأن يتحقق أنه لا عمل له، ولا حال، ولا مقام، ولا وجود، ولا شهود، ولا ذات أصلاً، وهناك يحصل له (**والوقوع في يد التقطع الوحداني**) يريد بـ(الوقوع): صدق الحصول في يد التقطع، أي في ملكه قهراً، و(الوحداني) إشارةً إلى أن قيامه بالواحد، أي أن حضرة الوحدة قطعته عن الأغيار وسلبته عنها، فلم يبق سوى الواحد القهار، (**والاحتباسُ في**) بيداء (**قيد التجريد**) أي تجريد الفردانية عن السوى، سميت بيداء لأن الرسوم تبيد فيها أي تنعدم، فليس ثم وجود لسوى المشهود الحقّ (**وهذا فقرُ الصوفيَّةِ**) إذ حقيقة الفقر: فقد الأنانية في وجود الحقِّ تعالى، وذلك حال الصوفي.

[49 ـ] باب الغنى

قال الله تعالى: ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضّحى: الآية 8].

الغِنى: اسم للمُلك التامِّ.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: غِنى القلب، وهو سلامتُه من السبب، ومسالمته للحكم، وخلاصُه من الخصومة.

والدرجة الثانية: غِنى النفس؛ وهو استقامتُها على المرغوبِ، وسلامتُها من

([50 ـ] باب الغنى)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَوَجَدَكَ عَآئِلًا فَأَغْنَىٰ ﴿٨﴾﴾ [الضّحى: الآية 8].

الغِنى: اسم للمُلك التامِّ) أي اسم لمالكية الحق فإن الملك التام ليس إلا لله وحده (**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: غِنى القلب) فإنَّ قوماً اغتنوا بالمال ـ وهم فقراء ـ لشدة تعلُّق قلوبهم بالزيادة، فالمراد غِنى القلب لا اليد، (**وهو سلامتُه من السبب)** أي من التعلق بالأسباب (**ومسالمته للحكم)** أي لحكم الله في قضائه، فلا يعارضه، أي لا يريد سوى ما أراد، (**وخلاصُه من الخصومة)** يعني أنه إذا سالم حكم الله في خلقه لم يخاصم أحداً منهم.

(**والدرجة الثانية: غِنى النفس؛ وهو استقامتُها على المرغوبِ)**، وهو طلب الحق تعالى، وقطع المنازل بالسير إليه، والاستقامة دوام الطلب، (**وسلامتُها من**

الحظوظ، وبراءتُها من الرياء.

والدرجة الثالثة: الغِنى بالحق، .

وهو على ثلاث مراتب، المرتبة الأولى: شهود ذكره إيَّاك، والثانية: دوام مطالعة أوليَّته، والثالثة: الفوزُ بوجوده.

الحظوظ) أي شهوات النفس، **(وبراءتُها من الرياء)** وهو ترك العمل لأجل الناس، وهو من الشرك الخفي.

(والدرجة الثالثة: الغِنى بالحق، وهو على ثلاث مراتب، المرتبة الأولى: شهود ذكره إيَّاك) أي تستغني بذلك إذا ذَكَرك في نفسه، وأعطاك الوجود، وأغناك حيث وجدك عائلاً ـ أي مُعدماً ـ بل عدماً.

(والثانية: دوام مطالعة أوليَّته) بأن لا يرى شيئاً إلا رأى الله قبله، فهو دائماً يسبق نظره إلى الحق قبل الخلق فيستغنى به.

(والثالثة: الفوزُ بوجوده) فمن وجد الله وجد كل شيء، فلا يفتقر إلى شيء، فيستغني عن الكل بالكل.

[50 ـ] باب مقام المراد

قــال الله تــعــالــى: ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: الآية 86].

الأكثر جعلوا المرادَ والمريدِ اثنين، وجعلوا مقامَ المراد فوقَ مقام المريد، وإنما أشاروا باسم المراد إلى الضَّنَائن الذين ورد فيهم الخبر.

([51 ـ] باب مقام المراد)

(**قــال الله تــعــالــى:** ﴿وَمَا كُنتَ تَرْجُوٓاْ أَن يُلْقَىٰٓ إِلَيْكَ ٱلْكِتَٰبُ إِلَّا رَحْمَةً مِّن رَّبِّكَ﴾ [القصص: الآية 86]، وجه الاستدلال: أنه عليه السلام المرادُ المخصوصُ من ربه بما لم يؤمله، ولا خطر بباله.

(الأكثر جعلوا المرادَ والمريدِ اثنين، وجعلوا مقامَ المراد فوقَ مقام المريد) وقالوا: المريد من يسبق اجتهادُه كشفَه وسلوكُه جذبَه، والمراد من يسبق كشفُهُ اجتهادَه، وجذبُه سلوكَه. فالمراد واصل بمحض الاجتباء والاصطفاء، والمريد مهدي إلى الله بعد الإنابة.

وذهب بعضهم إلى أنه لا فرق، فكل مريد مراد بتلك الإرادة، وكل مراد مريد لمن أراد، وهيهات ليس الزائر كالمَزُور، ولا الحامل كالمحمُول، ولا المحب كالمحبوب! إذ المريد ـ ما دام مريداً ـ يتعثر في أذيال بقايا وجوده، فيتنسَّم روحَ القرب من بُعد، وأما المراد فليس مُلابس القرب دائماً، لا يزعجه طلب، ولا يوحشه سلب.

(وإنما أشاروا باسم المراد إلى الضَّنَائن الذين ورد فيهم الخبر) وهو

وللمراد ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن يُعصَمَ العبدُ ـ وهو يستشرف للجفاء اضطراراً ـ بتنغيص الشهوات، وتعويق الملاذِّ، ويسد عليه مسالك المعاطب عليه إكراهاً.

والدرجة الثانية: أن يضعَ عن العبد عوارضَ النَّقص، ويعافيه من سِمة اللائمة، . . . .

قوله ﷺ: «**إن لله تعالى ضَنائِنَ مِنْ خَلْقِهِ**. . .»[1] أي خصائص يضن بهم عن البلا، يقال: فلان ضنين من بين الإخوان، أي أتخصَّص به وأضن بمودته أن أضيعها، «**يحييهم في عافية**» أي يعصمهم من المعاصي، «**ويميتهم في عافية**» على ما كانوا عليه ذكره التلمساني. وقال القاشاني: قوله يحييهم في عافية أي لا تلبس لهم بالمخالفات ويعصمهم في حياتهم من أول صباهم عن المعاصي ويميتهم على ذلك.

(**وللمراد ثلاث درجات**:

الدرجة الأولى: أن يُعصَمَ العبدُ) أي يُصان عن الشهوات قهراً (**ـ وهو يستشرف للجفاء**) أي يميل قلبه للمعاصي والشهوات، فيحفظه منها (**اضطراراً ـ**) منه، لا اختياراً، (**بتنغيص الشهوات، وتعويق**[2] **الملاذِّ**) أي يكون حفظه مما ذكر بأن ينغص عليه ما تيسر له وجوده منها لتنصرف نفسُه عنه جبراً، (**ويسد عليه مسالك المعاطب عليه**) أي مسالك التوسل إليها، فيسلم من العطب (**إكراهاً**) أي يعصمه، وهو كاره كل ذلك عناية به.

(**والدرجة الثانية: أن يضعَ عن العبد عوارضَ النَّقص**) في نسخ: عوار النقص أي عيبه، أي أسبابه، (**ويعافيه من سِمة اللائمة**) أي اللوم، فإن تلك الأسباب إذا عرضت له استحقَّ اللائمةَ، فإذا وضعها الحق عن عبده لم يعتبه

---

(1) رواه بنحوه الطبراني في الأوسط، من اسمه محمد، حديث رقم (6369) [6/ 265] ورواه بنحوه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، في أن مراتب الشهداء سبع أو ثمان، [4/ 234] ورواه غيرهما.

(2) وفي نسخة [تفريق].

ويملِّكه عواقبَ الهفوات كما فعل بسليمان عليه السلام في قتل الخيل: حَمَله على الريح الرخاء والعاصف؛ فأغناه عن الخيل، وفعل بموسى حين ألقى الألواحَ، وأخذ برأس أخيه: ولم يعتب عليه كما عتب على آدم ونوح وداود ويونس عليهم السلام.

عليها، وذلك دليل أنه من ضنائنه (**ويملِّكه عواقبَ الهفوات**)؛ لأن الهفوة إذا صدرت ممن هو مراد كانت العافية فيها زيادة خير له، فهفوته حصول كمال وسعادة له لأنه تعالى جعل له في كل قضاءٍ خيراً فيجعل هفوته سبب توبة تجدد له من القرب والكمال أضعاف ما كان له قبل الهفوة وذلك أن ظهور الكمالات الإلٰهية على العبد بفناء صفات نفسه ورفع حجاب أنانيته وقد يكون بعض الكمالات والسعادات له ممنوعة عن الظهور إلى الفعل من القوة بصفات نفسه كالعجب فإذا ابتلي بهفوة انكسرت نفسُه فتاب واستغفر وأناب حتى امتحت صفات نفسه المانعة، ارتفعت الحجب وظهرت تلك الكمالات وذلك من عناية الله بعبده وتمليكه عواقب الهفوات.

(**كما فعل بسليمان عليه السلام في قتل الخيل: حَمَله على الريح الرخاء والعاصف؛ فأغناه عن الخيل**) وذلك لأنه لما رأى تعلق قلبه بها حتى شغلته عن عبادة ربّه قطع تعلقها به بإملاكها ففرغ قلبه بالكلية إلى ربّه وعبادته فكان ذلك منه توبة بقطع حبها عن قلبه بالكلية فقتلها وعوضه عنها الريح يركبها وهي تجري بأمره وكانت هذه المنزلة التي ملّكها الله إياه عاقبة هفوته.

(**وفعل بموسى حين ألقى الألواحَ وأخذ برأس أخيه: ولم يعتب عليه كما عتب على آدم ونوح وداود ويونس عليهم السلام**) أما عتبه على آدم فقوله: ﴿أَلَمۡ أَنۡهَكُمَا عَن تِلۡكُمَا ٱلشَّجَرَةِ﴾ [الأعراف: الآية 22]، وأما على نوح فقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَيۡسَ مِنۡ أَهۡلِكَۖ﴾ [هود: الآية 46]، وأما على داود فقوله: ﴿وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ [ص: الآية 26]، وأما على يونس فقوله تعالى: ﴿فَٱلۡتَقَمَهُ ٱلۡحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ﴾ [الصافات: الآية 142] وظهر أن موسى وسليمان من الضنائن دون من بعدهما.

والدرجة الثالثة: اجتباءُ الحق تعالى عبدَه، واستخلاصه إيَّاه بخالصته كما ابتدأ موسى، وقد خرج يقتبسُ ناراً، فاصطنعه لنفسه، وأبقى منه رسماً معاراً.

وهنا تمَّ قسم الأصول

والدرجة الثالثة: اجتباءُ الحق تعالى عبدَه، واستخلاصه إيَّاه) أي جعله خالصاً (**بخالصته)** أي بنفسه، وهو اصطناعه لنفسه (**كما ابتدأ موسى، وقد خرج يقتبسُ ناراً، فاصطنعه لنفسه، وأبقى منه رسماً معاراً)** إذ رده بالدعوة لخلقه، أي أعارهم رسمه الظاهر من صورته.

قسم الأودية

وأما قسم الأودية فهو عشرة أبواب، وهي: الإحسانُ، والعلمُ، والحكمةُ، والبصيرةُ، والفراسةُ، والتعظيمُ، والإلهامُ، والسكينةُ، والطمأنينةُ والهمةُ.

إنما سميت منازل هذا القسم أودية لأن معظم السير والسلوك فيها وللسعي والاجتهاد فيها قوة، وللعمل فيها مدخل وللشيطان تصرُّف وللكسب غلبة فلذلك قد يكون فيها مهالك ويقع فيها معاطب ومهاوٍ لازدحام الشبع بحسب النظر العقلي ومكايد الشيطان.

[51 ـ] باب الإحسان

قال الله تعالى: ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرَّحمٰن: الآية 60].

قد ذكرنا في صدر الكتاب أن الإحسان اسمٌ جامع لجميع أبواب الحقائق وهو: «أن تعبد الله كأنك تراه».

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الإحسانُ في القصد بتهذيبه علماً، وإبرامه عزماً، وتصفيته حالاً.

([52 ـ] باب الإحسان)

هو التحقق بالعبودية على مشاهدة حضرة الربوبية بنور البصيرة.

(**قال الله تعالى:** ﴿هَلۡ جَزَآءُ ٱلۡإِحۡسَٰنِ إِلَّا ٱلۡإِحۡسَٰنُ ۝٦٠﴾ [الرَّحمٰن: الآية 60].

(**قد ذكرنا في صدر الكتاب أن الإحسان اسمٌ جامع لجميع أبواب الحقائق وهو: «أن تعبد الله كأنك تراه»**) المراد بأبواب الحقائق الأبواب التي يشتمل عليها هذا الكتاب فإنها حقائق يتحقق بها مذهبهم، وإنما جمعها معنى الإحسان لأنها عبادات ومعاملات مبنية على المشاهدة التي هي معنى الإحسان، فمن لم يبْنِ عملَه على ذلك لم يتضح له باب المقصود.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الإحسانُ في القصد) أي في نيّة العمل (**بتهذيبه علماً**) أي يجعل القصد على مقتضى علم الشرع، فلا يقصد ما لا يجوز شرعاً، (**وإبرامه عزماً**) بأن يقترن بالقصد عزم يمضيه، (**وتصفيته حالاً**) أي ويقترن القصد بحال صحيح صاف من كدر الفعل.

والدرجة الثانية: الإحسانُ في الأحوال وهو أن يراعيها غيرةً ويسترها تظرُّفاً ويصحِّحها تحقيقاً.

والدرجة الثالثة: الإحسانُ في الوقت، وهو أن لا تزايل المشاهدة أبداً ولا تلحظ بهمتك أحداً، وتجعل هجرتك إلى الحق سرمداً.

(**والدرجة الثانية: الإحسانُ في الأحوال**) وهي مواهب ومواجيد خارجة عن كسب العبد، وقد تكون ثمرات الأعمال، (**وهو أن يراعيها غيرةً**) أي يغار عليها فيحفظها خوف تحويلها، وإذا كانت مواهب فحفظها ليس إليه لكنه يكون دائماً متهيئاً لها متعرضاً (**ويسترها**) عن الناس (**تظرُّفاً**) أي يكون كالظرف يسع الأحوال ولا تظهر عليه، فيكون مستوراً كما يستر الظرف ما فيه، (**ويصحِّحها تحقيقاً**) أي يجتهد في تحقيق أحواله وتخليصها، فإن الحال قد يمتزج بحقّ وباطل، ولكلٍّ علامات، فكل وارد يُبقي السالك بعد انفصاله نشيطاً مسروراً نشوان، فهو وارد مَلَكي، وكل وارد يبقى بعده كسلان، خبيث النفس، متألِّم المفاصل والأعضاء، محتاجاً للنوم، فهو شيطاني، وكل وارد انفصل وترك في القلب معرفة بالله فهو إلٰهي، والتجربة تحقق ذلك، فإذا كان من أهل الأحوال ورأى فيها ما يخرجه عن الاستقامة فليسعى في تحقيقه، مع أنه لا ينفع السعي إلا في الأحوال التي من نتائج الأعمال.

(**والدرجة الثالثة: الإحسانُ في الوقت**) أي في حفظه، (**وهو أن لا تزايل المشاهدة أبداً**) أي لا تفارقها، وهذه الوصية لا تفيد إلا لأهل التمكين، الذين زالت عنهم سطوة المشاهدة، وجلالة الهيبة، فإنهم متى أرادوا الاستقبال بالأغيار أمكن ـ وإن كانت الصورة لا تحجبهم ـ لكن يشتغلون بتفاصيل عالم الخلق عن تفاصيل عالم الأمر، ومن دونهم لا يمكنه مفارقة المشاهدة، فإن الوارد يحكم فيهم، (**ولا تلحظ بهمتك أحداً**) يعني تعلق همتك بالحق، ولا تعلقها بأحد غيره فإنه شرك في الطريق، (**وتجعل هجرتك إلى الحق سرمداً**) بأن تكون دائم التوجه نحو جناب الحق، ودائم المهاجرة لما سواه.

[52 ـ] باب العلم

قال الله تعالى: ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: الآية 65].

العلمُ: ما قام بدليلٍ، ورفعَ الجهلَ.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: علمٌ جليٌ به يقع العيان، أو استفاضة صحيحة، . . . . .

([53 ـ] باب العلم)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَعَلَّمْنَـٰهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا﴾ [الكهف: الآية 65].

العلمُ: ما قام) أي ثبت **(بدليلٍ، ورفعَ الجهلَ)** والدليل يرجع إلى العقل؛ لأن العقل إنما يركن إليه أهل العقل، فبالعقل يثبت النقل، وأما المعرفة فنور الحس والعقل، والمؤلف يشير إلى المعرفة باستدلاله بالآية، ووجه المطابقة بينها والحد: أن الدليل لمَّا كان عَلماً على المدلول سمي الاطلاع به عِلماً، والعلم اللدني لمتانته دليل على نفسه لنفسه، فكان كالعلم الضروري لا يفتقر إلى دليل في ثبوته، والعلوم كلها في الكشف سواء ليس شيء منها أجلى من شيء؛ إذ حقيقة العلم: معرفة المعلوم على ما هو عليه، وإنما المختلف أسبابها الموصلة إليها.

(وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: علمٌ جليٌ به يقع العيان) أي المعاينة بالبصر، ويدخل فيه جميع الحواس، فإن العلم يحصل بطريقها، **(أو استفاضة صحيحة)** وهي الشهرة في النقل، كوجود ما لا ريب فيه من البلدان، وهذا أتم مما قبله، لقبول الحسِّ

أو تجربة صحيحة قديمة.

والدرجة الثانية: علمٌ خفيّ ينبت في أرض الأسرار الطاهرة من الأبدان الزاكية بماء الرياضة الخالصة وتظهر في الأنفاس الصادقة لأهل الهمم العالية في الأحايين الخالية في الأسماع الصاحية وهو علمٌ يُظهِر الغائب ويُغَيِّب الشاهد

للوهمَ، وهو أيضاً قد يفيد العلم أو غلبة الظن، **(أو تجربة صحيحة قديمة)** فإنها تفيد العلم أيضاً، كالأدوية التي جربت للأطباء، وبالجملة فالعلم: ما حصل بدليل، وأما المعرفة فهي الشاهدة لنفسها، لأنها أمور وجدانية لا يتطرق لصاحبها ريب فيها وإن انتقل عنها، لما يكون سبب ظهور بطلانها، فإنه ارتفع عن مقامها فصار له حكم آخر، يطلب به، وتبقى تلك المعرفة في طورها صحيحة في مرتبتها.

(والدرجة الثانية: علمٌ خفيّ) عن علماء الدرجة الأولى، وهو عند أهله ظاهر جلي، وهو المسمى بالمعرفة، **(ينبت في أرض الأسرار الطاهرة)** من العلائق والعوائق، **(من الأبدان الزاكية)** النقية من الحرام والشُبه، ودنَس البشرية التي تُغلِّب العقل وتثير الشهوات **(بماء الرياضة الخالصة)** شَبَّه القلوب بالأرض، والرياضة بالماء، والعلم العرفاني بالزرع، **(وتظهر في الأنفاس الصادقة)** يعني ساعات الصفاء، وأوقات النفحات الربانية، أو النيات الخالصة، والقلوب الحاضرة مع الله، **(لأهل الهمم العالية)** الذين يعبدون الله لله، لا رغبة في جنة، ولا رهبة من نار، همم تعلقت بأعلى المقاصد، ونبت ذلك العلم في أسرارهم **(في الأحايين الخالية في الأسماع الصاحية)** أراد بالأسماع القلوب، فإنَّ من علامة تلقي المعرفة أن يتَّحدَ العقلُ والحواس في وقت التَّنزُّل، فيسمع بما به يفهم، ويبصر بما به يسمع، وتتحد قواه ومداركه، فلا يبقى منه ذرةٌ إلا تشارك في الإدراك، وقد يراد بالأسماع ما يخص الخطاب فقط، والخطاب: تجلٍّ نوراني، والتجلي إذا وقع على عين القلب سُمِّيَ مشاهدةً، وإذا وقع على سمع القلب سُمِّيَ فهماً وخطاباً، **(وهو علمٌ يُظهِر الغائب)** أي يكشف ما غاب من المعارف، **(ويُغَيِّب الشاهد)** أي يُغيِّبه عن شهود غير الحقيقة بقدر ما حصل له من

ويشير إلى الجمع.

والدرجة الثالثة: علمٌ لدنيٌّ إسنادُه وجودُه وإدراكُه عيانُه ونعتُه حكمُه ليس بينَه وبينَ الغيب حجابٌ.

رتبة الشهود **(ويشير إلى الجمع)** فإن المعارف كلها إشارات وجدانية، تشير إلى مقام الفردانية، وهو مقام «**كان الله ولا شيء معه**»[1] وهو الآن على ما عليه كان، وذلك باضمحلال رسوم الشاهد في المشهود.

(والدرجة الثالثة: علمٌ لدنيٌّ) وهو كل علم حصل عن شهود بغير كسب، فهو من لَدُنْ ربنا لا من كسبنا، وطريق حصوله وجدانه، فلذلك قال: **(إسنادُه وجودُه)** أي لا يوجد بالإسناد بل بالوجود، **(وإدراكُه عيانُه)** أي العلم المعقول يوجد بالفهم، وهذا يوجد بالعيان ـ أي الشهود ـ وهو: «إدراكٌ تجتمع فيه جميعُ الحواس الباطنة والظاهرة، ويتحد إدراكها، كلٌّ بوصف واحد»، وموجبُ اتحادهما نورٌ من جناب المشهود يمحو قواها كلَّها، ويقوم مقامها وحده، فيرى الحق بنوره، ويفنى كلُّ ما سواه بظهوره، **(ونعتُه حكمُه)** أي «نعته لا يُوصلَ إليه إلا به، والعبارة قاصرة عنه، ولا يُعبِّر أحدٌ عن معناه إلا اشتمل لفظُه على غلط»، فنعتُه هو حكمه لنفسه، فشاهده منه، وعبارته هي حكمه لنفسه أنه الحق الذي لا يقبل شكّاً **(ليس بينَه وبينَ الغيب حجابٌ)** أي ليس بينه وبين الجمع حجاب، إذ الغيب حضرة الجمع، وهذا هو التجلي الذاتي.

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء برقم (2011) [2/ 171] وقال: رواه ابن حبان والحاكم وابن أبي شيبة عن بريدة وفي رواية: ولم يكن شيء غيره. وفي رواية أخرى: ولم يكن شيء قبله.

[53 ـ] باب الحكمة

قال الله تعالى: ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البَقَرَة: الآية 269].

الحكمةُ اسمٌ لإحكام وضع الشيء في موضعه.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعطي كلَّ شيء حقَّه، . . . .

([54 ـ] باب الحكمة)

(**قال الله تعالى:** ﴿يُؤْتِي ٱلْحِكْمَةَ مَن يَشَآءُ ۚ وَمَن يُؤْتَ ٱلْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البَقَرَة: الآية 269].

الحكمةُ اسمٌ لإحكام وضع الشيء في موضعه) فهي تحكُّمٌ في الأمر أن يكون بحسب ما يرتبه الحكيم، ومن أطلعه الله على الترتيب الذي رتبه بحكمته زال عنه التَّسخُّطُ والتَّضَجُّرُ، وتحلَّى بالتسليم والتفويض في كل الأمر، وهذا قد استعجل النعيم، فإنه في راحة ومن أُوتي هذا ﴿فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا ۗ﴾ [البَقَرَة: الآية 269].

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: أن تعطي كلَّ شيء حقَّه) أي تعرف لكل شيء حقَّه، فإن أمكن إيصاله إليه وصَّلته وإلا اعترفت به، ولا تعارضه في حقه، وحقه ما خلقه الله له، ﴿أَعْطَىٰ كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ﴾ [طه: الآية 50] أي هداه حتى استوفى حقه.

واعلم بأن لنفسك عليك حقاً، ولعيالك، ولكل شيء، فأعط كل ذي حق حقه، فمن حصل له من أبيه آدم ميراثُ الخلافة فهو الذي يُعطي الأشياء حقها،

ولا تعدِّيه حدَّه، ولا تعجِّله وقتَه.

والدرجة الثانية: أن تشهد نظرَ الله في وعيده، وتعرف عدله في حُكمه، وتلحظ برَّه في منعه.

والدرجة الثالثة: أن تبلغ في استدلالك البصيرة، وفي إرشادك الحقيقة، وفي إشارتك الغاية.

ومن لم يستحق الميراث الكامل فغير رجل، إنما الرجل من يأخذ ميراثه كاملاً، وللمرأة نصف ما للرجل، **(ولا تعدِّيه حدَّه)**؛ فلا تعطه إلا قدر ما أعطاه الحق، والميزان الشرع، **(ولا تعجِّله وقتَه)** وهو فعل ما ينبغي على ما ينبغي في الوقت الذي ينبغي.

(والدرجة الثانية: أن تشهد نظرَ الله في وعيده، وتعرف عدله في حُكمه) فتعطي كل ذي حق حقه من نعيم وعذاب، **(وتلحظ برَّه في منعه)** فإنه ما منع أحداً أمراً إلا وله حكمة في منعه، قال المصطفى ﷺ: «**عجباً للمؤمن، فوالله لا يقضى له قضاء إلا كان خيراً له**»(1).

(والدرجة الثالثة: أن تبلغ في استدلالك البصيرة) أي تبلغ إلى حقائق العلم النقلي والعقلي اللذين بالاستدلال، والبصيرة ما يُخَلص من الحيرة، **(وفي إرشادك الحقيقة)** أي وتوصل في الإرشاد إلى حضرة الجمع، **(وفي إشارتك الغاية)** أي يشير إلى غاية المقصود، وليس وراء الله مرمى، فإن العبارة قاصرة عن ذلك الجناب، وكذا الإشارة إلى من تحقق بالاسم «الحكيم» فإشارته بالغة إلى الغاية.

---

(1) رواه ابن حبان في الصحيح، ذكر الإخبار عما يجب على المؤمن من السكون تحت الحكم. . . ، حديث رقم (728) [2/ 507] ورواه المقدسي في الأحاديث المختارة، حديث رقم (1816) [5/ 195] ورواه غيرهما.

[54 ـ] باب البصيرة

قال الله تعالى: ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: الآية 108].

البصيرةُ: ما يُخلِّصك من الحيرة.

وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: أن تعلم أن الخبر القائم بتمهيد الشريعة، ويصدر عن عين لا تَخاف عواقبَها، فيرى من حقه أن يؤديه. . . . .

([55 ـ] باب البصيرة)

(**قال الله تعالى:** ﴿قُلْ هَٰذِهِۦ سَبِيلِيٓ أَدْعُوٓاْ إِلَى ٱللَّهِۚ عَلَىٰ بَصِيرَةٍ﴾ [يوسف: الآية 108]).

البصيرة العقل المنوَّر بنور القدس المكمّل بضياء هداية الحق فلا يخطئ في العيان ولا يحتاج إلى برهان، بل يتصور الحق بيِّناً مكشوفاً والباطل زاهقاً مدحوراً، فلذلك قال:

(**البصيرةُ: ما يُخلِّصك من الحيرة**) وهو الإيقان والعيان، والبصيرة للروح بمثابة القلب، وهي تحيط بالعلوم التي يستوعبها العقل، والتي يضيق عنها نطاقه؛ لأنها تستمد من كلمات الله، وتؤدي إلى العقل من ذلك نظراً.

(**وهي على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: أن تعلم أن الخبر القائم بتمهيد الشريعة) وهو ما أخبر به الرسول ﷺ فإنَّ مضمونه تمهيدها، (**ويصدر عن عين لا تَخاف عواقبَها**) أي عن حقيقة صادقة، لا يخاف إذا اتَّبَعَها مكروهٌ، بل يكون آمناً لا في العاقبة لأنها حق؛ (**فيرى من حقه**) أي من حق ذلك الخبر عليه (**أن يؤديه**) أي يؤدي ما أُمِرَ به

إلا بيقين، وتغضب له غيرة.

والدرجة الثانية: أن تشهد في هداية الحقِّ وإضلاله إصابةَ العدل وفي تلوين أقسامه رعايةَ البرِّ وتعاين في جذبه حبل الوصال.

والدرجة الثالثة: بصيرةٌ تُفجِّر المعرفة وتثبت الإشارة وتثبت الفراسة.

يقيناً، بحيث لا يكون في شكٍّ منه، فإن حقه عليك تعيَّن فلا تبرأ ذمتك منه، **(إلا بيقين)** أي تصديق محقق، **(وتغضب له غيرة)** أي وتغضب على من خالف ذلك الخبر القائم غِيرةً عليه أن يضيع حقه، فإن الغيرة علامة المحبة.

(والدرجة الثانية: أن تشهد في هداية الحقِّ وإضلاله إصابةَ العدل)؛ فإذا رأيت إنساناً هداه الله وآخر أضله تشهد أنه في حكمه فيهما عادل، وهذا أمر يقتضيه الكشف، ولذلك قال: «**تشهد**»، ولم يقل: «**تؤمن**»، **(وفي تلوين أقسامه)** أي اختلافه **(رعايةَ البرِّ)** أي الإحسان، فمن حصلت له البصيرة شهد أن الحق راعى الفقراء بتقليل الرزق عليهم، والأغنياء بكثرته عليهم، لأنه أعلم بوجه المصلحة، وعليه ورد: «**إنَّ مِنْ عِبادي لَمنْ لا يُصلِحُه إلا الفَقْرُ...**»[1] الحديث، **(وتعاين في جذبه حبل الوصال)** أي الوصلة، وليس ذلك إلا لأهل الكشف.

(والدرجة الثالثة: بصيرةٌ تُفجِّر المعرفة) أي تحصل للقلب من منازلات المعارف، يعني كشفها وشهودها، والماء المتفجر من العيون يأتي من وراء محل غائب عن الحس فيظهر له، وكذا المعرفة تأتي من الغيب فتظهر للشهادة، وكما أن ماء العيون يأتي بلا كلفة ولا اكتساب ولا إدارة دولاب، فكذا المعارف تأتي من الغيب موهبة من الوهَّاب، **(وتثبت الإشارة)** يعني أن إشارات الصوفية ينكرها العلماء، ويثبتها أهل المعرفة، **(وتثبت الفراسة)** أي بصيرة المكاشف تنبت في القلب نبات الفراسة، فالفراسة التي تنبتها المعرفة فراسة ما يتعلق بالحق والقرب منه، لا فراسة أهل الصفاء المتعلقة بالخلق، وتشترك فيها أهل الملل والفلاسفة، فإنها غير شريفة عند الله فيخص بها أهله.

---

(1) رواه الحكيم الترمذي في نوادر الأصول، في صفة الأولياء...، [2/ 232]، وأورده ابن كثير في التفسير، سورة الشورى [4/ 116].

[55 ـ] باب الفراسة

قال الله تعالى: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحِجر: الآية 75].

التوسُّم: التفرُّس، وهو استئناسُ حكم غيبٍ من غير استدلال بشاهدٍ، ولا اعتبار بتجربة.

وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: فراسةٌ طارئة نادرةٌ تسقط على لسان وحشيٍّ في.......

([56 ـ] باب الفراسة)

(**قال الله تعالى:** ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْمُتَوَسِّمِينَ ﴿٧٥﴾﴾ [الحِجر: الآية 75].

(**التوسُّم: التفرُّس، وهو استئناسُ حكم غيبٍ**) أي إدراكه (**من غير استدلال بشاهدٍ**) على غائب، كما يستدل بالبرق على المطر، (**ولا اعتبار بتجربة**)؛ فهذه لا تُسمَّى «فراسة»، والفراسة: «نورٌ إلٰهي في عين بصيرة المؤمن يعرف به ـ إذا كشف له ـ ما وقع من المتفرَّس فيه، أو ما يقع، أو ما يؤول إليه أمره».

واعلم «أنه تعالى جعل حضرة السمات فيها صور بني آدم وأحوالهم وأزمانهم، وهي مخبوءة عن جميع العالم إلا عن القلم واللوح، فإذا أراد الله أن يخص عبداً بهذا المقام طهَّر قلبه وشرحه، وجعل فيه سراجاً منيراً من إيمانه فقط، ثم جعل في ساحة من ساحات هذا القلب حضرة السمات، فمن ثم يعرف حركات العالم وأسراره».

(**وهي على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: فراسةٌ طارئة) أي رمية من غير رام، (**نادرةٌ تسقط على لسان وحشيٍّ**) أي لم يكن له بذلك أنس، إذ لم يأنس بذكر الله، ويكون (**في**

العُمر مرَّة، لحاجة سمع مريدٍ صادقٍ إليها لا يوقَف على مخرجها، ولا يؤبه بصاحبها، وهذا شيءٌ لا يخلص من الكهانة وما ضاهاها، لأنها لم تُشِرْ عن عين ولا علم، ولم يسبق بوجود.

والدرجة الثانية: فراسةٌ تُجنى من غرسِ الإيمان، وتطلع من صحة الأحوال، ويلمعُ من نور الكشف.

والدرجة الثالثة: فراسةٌ سرِّية لم تجتلبها رؤية على لسان مُصطنعٍ تصريحاً أو رمزاً.

العُمر مرَّة، لحاجة سمع مريدٍ صادقٍ إليها) أي وسبب وجودها: احتياج بعض المريدين لسماعها، **(لا يوقَف على مخرجها)** أي لا يعلم الإنسان الذي صدرت منه ما سبب حصولها له، لكونه ليس من أهله **(ولا يؤبه بصاحبها)** أي لا يحترم، لكونه ليس من أهل الحرمة، **(وهذا شيءٌ لا يخلص من الكهانة وما ضاهاها)** من النجوم والضرب بالحصى، إلا الخط بالرمل، **(لأنها لم تُشِرْ عن عين)** أي لم تُخبر عن حقيقة، **(ولا علم)** بل عن ظن، لأنَّ صاحبها يشك: هل تصح أو لا؟ **(ولم يسبق بوجود)** أي ما شاهد ذلك ولا وجد.

(والدرجة الثانية: فراسةٌ تُجنى من غرسِ الإيمان) أي تكون ثمرة الإيمان، شبَّه الإيمان بالغراس لأنه يزداد كالغرس، **(وتطلع من صحة الأحوال)** جمع حال، وهو الوارد بالتجلي، **(ويلمعُ من نور الكشف)**؛ فإذا صدق الحال صدقت الفراسة، والنور الكشفي يجلو به ـ في جملة ما يجلو ـ الفراسة.

(والدرجة الثالثة: فراسةٌ سرِّية) أي شريفة، **(لم تجتلبها رؤية)** أي فكرة **(على لسان مُصطنع)** أي المصطفى **(تصريحاً)** بالنطق **(أو رمزاً)** بنحو إشارة، وسبب كونها رمزاً كونه يُنزِّه نفسه عن نسبة الفراسة إليه، لأنه أشرف مقام منها، لا يتركها خوفَ عجبٍ أو رياءٍ، فإنه لا يليق بالمصطنع، بل لا يترك ذلك إلا تنزيهاً لمقامه عن ذكرها.

[56 ـ] باب التعظيم

قال الله تعالى: ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نُوح: الآية 13].

التعظيمُ: «معرفة العظمة مع التذلُّل لها».

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تعظيمُ الأمر والنهي، وهو أن لا يُعارَضَا بترخُّص جاف، ولا يعرضا بتشديد غالٍ، . . . .

([57 ـ] باب التعظيم)

(**قال الله تعالى:** ﴿مَّا لَكُمْ لَا تَرْجُونَ لِلَّهِ وَقَارًا ﴿١٣﴾﴾ [نُوح: الآية 13]) أي لا تعتقدون تعظيماً لله يليق به والرجاء يطلق بمعنى الاعتقاد لأنه يلزم الاعتقاد وقد يراد به معنى آخر لا يطابق ما في الباب.

(**التعظيمُ: معرفة العظمة مع التذلُّل لها**) لأن مَن لم تعرف عظمته لم يمكنه تعظيمه بالعبادة التي هي غاية التذلُّل.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: تعظيمُ الأمر والنهي) إذا صحت المعرفة بعظمة الشيء أذعنت النفس له وانقادت، (**وهو أن لا يُعارَضَا بترخُّص جاف، ولا يعرضا بتشديد غالٍ**) أي لا يوغل في الترخص، فإن الإفراط في ذلك جفاء، ولا يشد على نفسه بحيث يفرط في ذلك فلا يجاوز في تعظيمهما حدهما بالتشديد على نفسه والغلو في الامتثال بالإفراط فإنه تعرض للحكم بترك المحافظة على حده والاعتداء فيه بالتكليف على نفسه بما لا يطيقه ﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا﴾ [البَقَرَة: الآية 286] ﴿لَا تَغْلُواْ فِي دِينِكُمْ غَيْرَ ٱلْحَقِّ﴾ [المائدة: الآية 77] سمى الغلوِّ في الإفراط غير حق. ومعنى خبر بُعثت بالحنيفية السمحة: أي السهلة، فكما أنَّ

ولا يُحملا على علَّة توهن الانقيادَ.

والدرجة الثانية: تعظيمُ الحكم أن تبغي له عوجاً، أو تدافع بعلم، أو ترضى بعوض.

والدرجة الثالثة: تعظيم الحق، وهو أن لا تجعل دونه سبباً، ولا ترى عليه حقاً، ولا تنازع له اختياراً.

التفريط جفاء فالإفراط غلوٌّ باطل ورحمة الله واسعة تقتضي الأوسط والأيسر ﴿يُرِيدُ ٱللَّهُ بِكُمُ ٱلْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ ٱلْعُسْرَ﴾ [البَقَرَة: الآية 185].

(**ولا يُحملا على علَّة توهن الانقيادَ**) أي لا يعللانها بعلة تقتضي وهي الانقياد كمن يعلّل حلّ الخمر بالإسكار فيقول: إذا لم يبلغ حدّه لم يحرَّم، فيضعف انقياده كمن قال:

أدرها فما التحريم فيها لذاتها ... ولكن لأسباب تضمنها السكر

إذا لم يكن سكر يضل عن الهدى ... فسيان ماء في الزجاجة أم خمر

فتأوّل تأويلاً يغير النفس عن الانقياد، وقد خوطب بعضهم: «يا عبد، إذا أمرتك بأمر فامض لما أمرتك ولا تنتظر به علمه، إنك إن تنتظر علم أمري على أمري تعص».

(**والدرجة الثانية: تعظيمُ الحكم**) وهو ما جرى به القدر، وهو باطن العلم (**أن تبغي**) أي تطلب (**له عوجاً**)؛ لأنه قد ينافر ظاهر العلم، فيحتاج أن يرجح معناه على معنى العلم (**أو تدافع**) معناه (**بعلم**) أي تمضي معنى الحكم وتلقي ظاهر العلم، وفي الحقيقة الحكم لا ينافي العلم، فعين العلم عين الحكم، (**أو ترضى بعوض**) أي تعظيم الحكم أن يرضى صاحبه بعوض، أي بعوض من الحكم من جنة ولقاء وغيرهما، بل عبودة لله وإذعاناً له.

(**والدرجة الثالثة: تعظيم الحق، وهو أن لا تجعل دونه سبباً**) أي أن لا تجعل للوصلة إليه سبباً غيره، (**ولا ترى عليه حقاً**) لأحد من عبيده، (**ولا تنازع له اختياراً**) أي لا تعارض الحق تعالى في اختياره، فأي شيء يختاره الحق تختاره.

[57 ـ] باب الإلهام

قـال الله تـعـالـى: ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النَّمل: الآية 40].

الإلـهـامُ مـقـامُ الـمـحـدَّثـيـن، وهـو فـوق الـفـراسـة، ربـمـا وقـعـت نـادرة، أو استصعبت على صاحبها وقتاً، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: إلهامُ نبيٍّ يقع وحياً قاطعاً، مقروناً بسماعٍ أو مطلقاً.

([58 ـ] باب الإلهام)

(**قـال الله تـعـالـى:** ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ﴾ [النَّمل: الآية 40]) الكتاب: الشيء الذي فيه كل شيء كما قال تعالى: ﴿وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ﴾ [الأنـعَـام: الآيـة 59]، ﴿مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ﴾ [الأنعَام: الآية 38] وهو علم هو يعلمه بطريق الإلهام.

(**الإلهامُ مقامُ المحدَّثين**) جمع «محدَّث»، وهو مَنْ فَهِمَ عن الله ما حَدَّثه به في كل شيء، وهو أصل السماع المطلق من الحقِّ، فإن أجابه بالحق فهو «حديث»، وإن أجاب الحق بنفسه فهي «محادثة»، أو المحادثة: «خطاب الحقِّ للعارفين من عالم الملك»، كالنداء من الشجرة لموسى عليه السلام، والمحدثون هم أهل المكاشفة (**وهو فوق الفراسة**)؛ لأنها (**ربما وقعت نادرة أو استصعبت على صاحبها وقتاً، والإلهام لا يكون إلا في مقام عتيد**) أي قريب. ذكره التلمساني، وقال القاشاني: هو الحاضر المهيأ.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: إلهامُ نبيٍّ يقع وحياً قاطعاً، مقروناً بسماعٍ أو مطلقاً.

والدرجة الثانية: إلهامٌ يقع عياناً، وعلامة صحته أنه لا يخرق ستراً، ولا يجاوز حدّاً، ولا يخطىء أبداً.

والدرجة الثالثة: إلهامٌ يجلو عين التحقيق صرفاً، وينطق عن عين الأزل محضاً، والإلهام غايةٌ تمتنع الإشارة إليها.

والدرجة الثانية: (إلهامٌ يقع عياناً) أي معاينة من غير تمثيل، كما مُثِّلَ عِلْم الفطرة باللبن، **(وعلامة صحته أنه)**: أن صاحبه **(لا يخرق ستراً)** أي ستر أحد، ولا يفضحه حيث كوشف به، لأن صاحبه لا يكون إلا صاحب فتوة، **(ولا يجاوز حدّاً)** من حدود الله تعالى، **(ولا يخطىء أبداً)** بخلاف الكهانة.

(والدرجة الثالثة: إلهامٌ يجلو عين التحقيق) فإن التحقيق له عين محضة، وهي عين يكون الحق بصرها، وهي ترى المعاني الغيبية والشهادية، لأنها بالحق الذي هو عالم الغيب والشهادة، فهذا الإلهام يجلو الأشياء لهذه العين، **(صرفاً)** أي لا يمازج شيئاً من إدراك العقول والحواس، بل إدراكها إدراكاً إلٰهياً صرفاً، ولذلك يخالف صاحبها الذوق المعقول والمنقول، **(وينطق عن عين الأزل)** أي ينطلق بالحق الأزلي **(محضاً)** لا شيء فيه من نطق الملائكة وغيرهم؛ فلغة هذا النطق لغة الأزل محضاً، وبها يتكلم الحقُّ في قلوب عباده، وألسنة أهل هذه القلوب تتنزل للناس على قدر عقولهم، فيمثل لهم هذه المعاني تمثيلاً؛ فيقف أكثر علماء الرسوم عند الأمثلة، ولا يفهمون الممثل عنه فينكرونه **(والإلهام غايةٌ تمتنع الإشارة إليها)**لأنه فوق إشارة الحس والوهم ﴿عَٰلِمُ ٱلۡغَيۡبِ فَلَا يُظۡهِرُ عَلَىٰ غَيۡبِهِۦٓ أَحَدًا ۝٢٦ إِلَّا مَنِ ٱرۡتَضَىٰ مِن رَّسُولٖ فَإِنَّهُۥ يَسۡلُكُ مِنۢ بَيۡنِ يَدَيۡهِ وَمِنۡ خَلۡفِهِۦ﴾ [الجنّ: الآيتان 26،27] فالذي بين يديه هو الشهودُ العيني، والذي من خَلْفِهِ الحسُّ والعقلُ، فكأنه يقول: «هذا الإدراك يعم طورَي العقل والشهادة عموماً واحداً».

[58 ـ] باب السكينة

قال الله تعالى: ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفَتْح: الآية 4].

السكينةُ: اسم لثلاثة أشياء أولها: سكينة بني إسرائيل، التي أُعطوها في التابوت؛ قال أهل التفسير: «هي ريحٌ هفَّافَةٌ»؛ وذكروا صفتَها.

وفيها ثلاثة أشياء: هي لأنبيائهم معجزة، ولملوكهم كرامة، وهي آية النصرة التي تخلع قلوب العدو بصوتها رعباً إذا التقى الصَّفَّان للقتال.

والسكينة الثانية: هي التي تنطق على ألسنة المحدَّثين. . . . .

([59 ـ] باب السكينة)

(**قال الله تعالى:** ﴿هُوَ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ ٱلسَّكِينَةَ فِى قُلُوبِ ٱلْمُؤْمِنِينَ﴾ [الفَتْح: الآية 4]).

(**السكينةُ: اسم لثلاثة أشياء**) أي يطلق عليها بالاشتراك اللفظي.

(**أولها: سكينة بني إسرائيل، التي أُعطوها في التابوت؛**) المعنى ما أشار إليه قوله تعالى: ﴿إِنَّ ءَايَةَ مُلْكِهِۦٓ أَن يَأْتِيَكُمُ ٱلتَّابُوتُ فِيهِ سَكِينَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ﴾ [البقرة: الآية 248] وهي كانت معجزة لبني إسرائيل (**قال أهل التفسير: «هي ريحٌ هفَّافَةٌ»؛ وذكروا صفتَها**) قيل: كان وجهُها وجهَ إنسان، وقيل: «هواء».

(**وفيها ثلاثة أشياء: هي لأنبيائهم معجزة، ولملوكهم كرامة، وهي آية النصرة التي تخلع قلوب العدو بصوتها رعباً إذا التقى الصَّفَّان للقتال**) وإذا قاتلوا عدوَّهم جعلوها في التابوت أمامهم.

(**والسكينة الثانية: هي التي تنطق على ألسنة المحدَّثين**) ولذلك تُسمَع منهم الكلمات الغريبة، يستغربونها هم من أنفسهم كما يستغربها الناس منهم، وربما

ليست شيئاً يُملك إنما هي من لطائف صُنع الحقِّ، تلقي على لسان المحدَّث الحكمةَ، كما يُلقي المَلَكُ الوحيَ على قلوب الأنبياء، وتنطق المحدَّثين بنكتِ الحقائقِ مع ترويح الأسرار وكشف الشُّبه.

والسكينة الثالثة: هي التي أُنزِلَت في قلبه ﷺ، وقلوب المؤمنين، وهي شيء يجمع نوراً وقوة وروحاً، يسكن إليه الخائف، ويتسلَّى به الحزين والضَّجِر، ويستكين إليه العَصِيُّ والجريء والأبيُّ.

وأما سكينة الوقار التي أنزلها الله نعتاً لأربابها: فإنها ضياء تلك السكينة الثالثة التي ذكرناها.

نطق أحدهم بكلمة لا يفهم معناها إلا بعد سماع النطق بها، (**ليست شيئاً يُملك**) أي ليست باختيارهم (**إنما هي من لطائف صُنع الحقِّ، تلقي على لسان المحدَّث الحكمةَ، كما يُلقي المَلَكُ الوحيَ على قلوب الأنبياء، وتنطق المحدَّثين بنكتِ الحقائقِ مع ترويح الأسرار**) أي يحصل لها منها راحةٌ، (**وكشف الشُّبه**)؛ فتسكن النفس بها إلى الحق، ولسكون النفس بها سميت «سَكينة».

(**والسكينة الثالثة: هي التي أُنزِلَت في قلبه ﷺ، وقلوب المؤمنين، وهي شيء يجمع نوراً وقوة وروحاً، يسكن إليه الخائف، ويتسلَّى به الحزين والضَّجِر، ويستكين إليه العَصِيُّ**)ـ بفتح العين وكسر الصاد المهملة المشددة ـ وذلك لما فيه من اللذة، فإنه إنما عصى الأمر لما فيه من التكاليف التي لم يكن يلتذُّ بها، فلما حصلت له بها هذه الراحة التي هي السكينة، ووجد فيها مطلوبَه ـ وهي اللذة ـ سكن إليها، وهذه اللذة روحانية اعتاض عنها عن اللذات الجسمانية، بل ينسى اللذاتِ البشرية بالكلية، وبه تحصل الطمأنينةُ عقب السكينة، (**والجريء**) فإذا ذاق لذة روحها امتنع من الجرأة على مخالفة الأمر خوفاً من فوت هذه اللذة، (**والأبيُّ**) فإنه كان يأبى امتثال أمر ربه وشيخه في المجاهدة استصعاباً لها، فعند ذوق رَوْحها سكن إليه، فامتثل أمر ربه وشيخه.

(**وأما سكينة الوقار التي أنزلها الله نعتاً لأربابها: فإنها ضياء تلك السكينة الثالثة التي ذكرناها**) هي نتيجتها كما أن الضياءَ نتيجةُ الشمس، وهو المقصود منها.

وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: وهي سكينةُ الخُشوع عند القيام بالخدمة رعاية وتعظيماً وحضوراً.

والدرجة الثانية: السكينةُ عند المعاملة بمحاسبة النفس، وملاطفة الخَلْق، ومراقبة الحق.

والدرجة الثالثة: السكينة التي تثبت الرضا بالقِسم، وتمنع من الشطح الفاحش، وتقف بصاحبها على حد الرتبة والسكينةُ لا تنزلُ ـ قطُّ ـ إلا في قلب نبي أو وليٍّ.

(**وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: وهي سكينةُ الخُشوع**) أي الوقار، لما رأى المصطفى ﷺ الذي يعبث قال: «**لو خشع قلب هذا لخشعت جوارحه**»[1] (**عند القيام بالخدمة**) أي عند التوجه إلى الله في العبادة، (**رعاية**) لحقه تعالى، (**وتعظيماً**) أي اعترافاً بعظمته، (**وحضوراً**) في مقام الإحسان.

(**والدرجة الثانية: السكينةُ عند المعاملة بمحاسبة النفس**) وفي التوجه لمحاسبتها يقع الاطلاع على عيوبها، (**وملاطفة الخَلْق**) وفيه يكون صرفها عن عيوبها المختصة بالخَلْق، (**ومراقبة الحق**) وفيها يكون صرفها عن بقية عيوبها.

(**والدرجة الثالثة: السكينة التي تثبت الرضا بالقِسم**) أي توجب لصاحبها أن يرضى بالمقسوم، (**وتمنع من الشطح الفاحش**) الخارج عن الحد المعروف، (**وتقف بصاحبها على حد الرتبة**) أي توجب لصاحبها أن يقف عند حدٍ من رتبة العبودية، (**والسكينةُ**) التي هي ضياء (**لا تنزلُ ـ قطُّ ـ إلا في قلب نبي أو وليٍّ**) وأما ما قبلها كله فينزل على قلوب المؤمنين.

---

(1) رواه البيهقي في السنن الكبرى، باب كراهية مسح الحصا وتسويته في الصلاة. . .، حديث رقم (3365) [2/ 285] من كلام سعيد بن المسيب. ورواه ابن أبي شيبة في المصنف، في مس اللحية في الصلاة، حديث رقم (6787) [2/ 86] من كلام سعيد بن المسيب. ورواه غيرهما.

[59 ـ] باب الطمأنينة

قال الله تعالى: ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفَجر: الآية 27].

الطمأنينة: سكونٌ يُقوِّيه أمنٌ صحيحٌ شبيهٌ بالعيان.

وبينه وبين السكينة فَرقان:

أحدهما: أن السكينة: صولةٌ تورث خمودَ الهيبة أحياناً، والطمأنينة سكونُ أمنٍ فيه راحة أُنس.

والثاني: أن السكينة تكونُ نعتاً، وتكون حيناً بعد حين؛ والطمأنينة: نعتٌ لا يزايل صاحبه.

([60 ـ] باب الطمأنينة)

(**قال الله تعالى:** ﴿يَٰٓأَيَّتُهَا ٱلنَّفْسُ ٱلْمُطْمَئِنَّةُ ﴿٢٧﴾﴾ [الفَجر: الآية 27].

الطمأنينة: سكونُ يُقوِّيه أمنٌ صحيحٌ) أي ثابت، وهذا الأمن يفصل بين الطمأنينة والسكينة (**شبيهٌ بالعيان**) أي هو في مقام الإحسان، والعيان المشاهدة.

(**وبينه وبين السكينة فَرقان:**

أحدهما: أن السكينة: صولةٌ تورث خمودَ الهيبة أحياناً) أي تصول على الهيبة الحاصلة في القلب فتخمدها في بعض الأحيان، فيسكن القلب من انزعاج القلب بعض سكون (**والطمأنينة سكونُ أمنٍ فيه راحة أُنس**) يعني أن ذلك السكون الذي كان لأهل السكينة في بعض الأحيان يكون لأهل الطمأنينة دائماً، ويصحبه الأمن والراحة المختصة بالأنس، فإن الاستراحة قد تكون من الهيبة والخوف.

(**والثاني: أن السكينة تكونُ نعتاً وتكون حيناً بعد حين؛ والطمأنينة: نعتٌ لا يزايل صاحبه**).

وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: طمأنينةُ القلب بذكر الله تعالى، وهي طمأنينة الخائف إلى الرجاء، والضَّجِر إلى الحكم، والمبتلى إلى المثوبة.

والدرجة الثانية: طمأنينةُ الروح في القصد إلى الكشف، وفي الشوق إلى العِدَة، وفي التفرقة إلى الجمع.

(**وهي على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: طمأنينةُ القلب بذكر الله تعالى، وهي طمأنينة الخائف إلى الرجاء) أي أن الخائف إذا طال عليه الخوف، وأراد الحق أن يريحه أنزل عليه السكينة وقوَّاها، فصارت طمأنينةٌ، فاسْتَرْوَحَ معنى الرجاء فاطمأن به، (**والضَّجِر إلى الحكم**) فمن أدركه الضجر من الصبر على التكاليف، فأراد الحق إراحته أنزل عليه الطمأنينة، بأن يظهر له حب السكون إلى حكم الله فيه فيسكن إليه ـ أي أذعن له ـ فاستراح من الضجر، إذ لا يكون إلا مع طلب الخلاص مما يكره، فإذا استقر في المكروه فلا يكون ضجراً، (**والمبتلى إلى المثوبة**) فإنه يسكن بالطمأنينة، بمشاهدة العِوَض، لأنه به وجَدَ البلاءَ نعمةً، كمن شرب دواءً مرّاً طلباً للصحة.

(**والدرجة الثانية: طمأنينةُ الروح في القصد إلى الكشف**) هي أن تطمئن في قصدها، لأنها اطمأنت بحصول الكشف لها، والقصد إلى الكشف هو طلبه، (**وفي الشوق إلى العِدَة**) أي وسكون الروح في شوقها إلى حصول العِدَة، وهي شهود الحق، والكشف المذكور هو الكشف الصوري.

(**وفي التفرقة إلى الجمع**) أي والطمأنينة إلى الجمع ـ وهو في حال التفرقة ـ بأن يكون استشرف على المشاهدة من خلف حجاب رقيق فاطمأن لحصولها، وذلك يكون لأهل تجليات الأفعال والأسماء والصفات، وقد بقي لهم تجلي الذات وهي المراد بالجمع، فإنَّ شهودها يمحو تفرقة الأفعال والصفات والأسماء.

والدرجة الثالثة: طمأنينةُ شهودِ الحضرةِ إلى اللطف، وطمأنينة الجمع إلى البقاء، وطمأنينةُ المقامِ إلى نورِ الأزل.

(والدرجة الثالثة: طمأنينةُ شهودِ الحضرةِ إلى اللطف) الحاصل من شهود الحضرة، وهو الشهود الذاتي، وذلك لأن مَنْ شهد حضرة الجمع رأى لطفاً لا يمازجه خوفٌ من شيء أصلاً **(وطمأنينة الجمع إلى البقاء)** يعني من شهد حضرة الجمع وحدها تمحو الأغيار وتصفي الآثار، فيذهب عن رؤية الخلق، ويرى الحق قائماً بذاته، منفرداً في كثرة أسمائه وأفعاله وصفاته، ويرى بقاءه في سرمدانيته، فيشهد البقاء ببقاء ربه عز وجل، فيطمئن لذلك البقاء، **(وطمأنينةُ المقامِ إلى نورِ الأزل)** أي يسكن إلى المقام، وهو البقاء بعد الفناء، وهنا يشهد بعين ربه نور الأزل، وهو أن لا بداية لذاته ولا لصفاته.

[60 ـ] باب الهمَّة

(قال الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النّجم: الآية 17].

الهمَّةُ: ما يملك الانبعاث إلى المقصود صرفاً لا يتمالك صاحبها ولا يلتفتُ عنها.

وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: همَّةٌ تصون القلبَ من وحشة الرغبة في الفاني، وتحمله على الرغبة في الباقي، وتصفِّيه من كدر التواني.

([61 ـ] باب الهمَّة)

(قال الله تعالى: ﴿مَا زَاغَ ٱلْبَصَرُ وَمَا طَغَىٰ ﴿١٧﴾﴾ [النّجم: الآية 17]).

وجه الاستدلال بالآية على الهمة أن من توجّه إلى الحق جمع همته بالكليّة نحوه فما التفت إلى سواه بزيغ البصر، بل انجذب إليه واستوى في انجذابه كالسهم المرسل وما طغى بظهور الأنانية والتعدي من طوره بدعوى الربوبية والميل إلى البعث فإنه أيضاً التفات إلى السوى واعوجاج وقصور في الهمة.

(الهمَّةُ: ما يملك الانبعاث إلى المقصود) يعني إذا تعلقت همة العبد بطلب الحق طلباً **(صرفاً)** أي خالصاً من طلب الثواب وخوف العقاب، فتلك الحالة تسمى «همَّة»، **(لا يتمالك صاحبها)** أي لا يقدر على المهلة، ولا يملك الصبر لغلبة سلطان الهمَّة عليه، وشدة التزامها إيَّاه لطلب المقصود، **(ولا يلتفتُ عنها)** أي لا يتمكن من الالتفات لسوى أحكامها لانقهاره لها.

(وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: همَّةٌ تصون القلبَ من وحشة الرغبة في الفاني، وتحمله على الرغبة في الباقي، وتصفِّيه من كدر التواني) صون القلب من وحشة الرغبة

والدرجة الثانية: همَّةٌ تورثُ أنفةً من المبالاة بالعلل، والنزول على العمل، والثقة بالأمل.

والدرجة الثالثة: همَّةٌ تصاعد عن الأحوال والمعاملات، وتزري بالأعواض والدرجات، وتنحو عن النعوت نحو الذات.

وهنا تمَّ قسم الأودية

في الفاني، هو الزهد في الدنيا وما فيها بل في الدارين ونعيمها بل فيما سوى الحق تعالى من الممكنات لأن كل ممكن فانٍ ﴿كُلُّ شَيۡءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجۡهَهُۥۚ﴾ [القَصَص: الآية 88]، والفاني بالنسبة للباقي فانٍ، والظلمة بالنسبة للنور خسيسة والرغبة في الخسيس خسَّة، فإن الطالب أخسُّ من المطلوب، فكل ما عدا الحق ممكن فانٍ في ذاته، إنما يبقى ما يبقى فيه ببقائه «**ألا كل شيء ما خلا الله باطل**»[1].

(**والدرجة الثانية: همَّةٌ تورثُ أنفةً من المبالاة بالعلل**) وهي النظر إلى ثمرات الأعمال، فيأنف أن يطلب الحق لثواب موعود به، (**والنزول على العمل**) أي يأنف أن ينزل من سماء طلب الحق تعالى مطلقاً، غير مقيد بالعمل المرسوم لا غير، بل ينصبغ بالتوجه إلى الله حتى تكون نهاية العمل الصالح لا تبلغ بداية توجهه، وهذا يكون لأهل الوجد الغالب لكون قهر المحبة وسكر الوجد يحرمهم رعاية الأوقات المألوفة، وضبط الحركات المحدودة، (**والثقة بالأمل**) لأنه يوجب الفتور، وصاحب الهمة ليس من أهله.

(**والدرجة الثالثة: همَّةٌ تصاعد عن الأحوال والمعاملات، وتزري بالأعواض والدرجات، وتنحو عن النعوت نحو الذات**) فلا يرضى صاحبها بالثواب والدرجات في الجنة، أو المقامات، ولا يرضى بشهود الحق من وراء أستار الأسماء والصفات.

---

(1) رواه البخاري في صحيحه، باب أيام الجاهلية، حديث رقم (3628) [3/ 1395] ورواه مسلم في صحيحه، كتاب الشعر، حديث رقم (2256) [4/ 1768] ورواه غيرهما.

قسم الأحوال

وأما قسم الأحوال، فهو عشرة أبواب، وهي: المحبَّةُ، والغيرةُ، والشوقُ، والقلَقُ، والعطشُ، والوجْدُ، والدهشُ، والهيمانُ، والبرقُ، والذوقُ.

ابتدأ في قسم الأودية بما يكون الكسب فيه غالباً وانتقل بالتدريج لما يظهر فيه قوة الجذب والموهبة حتى يتساويا ثم إلى ما غلبت فيه الموهبة واختفى فيه الكسب في الوهب، كالطمأنينة والهمة، وانتهى إلى قسم الأحوال التي هي مواهب محضة.

[61 ـ] باب المحبة

قال الله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المَائدة: الآية 54].

المحبَّةُ: تعلُّق القلب بالمحبوب بين الهيبة والأُنس في البذلِ والمنع، على الإفراد، والمحبَّةُ أولُ أودية الفناء، والعَقَبةُ التي ينحدر منها إلى منازل المحو،

([62 ـ] باب المحبة)

(**قال الله تعالى:** ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥ﴾ [المَائدة: الآية 54]).

(**المحبَّةُ: تعلُّق القلب بالمحبوب بين الهيبة**) من جلاله (**والأُنس**) بجماله (**في البذلِ والمنع، على الإفراد**) إذ لا يرى معطياً ولا مانعاً إلا المحبوب الأول فقط، أو على إفراد المحب لمحبوبه بالتوجه.

(**والمحبَّةُ أولُ أودية الفناء**)؛ لأنها تفني خواطر المحب عن التعلق بالغير، وأول ما يفنى من المجذوب خاطرُه، واستعار الأودية للفناء لأن الوادي يجمع النظر، بخلاف المكان العالي أو المستوي، (**والعَقَبةُ التي ينحدر منها إلى منازل المحو**) وهي مقاماته، وأولها: محو الفعل في فعل المحبوب الحق، فلا يرى فعلاً لغيره.

والثاني: محو الصفات؛ فتُمحَى صفاتُ الحسن الوجودي، التي تنسب للخلق في صفة الجمال المطلق الإلٰهي، وترجع الصفات الاعتبارية في نظر الشاهد إلى العدم، ويبقى حسن الصورة مشهوداً في صورة الحسن، فيدخل المقيد في المطلق، والشهادة في الغيب، والظاهر في الباطن، والآخر في الأول، فترجع الأشعة إلى شمسها، والشمس إلى منورِّها بذهاب صورة قرصها، وذلك كله في نظر الباطن، وشهادة الشاهد، ولم يتجدد للحقيقة أمر لم يكن قبل.

وهي آخر منزل تلتقي فيه مقدمة العامة ساقة الخاصة، وما دونها أغراضٌ لأعواض، والمحبة سِمةُ الطائفة وعنوان الطريقة ومعقد النسبة.

وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: محبَّةٌ تقطعُ الوسواس، وتُلذُّ الخدمةُ، . . . .

الثالث: محو الذوات في التجلي الذاتي، وهو ظهور وحدة الوجود، وعود الصور إلى العدم، ورفع نسبة شاهد ومشهود، وواجد وموجود، وذلك سلب في محوٍ لا نسبة فيه لثانٍ، وليس عنه عبارة، ولا إليه إشارة، والإشارة إليه ربما بَعَّدَتْ عنه، والصمت عنه كالنطق به في عدم الإفادة، لأن الصمت يستدعي صامتاً ومصموتاً عنه، وهي اعتبارات شركٍ لا تليق بمقام الفردانية الأحدية.

(**وهي آخر منزل تلتقي فيه مقدمة العامة**) في آخر مقام المحبة، وساقة الخاصة في أول مقام الفناء، وأوله متصل بآخر المحبة، فالتقى مقدمة العامة بـ(**ساقة الخاصة**) التقاء معنوياً، وإلا فلا لقاء بين مستغرق في بحر الفناء وواقف بالساحل؛ لأن السالك ما دام في المقامات سائر في البر، فإذا أُلقيَ في بحر الفناء انتهى سيرُه، وينتهي مأمنُه بانتهائه، ثم تجاذبه الأمواج، وتأخذه اللجُج، فهناك يستغرق بكليته، ومقدمة العامة على الساحل تشاهد أمواج البحر، (**وما دونها**) أي المحبة من المقامات (**أغراضٌ**) من أهلها (**لأعواض**) أي لأجل أعواض من الحقِّ، وذلك حال الأجراء (**والمحبة سِمةُ الطائفة**) أي علامتهم، (**وعنوان الطريقة**) أي حالها، هو الدال على ما في طَيِّ راكب هذه الطريقة من وجود الحقيقة، (**ومعقد النّسبة**) أي هي محل انعقاد عقدة النسبة بين المحب ومحبوبه، و«من أحب قوماً فهو منهم»، والعبد في طينة سيده.

(**وهي على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: محبَّةٌ تقطعُ الوسواس) أي التردد في التوجُّه إلى المحبوب، وتقطع وساوسَ الأطماع في غير محبوبه، إذ ليس ثَمَّ غيره، (**وتُلذُّ الخدمةُ**) فيلتذ بخدمة محبوبه، ويرتفع عنه التعبُ والتكاليفُ، فخدمته تشريف لا

وتُسلّي عن المصائب، وهي محبَّةٌ تنبت من مطالعة المِنَّة، وثباتها باتباع السُّنَّة، وتنمو على الإجابة بالفاقة.

والدرجة الثانية: محبَّةٌ تبعث على إيثار الحقِّ على غيره، وتلهج اللسانَ بذكره، وتُعلِّق القلب بشهوده، وهي محبَّةٌ تظهر من مطالعة الصفات، والنظر إلى الآيات، والارتياض بالمقامات.

تكليف، **(وتُسلّي عن المصائب)** فيجد فيها من اللذة ما ينسيه المصائبَ، وهذه الأشياء توجد ذوقاً، **(وهي محبَّةٌ تنبت من مطالعة المِنَّة)** أي الموهبة، فإذا وهب الله العبد في قلبه نوراً من نوره، فطالعَ ذلك النور في ذاته، فوجد حلاوةَ الأنس، فنشأت عنده الهمةُ، فرقى القلبُ من الهمة والأنس، فتعلق بمحبة جمال القدس؛ فأصل محبته رؤية الإحسان **(وثباتها)** في قلبه يكون **(باتباع السُّنَّة)** ﴿**قُلْ إِن كُنتُمْ تُحِبُّونَ ٱللَّهَ فَٱتَّبِعُونِى يُحْبِبْكُمُ ٱللَّهُ**﴾ [آل عِمرَان: الآية 31]، وإذا أحبه الله ثبتت محبة الحقِّ في قلبه، **(وتنمو على الإجابة بالفاقة)** أي وتتزايد في القلب بإجابة العبد لدواعي الفاقة، والإجابة بها أن يجيب داعي العبادة بوفور الأعمال، وأنت من اعتبارها خالٍ.

قال: فإن طريقة الفاقة تأبى أن يكون لصاحبها شيء، والعمل شيء، والفاقة بداية «الفقير».

(والدرجة الثانية: محبَّةٌ تبعث على إيثار الحقِّ على غيره، وتلهج اللسانَ بذكره) أي تولعه به، **(وتُعلِّق القلب بشهوده)** أي تطلب شهوده **(وهي محبَّةٌ تظهر من مطالعة الصفات)** أي صفات الإحسان، أو الصفات الحسنى، فإنَّ مطالعتها تدعو إلى التعلق بمحبة موصوفها الحق، **(والنظر إلى الآيات)** أي إلى الأشياء بنظر الاعتبار.

فَفِي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ   تَدُلُّ عَلَى أَنَّهُ وَاحِدٌ[1]

(والارتياض بالمقامات) فمن داوم قَرْعَ الباب في كل مقام مَلَكَ، وفي أي

---

(1) أحد خمسة أبيات للشاعر من العصر العباسي أبو العتاهية: إسماعيل بن القاسم بن سويد العيني، العنزي أبو إسحاق، المولود سنة 130 هجرية والمتوفى سنة 211 هجرية .=

والدرجة الثالثة: محبَّةٌ خاطفةٌ تقطع العبارة، وترفع الإشارة، ولا تنتهي بالنُّعوت، وهذه المحبَّةُ هي قطب هذا الشأن، . . . .

طريق سَلَكَ، أوشك أن ينشأ في قلبه المحبة، لقوله تعالى في الحديث القدسي: «**ما تقرَّب إليَّ المتقرِّبون بأفضل من أداء ما افترضته عليهم**. . .» إلى آخره، والحق تعالى إذا أحب عبداً أنشأ في قلبه محبته.

(والدرجة الثالثة: محبَّةٌ خاطفةٌ) أي مفنية للحدوث في القدم في حال غلبة العقل، وقد يبقى بعض رسم، فإن فناء الرسوم بالكلية ليس إلا في حضرة المحو، **(تقطع العبارة)** فلا يقدر المحبّ أن يُعبِّر عما يجده، لأن الأنوار خطفت فهمه، والعبارة تبع للفهم **(وترفع الإشارة)** لم يقل «تقطع»؛ لأن مقام المحو يقبل بعض الإشارات، **(ولا تنتهي بالنُّعوت)** فنعوت المحبة لا تتناهى، إذ لها في كل مقام نسبة ورقيقة، وكذا في كل طريقة، و«الطرق إلى الله بعدد أنفاس الخلائق»، وأنفاسها لا تتناهى إلا بتناهيهم، فالعبادة عن المحبة لا تتناهى إلا بتناهيهم، أي لا تنتهي المحبة بالنعوت، لانتفاء النهاية عما يجوز أن يُبلِّغه الحقُّ عبدَه من المقامات والكشوف، فإن خزائن الله ملأى لا نهاية لها.

(وهذه المحبَّةُ) أي الخاطفة وما دونها، **(هي قطب هذا الشأن)** أي السلوك، فمدار السلوك عليها، لخلوصها من الأغراض والأعواض، وصاحبها مراد مطلوب.

= والأبيات من البحر المتقارب وتفعليته: «فعولن فعولن فعولن فعولن». وجاءت الأبيات كاملة على النحو التالي:

أَلا إِنَّنا كُلَّنا بائِدُ ... وأَيُّ بَني آدَمٍ خالِدُ
وبَدؤُهُمُ كانَ مِن ربِّهِم ... وكُلٌّ إِلى ربِّهِ عائِدُ
فَيا عَجَباً كَيفَ يُعصى الإِلٰـ ... ـهُ أَم كَيفَ يَجحَدُهُ الجاحِدُ
ولِلَّهِ في كُلِّ تَحريكَةٍ ... عَلَينا ونَسكينَةٍ شاهِدُ
وفي كُلِّ شَيءٍ لَهُ آيَةٌ ... تَدُلُّ عَلى أَنَّهُ واحِدُ

(الموسوعة الشعرية، المجمع الثقافي، أبو ظبي).

وما دونها محابٌّ نادت عليه الألسُن، وادَّعتها الخليقةُ، وأوجبتها العقولُ.

(وما دونها محابٌّ نادت عليه الألسُن) أي أكثرت صفاتها **(وادَّعتها الخليقةُ)** أي ادعت أنهم وصلوا إليها، وقال: «ادعت» لأن الوصول إليها لا يكون إلا لمن أيَّده الحق بنور من عنده، فالخلق يدَّعون الدرجتين، وليس لأحد أن يدَّعيَ الثالثة، لأنها باب حضرة الحق، فلا وصول إليها إلا به، وأهل الوصول إليها ليسوا أهل دعوى لاستغراقهم في جمال نور حضرة الإلٰهية، **(وأوجبتها)** أي أثبتتها **(العقولُ)** فإنها متعلقة بالإحسان، والقلوب جُبِلَت على حبِّ مَنْ أحسن إليها، أو بالحسن والأرواح تلتذ به طبعاً وتحبه لأنه مطلوب لذاته.

[62 ـ] باب الغيرة

قال الله تعالى عن سليمان: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣﴾ [ص: الآية 33].

الغيرةُ: سقوطُ الاحتمال ضنّاً، والضيق عن الصبر نفاسةً.

وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: غيرةُ العابد على ضائع يستردُّ ضياعه، ويستدرك فائته، ويتدارك قواه.

([63 ـ] باب الغيرة)

(قال الله تعالى عن سليمان: ﴿فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ٣٣﴾ [ص: الآية 33]).

غار على قلبه أن يستغرقه سوى خدمة ربه.

(الغيرةُ: سقوطُ الاحتمال) فلا يمكنه الصبر على مقاساة ما يشغله عن محبوبه؛ **(ضنّاً)** أي بُخلاً، يعني يبخل بمحبوبه أن يسامح أحداً فيه، **(والضيق عن الصبر)** أي عن احتماله **(نفاسةً)** أي بخلاً بمحبوبه، يقال: «نفست بالشيء إذا بخلتَ به، وأصله الرغبة في الشيء، ومنع الغير عنه.

(وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: غيرةُ العابد) وهو من عَلَّق قلبه بالأعمال دون ما تعلق به المريد من الأحوال؛ فغيرته **(على)** وقت له **(ضائع)** في البطالة، **(يستردُّ ضياعه، ويستدرك فائته)** واستدراك العبادة قبل الفوت أبلغ في الهمة من استرداد الضائع، **(ويتدارك قواه)** أي العمل الذي تكون فيه الفتور يتداركه، بأن يؤديه بقوة ونشاط.

والدرجة الثانية: غيرةُ المريد على وقتٍ فات وهي غيرة قاتلة فإن الوقت وحي التقضي أبيٌّ الجانب بطيء الرجوع.

والدرجة الثالثة: غيرةُ العارف على عينٍ غطَّاها غينٌ، وسرّ غشيه رينٌ، ونفَسٍ علق برجاء أو التفت إلى عطاء).

(**والدرجة الثانية: غيرةُ المريد**) وهو صاحب الحال (**على وقتٍ فات**)، والوقت عند العامة وقت العبادة، وعند المُرِيد وقت المنادمة والحضور وهو عزيز، يغارون على حلاوته أن تنقضي، فإذا فاته لم يمكن للمريد استدراكه، لكونه يرى أن الوقت الذي هو فيه يستحق منادمة أخرى تستغرقه، وكذا في كل وقت، (**وهي غيرة قاتلة**)؛ لأن الغيرة على الفائت تفويت آخر، كما يقال: «الاشتغال بالندم على الوقت الفائت تضييع للحاضر»، وتضييع الوقت الحاضر قتل، ولذلك يقال: «الوقت سيف قاطع، إن لم تقطعه قطعك» أي قتلك.

ثم بيَّن سبب ذلك بقوله: (**فإن الوقت وحي التقضي**) أي سريع التفلت، (**أبيٌّ الجانب**) أي ممتنعه، وهو الذي لا يتمكن طالبه التصرف فيه، (**بطيء الرجوع**) أي حاله في وقته لا نفس الوقت، فإن ذلك محال رجوعه، لأن الحق كل يوم في شأن، أي أنَّ كل آن لا ينقسم لله فيه شأن يخصُّه، فكيف تحكم على الوقت، والوقت له لا لك.

(**والدرجة الثالثة: غيرةُ العارف**) وهو صاحب شهود التجليات الجزئية الأسمائية (**على عينٍ غطَّاها غينٌ**) أي على بصيرة غطَّاها ستر رقيق، (**وسرّ غشيه رينٌ**) أي وسر بينه وبين ربه، غشية ستر هواه، (**ونفَسٍ علق برجاء**) أي يغار على زمان مقداره مقدار ما عبدت[1] فيه نفس واحد أن يتعلق به برجاء الثواب، أو الجنة، أو أعلى منها، (**أو التفت إلى عطاء**)؛ بل إلى المعطي الحق تعالى، واشتقاق «الغيرة» من «الغير»، ولا تكون إلا لمن فيه بقية رسم وحجاب.

---

(1) وفي نسخة [ما يجتذب] بدل [عبدت].

[63 ـ] باب الشوق

قال الله تعالى: ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ [العَنكبوت: الآية 5].

الشوقُ: هبوبُ القلب إلى غائب، وفي مذهب هذه الطائفة علّةُ الشوق عظيمةٌ، فإن الشوقَ إنما يكون لغائب، ومذهبهم إنما قام على المشاهدة، ولكون الشوق علة لم ينطق به القرآن.

وهو على ثلاث درجات:

([64 ـ] باب الشوق)

(**قال الله تعالى:** ﴿مَن كَانَ يَرۡجُواْ لِقَآءَ ٱللَّهِ فَإِنَّ أَجَلَ ٱللَّهِ لَأٓتٖۚ﴾ [العَنكبوت: الآية 5]).

وجه الاستشهاد أن الشوق حركة الروح في طلب اللقاء ورجاءاً للقاء يقتضي تلك الحركة، فكأنه قال بلسان الإشارة: مَن كان يشتاق لقاء الله إنما قال في جواب الشرط فإن أجل الله لآتٍ إشارة إلى أن اللقاء إنما هو بالفناء وهو أمر ضروري لكل ممكن فلا بد أن ينفع اللقاء للمشتاق بفنائه عن نفسه وهو الموت الحقيقي.

(**الشوقُ: هبوبُ القلب إلى غائب**) أي طلب القلب لغائب بصفة الميل الحبِّيّ والارتياح (**وفي مذهب هذه الطائفة علّةُ الشوق عظيمةٌ**) أي مضرة ضرراً عظيماً، ويعني بالعلة والمرض: كونه تعلق قلب بغائب، والحق حاضر لا يغيب (**فإن الشوقَ إنما يكون لغائب، ومذهبهم إنما قام على المشاهدة**) أي بناء أمرهم عليها، ألا ترى أن بدايتهم أول الشروع في الفناء، وهو إنما يكون مع المشاهدة، (**ولكون الشوق علة**) ومرض (**لم ينطق به القرآن**).

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: شوقُ العابد إلى الجنَّة ليأمَن الخائفُ، ويفرحَ الحزينُ، ويظفرَ الآمل.

والدرجة الثانية: شوقٌ إلى الله عز وجل؛ زرعه الحُبّ الذي ينبت على حافات المنن، فعلق قلبُه بصفاته المقدَّسة، فاشتاق إلى معاينة لطائفِ كرَمِه وآيات برِّه، وأعلام فضله، فهذا شوقٌ تغشاه المبارُّ، وتخالجه المسار، ويقاويه الاصطبار.

والدرجة الثالثة نارٌ أضرَمها صَفوُ المحبَّة، فنغَّصت العيشَ. . . . .

(**الدرجة الأولى: شوقُ العابد إلى الجنَّة ليأمَن الخائفُ، ويفرحَ الحزينُ، ويظفرَ الآمل**) أي لهذه العلل الثلاث، طلب الأمن وإن كان العابد خائفاً من النار، والفرح إن كان حزيناً، والظفر بالنعيم إن كان راجياً.

(**والدرجة الثانية: شوقٌ إلى الله عز وجل؛ زرعه الحُبّ الذي ينبت على حافات المنن**) أي الذي سببه مطالعة منة الحق على عبده، (**فعلق قلبُه بصفاته**) المختصة بالمنن، كالاسم «المنان» و«المحسن» و«المعطي»، (**المقدَّسة**) أي المطَّهرة من مشابهة صفات الخلق، وإن شاركها في اللفظ، (**فاشتاق إلى معاينة لطائفِ كرَمِه**) يعني شوقه لم يكن للحق، بل لمعاينة لطائف المنن (**وآيات برِّه، وأعلام فضله**) وبهذا القدر نزل مقامه في هذه المرتبة عما بعده من الرتب.

(**فهذا شوقٌ**) معلول (**تغشاه**) علل الإحسان، أي لم يكن شوقاً خالصاً لذاته تقدَّسَ؛ بل لأجل غرض (**المبارُّ**) جمع «مبرة»، وهي الفعل الجميل من البر، (**وتخالجه المسارُّ**) أي تجاذبه الأفراح. والقصد أن الشوق إذا خالط الفرح كان ممزوجاً بحظِ نفسٍ، وكذا البكاء والحزن، لأنهما من بقايا النفس، (**ويقاويه الاصطبار**) أي يقاويه صاحبه بالاصطبار.

(**والدرجة الثالثة**) شوق لله؛ لم يكن لأجل منة ولا لغرض ولا علة، بل (**نارٌ أضرَمها صَفوُ المحبَّة**) أي المحبة الخالصة الصافية من أكدار العلل والأمراض، وهي المحبة الذاتية، (**فنغَّصت العيشَ**) أي منعت صاحبها من

وسلبت السُلوة، ولم يُنهنهها مقرٌّ دون اللقاء.

السكون إلى لذة العيش، **(وسلبت السُلوة)** وهي الخلاص من كرب المحبة، **(ولم يُنهنهها مقرٌّ)** أي لم يكفها مقرٌّ **(دون اللقاء)**، وهذا بخلاف الحال المذكور في الثانية؛ لأن تلك يقاويها الاصطبار، وهذه لا يقاويها اصطبار، لأن صاحبها سُلِبَ القرار.

[64 ـ] باب القلق

قال الله تعالى حاكياً عن كليمه موسى عليه السلام: ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: الآية 84].

القلقُ: تجريدُ الشوق بإسقاط الصبر.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: قلقٌ يُضيِّق الخُلقَ، ويبغِّض الخَلقَ، ويلذِّذ الموت.

والدرجة الثانية: قلقٌ يغالب العقلَ، ....

([65 ـ] باب القلق)

(**قال الله تعالى حاكياً عن كليمه موسى عليه السلام:** ﴿وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَىٰ﴾ [طه: الآية 84]).

لما كان موسى مصطنعاً شديد الشوق الذي هو من الدرجة الثالثة لم يمكن أن تكون عجلته طيشاً نفسانياً لأن المصطنع مبرأً عنه وإلا لما خاطبه تعالى بقوله: ﴿وَمَآ أَعْجَلَكَ عَن قَوْمِكَ﴾ [طه: الآية 83] وبلغ شدة شوقه أن قال: ﴿رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرْ إِلَيْكَ﴾ [الأعرَاف: الآية 143]، اتجه أن يكون شوقه قلقاً فاستشهد بها عليه.

(**القلقُ: تجريدُ الشوق**) أي تخليصه من الضر، ولذا قال: (**بإسقاط الصبر**.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: قلقٌ يُضيِّق الخُلقَ) لتعذر الوصول، أو استبطائه، (**ويبغِّض الخَلقَ**) لتثبيطهم له في السير وتعويقهم (**ويلذِّذ الموت**) لأنه يرجو أن يكون سبب لقائه بمحبوبه الحق.

(**والدرجة الثانية: قلقٌ يغالب**) أي يكاد يقهر (**العقلَ**)، ولم يقل: «يغلب»؛

ويخلي السمع، ويطاول الطاقة.

والدرجة الثالثة: قلقٌ لا يرحمُ أبداً، ولا يَقبلُ أمداً، ولا يُبقي أحداً.

لأن القلق لا يقتضي فناء العقل بالكلية، بل يروم أن يغلبه، ويكاد أن يغلبه، وإنما الذي يصطلم العقل هو الشهود، **(ويخلي السمع)** أي يمنعه أن يقع فيه نُطق للسوى عدلاً كان أو عذراً، لانقهار الحس لسلطان القلق، **(ويطاول* الطاقة)** أي يصابرها، والطاقة: القدرة على الصبر، والمقصود أن القلق يغلب الطاقة، أو يكاد.

(والدرجة الثالثة: قلقٌ) يقهر العقل، إذ ربما كان قرين الشهود، فإذا علق بالقلب لم يبق عليه حتى يرميه في فناء الشهود، ولذا قال: **(لا يرحمُ أبداً، ولا يَقبلُ أمداً)** أي لا يُتصور أن يحكم الرجل عليه، فيجد له أمداً معلوماً ينقضي فيه، أو يصفه فيه بوصف معين، لأنه حاكم على القلب **(ولا يُبقي أحداً)** أي يُرقي صاحبه في الشهود الذي تَفنى فيه الرسوم، بل لا يبقى معه أحداً على رسم بل يفنيه.

---

* وفي نسخة [يصاول] بدل [يطاول].

[65 ـ] باب العطش

قال الله تعالى عن خليله عليه السلام: ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ﴾ [الأنعَام: الآية 76].

العطش كناية عن غلبةِ وُلُوع بمأمولٍ.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: عطشُ المريدِ إلى شاهدٍ يُرويه، أو إشارة تشفيه، . . . . . .

([66 ـ] باب العطش)

(**قال الله تعالى عن خليله عليه السلام:** ﴿فَلَمَّا جَنَّ عَلَيۡهِ ٱلَّيۡلُ رَءَا كَوۡكَبٗاۖ﴾ [الأنعَام: الآية 76]).

وجه الاستشهاد بالآية كونه لما رأى الكوكب قال: ﴿هَٰذَا رَبِّيۖ﴾ [الأنعَام: الآية 76]، فلولا شدة العطش إلى لقاء محبوبه ما ظنه الكوكب، إذ كل عطشان إذا رأى السراب ذكر الماء، وكل شيء رآه ظنه قدَحاً، وكل شخص رآه ظنه الساقي.

(**العطش كناية عن غلبةِ وُلُوع بمأمولٍ**) وهو تعلُّق بالشيء بصفة المحبة مع أمل الوصول إليه.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: عطشُ المريدِ إلى شاهدٍ يُرويه) وهو بقاء صورة المشاهَد في قلب المشاهِد، فصورة المشهود في القلب هي عين الشاهد، والمراد به ما يشهد للمريد بصحة ما هو عليه، وهو أن يشهد له وارد صحيح يستدل على صحته بما يرد على قلبه من الري، أي يبرد عنه بعض العطش، (**أو إشارة**) من الحق أو الشيخ (**تشفيه**) والشفاء غاية الري، أي يشير الشيخ إلى المريد بمعنى

أو عطفة تؤويه.

والدرجة الثانية: عطشُ السالك إلى أجل يطويه، ويوم يرى فيه ما يغنيه، ومنزل يستريح فيه.

والدرجة الثالثة: عطشُ المحبِّ إلى جلوة ما دونها سحاب علَّة، ولا يغطيها حجاب.....................................

من معاني سلوكه يكون فيه شفاء من بعض علله، فتلك الإشارة تروي عطشه، فتشفيه من علة الوجد، **(أو عطفة تؤويه)** أي يتعطف عليه الحق فيؤويه إلى جنابه الأقدس.

(والدرجة الثانية: عطشُ السالك) وهو أعلى من المريد **(إلى أجل يطويه)**؛ لأنه عطشان إلى انقضاء مدة السلوك وانطوائه؛ ليستريح من السلوك ويحصل على المقصود، وليس المراد بالأجل انقضاء العمر، فإنه لا يريد انقضاء عمره حتى يقضي وطره في هذه الدار، إلا أن يكون من أهل القلق في الثالثة، فإنه لو مَلك حسه لاشتهى الموت طلباً للقاء، **(ويوم يرى فيه ما يغنيه)** أي وهو عطشان إلى رؤية يوم يرى فيه ما يغنيه عن السلوك؛ إشارة إلى طلب الوصلة وانقضاء المهلة **(ومنزل)** أي مقام من المقامات العالية **(يستريح فيه)** من تلوين الأحوال، فإن المقامات منازل، والأحوال مراحل، ولا يستريح بالكلية ما دام معه بقية.

(والدرجة الثالثة: عطشُ المحبِّ إلى جلوة) وهي استجلاء محاسن المحبوب بتجل من تجلياته على مقدار المحبِّ، **(ما دونها سحاب علَّة)** شَبَّهها بالقمر، فإنه بغير سحاب يحسن استجلاؤه، فقوله: «سحاب علة» إشارة إلى استجلائه بلا عائق **(ولا يغطيها حجاب)** من الحجب وهي النفس وأحكامها، فإن الحق حجابه من ذاته هو النور، وحجابه من ذات عبيده هو الظلمة، وفي الخبر: «**إن لله سبعين ألف حجاب من نور وظلمة**»[1] فالحجب التي يكرهها المحب

---

(1) رواه الطبراني في الكبير، موسى بن عبيدة الربذي عن أبي حازم، حديث رقم (5802) [6/ 148] ورواه أبو الشيخ في العظمة، حديث رقم (3) [2/ 671] ونص رواية =

التفرقة، ولا يعرَّج دونها على انتظار.

حجب الظلمة؛ لأن حجب الأنوار كاشفة للعبد، لكن حجب الأنوار تختص بأهل الحضرة، وفي حديث: «**إنه ليغان على قلبي**...»[1] فهو غين الأنوار المذكورة لا غين الأغيار المكنى عنها بالظلمة، فإنها حجاب **(التفرقة، ولا يعرَّج دونها على انتظار)** أي هذه الجلوة المطلوبة جلوة تامة لا يبقى معها عطش إلى حضرة أخرى، وذلك شأن الشهود الكلي من الحضرة الجامعة، و«التعريج»: الميل يميناً ويساراً في السير.

= الطبراني: «إن الله عزَّ وجلَّ دون سبعين ألف حجاب من نور وظلمة وما يسمع من نفس شيئاً من حس تلك الحجب إلا زهقت».

(1) رواه مسلم في صحيحه، باب استحباب الاستغفار...، حديث رقم (2702) [4/ 2075] ورواه أبو داود في السنن، باب في الاستغفار، حديث رقم (1515) [2/ 84] ورواه غيرهما.

[66 ـ] باب الوجد

قال الله تعالى: ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟﴾ [الكهف: الآية 14].

الوجدُ: لهيبُ يتأجَّج من شهود عارض مقلق.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: وجدٌ عارضٌ يستفيق له شاهدُ السمع، أو شاهد البصر،

([67 ـ] باب الوجد)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا۟﴾ [الكهف: الآية 14]) وجه الاستشهاد بالآية أن الربط على القلوب تقوية لها وتشجيع بنور مشرق من الحق يستفيق له بشهود عارض مقلق كما قال:

(**الوجدُ: لهيبُ يتأجَّج من شهود عارض مقلق**) الوجد ما صادف القلب من الأحوال المتجددة المفنية له عن شهوده وشهود الحاضرين؛ وهو يفجأ كالوحي.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: وجدٌ عارضٌ يستفيق له شاهدُ السمع) أي ينتبه[1] لأجل وروده السمع، وذلك بأن يكون التنزل يختص بالخطاب السمعي، وأهل الوجد إنما هم في سماع من الحق في كل ناطق في الوجود، وما في الكون إلا ناطق:

*** وكل ناطقة في الكون تطربني ***

(**أو شاهد البصر**) بأن يشهد البصر في الحس شيئاً من محاسن ظاهر النور والحسن والجمال، فينتبه لاستجلاء أمثاله كما ينتبه السمع، وشاهد البصر أقرب

(1) وفي نسخة [يفنيه] بدل [ينتبه].

أو شاهد الفكر، أبقى على صاحبه أثراً، أو لم يبق.

والدرجة الثانية: وجدٌ تستفيق له الروحُ، بلمعِ نور أزليّ، أو سماعِ نداء أوّلي، أو جذبٍ حقيقيّ، إن أبقى على صاحبه لباسه، وإلا أبقى عليه نوره.

إلى تحقيق إدراك الحس، فليس الخبر كالمعاينة. **(أو شاهد الفكر)** أي شاهده يستفيق من ذلك الوجد ويتنبه، وتنبُّهه هو: أن يفتح له باب من اعتبار معاني المسموعات والمبصرات، ولا بد لصاحب الوجد من فائدة يأتي بها، فإن جاء بغير فائدة ولا مزيد علم؛ فذلك نوم القلب من حيث لا يشعر، لكن المؤلف لا يلتفت لهذا؛ فعنده الوجد سواء **(أبقى على صاحبه أثراً)** أي فائدة وعلماً **(أو لم يبق)** هو وجد صحيح.

(والدرجة الثانية: وجدٌ) أعلى مقاماً من الأول؛ **(تستفيق له الروحُ بلمعِ نور أزليّ)** فلا يكون إلا بالروح، فلا يُشهَد بالعقل والفكر أصلاً؛ لاختصاصهما بعالم الخلق والصور، وبما يرجع إليهما، وذلك اللمع الأزلي ليس رجوعه إلا إلى المصور تعالى **(أو سماعِ نداء أوّلي)** حيث أخذ على الأرواح الميثاق، قيل: ميثاق ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: الآية 172] فيسمع ذلك الخطاب في الحال، إذ ليس للأرواح ماضٍ ولا مستقبل، فالأرواح تسمع ذلك الخطاب أبداً دائماً، والقلب إذا خلص إلى فضاء القدرة، وزال عن بصيرته سخف الحكمة سمع نداء: ﴿أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ﴾ [الأعراف: الآية 172] كشفاً وعياناً؛ فكيف الأرواح مع كمال بساطتها ولطافتها لا تسمع نداء الأول الحق تعالى، **(أو جذبٍ حقيقيّ إن أبقى على صاحبه لباسه)** ولباسه تحقق مقامه، وذلك لباس الصورة اللازمة له، إذ صورة الإنسان ثوبه الحقيقي الذي لبسه، وحصول هذا المعنى: بأن تفنى رسومه في شهوده، وعلامة لباس هذا المقام: أن يُجيب عنه متى سُئل بغير فكر **(وإلا أبقى عليه نوره)** أي بركته، وربما أبقى سكوناً يستحسنه الناظر إليه.

وقيل: أبقى عليه لباسه عمله، وبقايا سكره، ونوره انكساره في ظاهره وأدبه وحسن كلامه، وكيف ما كان يرجع صاحب الوجد بفائدة، وإلا فهو نور القلب كما مر.

والدرجة الثالثة: وجدٌ يخطف العبدَ من يد الكونين، ويُمحِّص معناه من درن الحظ، ويسلبه من رق الماء والطين، إن سَلَبَه أنساه اسمه، وإن لم يسلبه أعاره رسمَه.

(**والدرجة الثالثة: وجدٌ يخطف العبدَ من يد الكونين**) أي يفنيه عن الدنيا والآخرة (**ويُمحِّص**) أي يُخلِّص (**معناه من درن الحظ**) أي حظ النفس، أي يخلص عبوديته للحق من عبوديته للنفس وحظها (**وتسلبه من رق الماء والطين**) أي تمحو صورة خلقية في حقية صورة، وعبر بالماء والطين لأن خلقته منهما، وأشار إلى العتق بأن يجعله عبداً حقيقياً لنفسه تعالى، فيكون بذلك حراً من رق سواه تعالى (**إن سَلَبَه أنساه اسمه**) أي عدم نفسه، من حيث إن الاسم عين المسمى لا غيره، (**وإن لم يسلبه أعاره رسمَه**) يعني من لم يسلبه في ذلك التجلِّي فرسمه عارية عنده، متى عاد إليه التجلي مرة أخرى أخذ ذلك الرسم، إذ العارية مردودة.

وقيل: معناه أدرك نفسه مقهورة تحت رق الوجد.

[67 ـ] باب الدهش

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ [يُوسُف: الآية 31].

دهشاً لما رَأَيْنَهُ الدهش: بهتةٌ تأخذ العبدَ إذا فجأه ما يأخذ عقلَه، أو صبرَه، أو علمَه.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: دهشةُ المريدِ عند صولةِ الحالِ على علمه، . . . .

([68 ـ] باب الدهش)

(**قال الله تعالى:** ﴿فَلَمَّا رَأَيۡنَهُۥٓ أَكۡبَرۡنَهُۥ وَقَطَّعۡنَ أَيۡدِيَهُنَّ﴾ [يُوسُف: الآية 31] **دهشاً لما رَأَيْنَهُ**).

وجه الاستشهاد إكبارهن يوسف وإعظامهن إيّاه عن أن يكون بشراً حتى قطعن أيديهن لغاية حسنه فاعتراهن من الدهش في حسنه.

(**الدهش: بهتةٌ تأخذ العبدَ إذا فجأه ما يأخذ عقلَه أو صبرَه أو علمَه**)، الدهش: اشتغال الحس بما دهم الخيال أو الفكر، وسكونه لانصراف النفس عن استعماله إلى استعمال الخيال أو الفكر، والذي يغلب عقله غالباً هو الشهود، والذي يغلب صبره فرط المحبة، والذي يغلب علمه المعرفة[1].

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: دهشةُ المريدِ عند صولةِ الحالِ على علمه) أي يغلب الحال بحيث يبطل حكم العلم، ومن هنا يقع الشطح لأرباب الأحوال، وينكر عليهم

---

(1) وفي نسخة [المحبة] بدل [المعرفة].

والوجدِ على طاقتِه، والكشفِ على همَّته.

والدرجة الثانية: دهشةُ السالك عند صولة الجمع على رسمِه، والسبق على وقته، والمشاهدةِ على روحه.

والدرجة الثالثة: دهشةُ المحبِّ عند صولة الاتصال على لطف العطيَّة،

علماء الرسوم، وقد يوافقهم على الإنكار علماء الحقيقة، **(والوجدِ على طاقتِه)** أي صبره عن محبوبه **(والكشفِ)** وهو الشهود **(على همَّته)**، أي يغلب همته فيبطل حكمها ـ لاقتضاء الهمة الطلب بغير فتور ـ إذ الطالب غائب عن المطلوب فهمَّته متعلقة بتحصيله، والمكاشف حاضر معه فلا همَّة له.

(والدرجة الثانية: دهشةُ السالك عند صولة الجمع) وهو حضرة الفردانية، سُمِّيت «حضرة الجمع»؛ لأنها تجمع المتفرقات إلى العين الواحدة **(على رسمِه)** أي صورته الخلقية، **(والسبق على وقته)** السبق: شهود الأزل، ومعناه: رؤية فناء الحادث وبقاء القديم، فكأنه قال: «وغلبة شهود السبق على شهود وقته»، أي شغله شهود القديم عن شهود الحادث، **(والمشاهدةِ على روحه)** المشاهدة: «تعلُّق إدراك العبد من حيث حقيقة القيومية بمشهوده الحق»، وذلك هو رؤية الحق بالحق، كما ورد «فبي يسمع . . .» والمشاهدة تختص بالروح، كما يختص العلم بالعقل، والعقل صفة الروح، والشهود يقع بالذات لا بالوصف، إذ الوصف لا يقوم بنفسه، ولا يدرك إلا مثله ـ وهو الصفات ـ ولما كانت الروح هي الذات بالحقيقة تعلق إدراكها بالذاتيات، وهنا مناسبة خفية لقوله: «**من عرف نفسه عرف ربه**»[1].

(والدرجة الثالثة: دهشةُ المحبِّ عند صولة الاتصال على لطف العطيَّة) وهي نور المحبوب الواصل إلى المحبِّ، فإذا قوي النور وزخر تياره في الاتصال، سطا آخر النور بتموج بحره على جدول العطية السابقة منه، فاستجر الجدول الموهوب بترادف مدده، فغرق المحب في ثبجه، فقيل: غرقه يبهت

---

(1) أورده العجلوني في كشف الخفاء، حديث رقم (2532) [2/ 343].

وصولة نور القُرب على نور العطف، وصولةِ شوقِ العيانِ على شوقِ الخبر.

بهتة هي الدهش، وذلك هو صولة الاتصال على لطف العطية، فكأنه قال: بهتة المحب من كثرة تتابع العطايا، وهي أنوار يتصل بعضها ببعض تمحو ظلم رسوم المحب، وقيل:

الاتصال: سريان نور المشاهدة في كلية العبد حتى يحظى به، قالبه أيضاً.

(وصولة نور القُرب) أي نور الذات **(على نور العطف)** وهو نور الصفات، فإذا ظهر نور الذات اندرج فيه نور الصفات، فكأنه قال: «يدهش المحب عند صولة نور الذات على نور الصفات» **(وصولةِ شوقِ العيانِ على شوقِ الخبر)** وهو توجه المحب إلى الله بالإيمان المتفرع على الخبر، يغلب ذلك الشوق شوق أقوى منه، إذ ليس الخبر كالمعاينة، فحصل له بهذا الثاني دهشة.

[68 ـ] باب الهيمان

قال الله تعالى: ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ [الأعرَاف: الآية 143].

الهيمَانُ: الذهابُ عن التماسك تعجُّباً أو حيرة؛ وهو أثبتُ دواماً، وأملكُ بالنعت من الدهش.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: هيمانٌ في شيم أوائل برق اللطف، عند قصد الطريق، مع ملاحظة العبد خِسَّةَ قدْرِه، وسفالَة منزلته، وتفاهة قيمته.

([69 ـ] باب الهيمان)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَخَرَّ مُوسَىٰ صَعِقًاۚ﴾ [الأعرَاف: الآية 143]).

استشهد بالآية على الهيمان، والأكثر من الطائفة استشْهد بها على الفناء، ذهاباً إلى أنَّ اندكاك الجبل اضمحلال رسم الكثائف في لطف التجلي.

(**الهيمَانُ: الذهابُ عن التماسك**)؛ بأن لا يقدر على إمساك عقله (**تعجُّباً أو حيرة؛ وهو أثبتُ دواماً، وأملكُ بالنعت من الدهش**) فإن زمان الدهش أقل ومعناه أضيق، فكانت النعوت فيه أقل، بخلاف الهيمان، فإنه يجد المجال فيه واسعاً.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: هيمانٌ في شيم أوائل برق اللطف، عند قصد الطريق، مع ملاحظة العبد خِسَّةَ قدْرِه، وسفالَة منزلته، وتفاهة قيمته) يعني أنه في أوائل سلوكه يستصغر نفسه أن يكون أهلاً لما لاطفه الحق به، فيكون أقوى الأسباب في هيمانه؛ لأن الكاتب إذا أعطي الوزارة طاش عقله فرحاً.

والدرجة الثانية: هيمانُ في تلاطم أمواج التحقيق عند ظهور براهينه، وتواصل عجائبه، ولوامح أنواره.

والدرجة الثالثة: هيمان عند الوقوع في عين القدم، ومعاينة سلطان الأزل، والغرق في بحر الكشف.

(والدرجة الثانية: هيمانُ في تلاطم أمواج التحقيق) العلمي وهو العلم الذي هو ميزان العمل عند ذكاء القلب وصفاء النفس بالمكاشفة الذوقية لا العيانية فإنه بعد الفرق وذلك لأن للعلوم الشرعية حِكَماً ووجوهاً وعبارات تغفل عنها علماء الرسوم ولا يتحققها إلا العالمون بها لا على التقليد **(عند ظهور براهينه، وتواصل عجائبه، ولوامح أنواره)** فإنهم إذا صفت بواطنهم بالعمل على الإخلاص وتكحلت بصائرهم بنور الهداية انصبت أنهار العلوم إلى أودية فهومهم وتلاطمت أمواج بحار الحِكم في قلوبهم وانجلت بصائرهم فأدرك معاني من عالم القدس وحقائق من أسرار الغيب هي براهين تحقيق تلك العلوم ولاحت في بواطنهم أنوار الصفات الإلٰهية فاشتد هيمانهم وطاشت عقولهم.

(والدرجة الثالثة: هيمان عند الوقوع في عين القِدَم، ومعاينة سلطان الأزل) بالقهر والاستيلاء على أحوال الحدثان وصروف الزمان **(والغرق في بحر الكشف)** أي الانطماس في بحر شهود الذات وصاحبه قد يغفل عن أحوال الناس ويغيب عن الإحساس بالحواس وقد يصدر عنه حركات وسكنات بخلاف العادة.

[69 ـ] باب البرق

قال الله تعالى: ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ [طٰه: الآية 10].

البرقُ: باكورةٌ تلمع للعبد، فتدعوه إلى الدخول في السلوك، والفرقُ بينه وبين «الوجد» أن الوجدَ يقع بعد الدخول فيه، والوجد زاده، والبرق إذن.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: برقٌ يلمعُ من جانب العِدَة في عين الرجاء، فيستكثر فيه العبدُ القليلَ من العطاء، . . . .

([70 ـ] باب البرق)

(**قال الله تعالى:** ﴿إِذْ رَءَا نَارًا﴾ [طٰه: الآية 10]). استشهد بنار موسى على البرق لأنها كانت مبدأ والبرق مبدأ طريق الولاية.

(**البرقُ: باكورةٌ تلمع للعبد**) فكما أن النار كانت مبدأً في طريق نبوة موسى فالبرق مبدء في الولاية، والباكورة من الثمار: ما سبق نوعه في النضج، فشبَّه بها ما سبق أحوال الطالب، (**فتدعوه**) أي المريد (**إلى الدخول في السلوك**) والمراد برق الحال لا برق الأعمال، ولذلك نَسبَهُ إلى الوجد، فإن الذي يبدو في الابتداء بالكلية هو اليقظة (**والفرقُ بينه وبين «الوجد» أن الوجدَ يقع بعد الدخول فيه**) والبرق قبله، البرقُ: نور يقذفه الله في قلب العبد، فيدعوه إلى طلبه؛ والوجد: شدة ذلك الطلب، وظهور حكمه (**والوجد زاده**) أي يصحب السالك كما يصحبه زاده (**والبرق إذن**) في السلوك، فلا يصحبه بل يفسح له في المسير.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: برقٌ يلمعُ من جانب العِدَة) أي ما وعده الله لأوليائه من القرب منه (**في عين الرجاء، فيستكثر فيه العبدُ القليلَ من العطاء**)؛ فالمريد قبل

ويستقلُّ فيه الكثير من الإعياء، ويستحلي فيه مرارةَ القضاء.

والدرجة الثانية: برقٌ يلمع من جانب الوعيد في عين الحذَر، فيستقصر فيه العبد الطويلَ من الأمل، ويزهدُ في الخَلق على القُربِ، ويرغبُ في تطهيرِ السرِّ.

والدرجة الثالثة: برقٌ يلمع من جانب اللطف في عين الافتقار، فينشيء سحابَ السرور، ويُمطر قَطر الطَرب، ويُجري نهرَ الافتخار).

البرق ليس من أهل العطاء فإذا لاح له البرق استكثر القليل منه، لأنه ما أَلِفَ العطاء فهو غريب منه، (**ويستقلُّ فيه الكثير من الإعياء**) أي التعب في الطلب، (**ويستحلي فيه مرارةَ القضاء**) وهو الابتلاء.

(**والدرجة الثانية: برقٌ يلمع من جانب الوعيد في عين الحذَر، فيستقصر فيه العبد الطويلَ من الأمل، ويزهدُ في الخَلق على القُربِ**) أي يزهد فيهم، وإن كانوا أقاربه أو قريبين منه في المناسبة أو المجاورة، أو يزهد فيهم من أقرب وقت، (**ويرغبُ في تطهيرِ السرِّ**) من الاشتغال عن الله بخلقه.

(**والدرجة الثالثة: برقٌ يلمع من جانب اللطف**) أي ملاطفة الحق تعالى لعبده في التعرُّف إليه ورفع الحجاب عنه (**في عين الافتقار**) أي في حقيقة الافتقار؛ لأن ظهور الافتقار هو باب السلوك للحقيقة، (**فينشيء سحابَ السرور**) بمشاهدة أنوار اللطف، (**ويُمطر قَطرَ الطَرب**) مما يرى من لطف الله به، (**ويُجري نهرَ الافتخار**) أي يستحق الافتخار بما يميِّزه مولاه سبحانه به، وإن لم يظهره لاشتغاله بالعبودية. والمراد لمعان نور التجلي وملاطفة الحق تعالى في عين الافتقار الذي هو أول درجات الفناء، فإن أول السلوك في الله الافتقار بملاحظة العبد عدمه الذاتي وافتقاره في الوجود وما يتبعه إليه تعالى فيفتح عليه باب العناية بتجلي الحقيقة وشهود بقاء الحق فينتشيء سحاب السرور بمشاهدة أنوار الملاطفة وظهور آثار المواصلة بإشراق سبحات الحقيقة وبمطر قطر القرب مما يرى من الألطاف المقربة وعواطف العناية وشواهد الاتصاف بآداب العبودية وإن أظهره قوله: ﴿وَأَمَّا بِنِعْمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثْ ﴿١١﴾﴾ [الضّحى: الآية 11].

[70 ـ] باب الذوق

قال الله تعالى: ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ [الأنبيَاء: الآية 24].

الذوق: أبقى من الوجد، وأجلى من البرق.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: ذوقُ التصديق طعمَ العِدَةِ، فلا يعقله ظَنٌّ يعقله، . . . . . .

([71 ـ] باب الذوق)

(**قال الله تعالى:** ﴿هَٰذَا ذِكْرٌ﴾ [الأنبيَاء: الآية 24]).

وجه الاستشهاد بالآية أنه تعالى ذكر عبادهُ المصطفين الذين اختصهم بالقُرب، وهم أهل الذوق والشهود بالاتصال والوصال في قوله: ﴿وَٱذْكُرْ عِبَٰدَنَآ إِبْرَٰهِيمَ﴾ [ص: الآية 45] الآية، ثم هذا الذكر ذكر أهل الذوق.

(**الذوق: أبقى من الوجد**) لأن الوجد كما ذكر يقتضي البقية والبرق والذوق إنما هو من الشهود، والشهود لا يكون إلا مع الفناء، فكلما نقص الوجد بانتفاء البقية ازداد الشوق لشهود الحلية حتى إذا انقضى الوجد، صفى الذوق بشهود الحقيقة (**وأجلى من البرق**) لأن البرق بداية الولاية والتعرف الإلٰهي وهو سريع الانطفاء يتخلف عنه وجد على فواته وتألُّم من انقضائه، وأما الذوق فثابت لازم للشهود.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: ذوقُ التصديق) أي الذوق الناشىء عن التصديق الجازم، فالإضافة للملابسة (**طعمَ العِدَةِ**) أي الموعود من اللقاء والقرب فيلتذ به؛ (**فلا يعقله ظَنٌّ**) أي الذائق بالتصديق طعم وَعْدِ الله، لا يعارضه ظن (**يعقله**) أي يعوقه

ولا يقطعه أملٌ، ولا تعوقه أُمنيَّةٌ.

والدرجة الثانية: ذوقُ الإرادةِ طعمَ الأُنس، فلا يتعلق به شاغلٌ، ولا يفنِّده عارض، ولا تكدِّره فرقة.

والدرجة الثالثة: ذوقُ الانقطاع طعمَ الاتِّصال، وذوقُ الهمَّةِ طعمَ الجمع، وذوقُ المسامرة طعمَ العيان.

وهنا تمَّ قسم الأحوال

عن الطلب، **(ولا يقطعه أملٌ)** أي لا يقطعه عن الطلب أمل دنيا **(ولا تعوقه أُمنيَّةٌ)**.

(والدرجة الثانية: ذوقُ الإرادةِ طعمَ الأُنس، فلا يتعلق به شاغلٌ) يشغله عن سلوكه، لشدة طلبه للأنس الذي ذاق طعمه وتلذذ بحلاوته، **(ولا يفنِّده)** أي يفتره **(عارض، ولا تكدِّره فرقة)**، والمفنِّد: المفتر الذي يعذله في محبوبه، ويلزمه على النشاط في طلبه ـ وفي نسخة: لا يفتنه ـ.

(والدرجة الثالثة: ذوقُ الانقطاع طعمَ الاتِّصال) بأن يذوق المحجوب المنقطع طعم الاتصال، فالمنقطع هو المحجوب، والمتصل هو المكاشف، **(وذوقُ الهمَّةِ طعمَ الجمع، وذوقُ المسامرة طعمَ العيان)** قد نسب المؤلف هذه الأذواق إلى المسامرة والهمة والانقطاع، والمراد صاحبها. ذكره الشارح. وقال القاشاني: هذه الأوصاف كلها مجازية على وتيرة واحدة، والمراد بالكل إضافة الذوق إلى صاحبه.

قسم الولايات

وأما قسم الولايات فهو عشرة أبواب، وهي: اللحظ، والوقت، والصفاء، والسرور، والسِرُّ، والنفَس، والغربة، والغرق، والغيبة، والتمكُّن.

الولايات مراتب في الفناء حيث يتولى الله بذاته أمر عبده فلا يصير له وجود ولا ذات ولا وصف ولا فعل، فهي مقامات العناية.

[71 -] باب اللَّحظ

قـــال الله تـــعـــالـــى: ﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعرَاف: الآية 143].

اللَحْظُ: لمْحٌ مُسْتَرقٌّ، وهو في هذا الباب على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: ملاحظةُ الفضل سبقاً، وهي تقطعُ طريقَ السؤال إلا

([72 ـ] باب اللَّحظ)

(قـــال الله تـــعـــالـــى: ﴿ٱنظُرۡ إِلَى ٱلۡجَبَلِ فَإِنِ ٱسۡتَقَرَّ مَكَانَهُۥ فَسَوۡفَ تَرَىٰنِيۚ﴾ [الأعرَاف: الآية 143]).

محل الاستشهاد قوله: ﴿ٱنظُرۡ﴾، و﴿ٱلۡجَبَلِ﴾ كون موسى ووجوده الإضافي ولا يمكن استقرار كون من الأكوان عند التجلي فلا يمكن رؤية المحدث للقديم لفناء المحدث عند تجلي القديم، فالنظر إنما يكون للوجود الإضافي المتعين بصورة الكون وهو وجود الحق بالحق لا من حيث إطلاقه بل من حيث تقيده بالصفة الكونية، وذلك النظر هو اللحظ، فلذلك قال:

(**اللَحْظُ: لمْحٌ مُسْتَرقٌّ**) أي يستعبد الناظر، لأن الرق هو العبودية.

(**وهو في هذا الباب**) احترز عن باب البرق، لأنه لمح، واللمح كاللحظ (**على ثلاث درجات**:

الدرجة الأولى: ملاحظةُ الفضل سبقاً) بأن يلحظ العبد العطاء الزائد على الاستحقاق بحكم العناية السابقة وهو الفضل السابق في الأزل على وجود العبد؛ (**وهي تقطعُ طريقَ السؤال**) أي تترك السؤال خوفاً وطمعاً إذ المقدورُ كائن، (**إلا**

ما تستحقه الربوبيَّة من إظهار التذلُّل لها، وتنبتُ السرورَ إلا ما يشوبُه من حذرِ المكر، وتبعث على الشكر إلا ما أقامه الحقُّ من حقِّ الصفة.

والدرجة الثانية: ملاحظةُ نور الكشف، وهي تُسبِل لباسَ التولِّي، وتُذيق طعمَ التجلِّي، وتعصمُ من غوائل التسلِّي ـ وفي رواية: «من عوارِ التسلِّي».

والدرجة الثالثة: ملاحظةُ عين الجمع، وهي توقِظُ الاستهانة بالمجاهدات، وتُخلص من رُعونة المعارضات، وتُفيد مطالعةَ البدايات.

ما تستحقه الربوبيَّة) عليه **(من إظهار التذلُّل لها)**؛ إذ هو عبدٌ يلزمه أداء ما يستحقه من إظهار ذل العبودية، **(وتنبتُ)** تلك الملاحظة أيضاً **(السرورَ)** لأنها تريح من الطلب؛ **(إلا ما يشوبُه من حذرِ المكر)**؛ فينقص سروره **(وتبعث على الشكر إلا ما أقامه الحقُّ من حقِّ الصفة)** أي العجز عن شكره.

(والدرجة الثانية: ملاحظةُ نور الكشف) ونوره يضيء به حجاب القلب، **(وهي تُسبِل)** العبد **(لباسَ التولِّي)** أي تلبسه خلعة الولاية، **(وتُذيق طعمَ التجلِّي)** وهو رفع الحجاب، **(وتعصمُ من غوائل التسلِّي ـ وفي رواية: «من عوارِ التسلِّي»)**.

(والدرجة الثالثة: ملاحظةُ عين الجمع) وهي مبدأ شهود الوحدانية، **(وهي توقِظُ الاستهانة بالمجاهدات)** أي تلهم العبد الاستهانة بها استغناءً، ثم إن العامل به هو الحق تعالى؛ فلا يلتفت إلى المجاهدة، ولا يرى نفسه فيها، **(وتُخلص من رُعونة المعارضات)** أي الإنكار على الناس بما يبدو منهم من أحكام البشر؛ لأن المشاهدة بعين الجمع تُعلِّمُ أنَّ: «مراد الله من الخلق ما هم عليه»؛ فلا يعارض أحداً بما يبدو منه مما لا يوافقه، **(وتُفيد مطالعةَ البدايات)** أي الذي يجري في العالم سَبقَ في علم الله وفي اللوح، فلا يجري لشيء، ولا ينكر على شيء.

[72 ـ] باب الوقت

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: الآية 40].

الوقت: اسمٌ لظرف الكون.

وهو اسمٌ في هذا الباب لثلاثة معان، على ثلاث درجات:

المعنى الأول: حين وجد صادق لإيناس ضياء فضل؛ جذبه صفاء رجاء، أو لعصمة ....

([73 ـ] باب الوقت)

(**قال الله تعالى:** ﴿ثُمَّ جِئْتَ عَلَىٰ قَدَرٍ يَـٰمُوسَىٰ﴾ [طه: الآية 40]) أي في وقت الحاجة إلى المجيء. فالقدر هو الوقت، وفسّره المؤلف بقوله:

(**الوقت: اسمٌ لظرف الكون**) والكون حدوث الشيء وهو بروزه من الغيب إلى الشهادة عند التكوين، يعني زمان ظهوره. وقيل: «الوقت ما أنت به وعليه في زمان الحال»، وما أنت به عين استعدادك، وقيل: الوقت: كل ما حكم عليك.

(**وهو اسمٌ في هذا الباب لثلاثة معان، على ثلاث درجات**) أي لكل معنى من الثلاثة معان ثلاث درجات، البداية والتوسط والنهاية.

(**المعنى الأول: حين وجد صادق لإيناس ضياء فضل؛ جذبه صفاء رجاء**) أي الوقت في الدرجة الأولى من المعنى الأول: رؤية فضله تعالى على عبده، لأجل أن رجاءه[1] كان صافياً من الأكدار، (**أو لعصمة**) أي الوقتُ وجدٌ صادق

---

(1) وفي نسخة [أن رضاه] بدل [أن رجاءه].

جذبها صدقُ خوف، أو لتَلَهُّبِ شوقٍ جذبَهُ اشتعالُ محبَّة.

والمعنى الثاني: اسمٌ لطريق سالك يسير بين تمكُّن وتلوُّن، لكنَّه إلى التمكن هو مسلك الحال، ويلتفت إلى العلم؛ فالعلم يشغله في حين، والحال يحمله في حين، فبلاؤه بينهما يذيقه شهوداً طوراً، ويكسوه غيرة طوراً، ويُريه غيرة تفرّق طوراً.

حصل في وقت من الأوقات، لأجل حصول عصمة من مخالفة؛ (**جذبها صدقُ خوف**) أي جَذَبَ تلك العصمةَ خوفٌ صادق من الله (**أو لتَلَهُّبِ شوقٍ جذبَهُ اشتعالُ محبَّة**) بأن يقصد أن الوقت في هذه الدرجة عبارة عن وجد في وقت من الأوقات جذَبَه تلهُّبُ شوقٍ أوجبهُ اشتعالُ محبة.

والفرق بين هذه الدرجات: أن الوجد في هذه الدرجة عن لهيب محبة، والتي قبله عن صدق خوف، والأولى عن صفاء رجاء؛ وهذه الدرجات حقيقة المعنى الأول.

(**والمعنى الثاني: اسمٌ**) أي الوقت اسم (**لطريق سالك يسير بين تمكُّن**) أي انقياد لأحكام العبودية بالشهود بالحال (**وتلوُّن**) أي انقياد إلى أحكام العبادة، بالعلم (**لكنَّه**) السالك (**إلى التمكن**) الذي (**هو مسلك الحال**) بقلبه وتمكنه من الشهود يسير (**ويلتفت إلى العلم؛ فالعلم يشغله في حين**) أي يشغله عن السلوك وقتاً بظهور البقية التي هي التلوّن، (**والحال يحمله في حين**) أي يحمله وقتاً بعينه؛ (**فبلاؤه بينهما**) أي فعذابه بين الحال والعلم، كغريم بين مطالبين لكل منهما حقٌّ، وذلك البلاء (**يذيقه شهوداً طوراً**)، وهو الطور الذي يكون الحاكم عليه فيه الحال، (**ويكسوه غيرة طوراً**) وهو الطور الذي يكون الحاكم عليه فيه العلم، والغيرة من الحجاب (**ويُريه غيرة تفرّق**) بين التجلي والاستتار والتحير بين أحكام العلم وأحكام الحال (**طوراً**) حتى يصفو التمكن ويذهب التلون ويغلب الصحو السكر ويخصص أحكام العلم بظاهر العبد وأحكام الحال بباطنه فيرى الله بالاسم الظاهر ظاهراً وبالاسم الباطن باطناً.

والمعنى الثالث: قالوا: «الوقت الحقّ» أرادوا به استغراقَ رسم الوقت في وجود الحق، وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي، لكنه هو اسمٌ في هذا المعنى الثالث، لحين يتلاشى فيه الرسوم كشفاً لا وجوداً محضاً، وهو فوقَ البرقِ والوجدِ، وهو يشارف مقامَ الجمع لو دام وبقي، ولا يبلغ وادي الوجود، لكنَّه يكفي مؤنةَ المعاملة، ويصفِّي عينَ المسامرة، ويشمُّ روائح الوجود.

(**والمعنى الثالث: قالوا: «الوقت الحقّ» أرادوا به استغراقَ رسم الوقت في وجود الحق**) يعني أطلقوا اسم «الحق» على «الوقت»؛ لغلبة حكمه على قلب صاحبه، فلا يحس برسم الوقت، أو أن السالك إذا شهد استغراق وقته الحاضر في معنويَّةِ الزمان المطلق فقد استغرق الزمان رسم الوقت الذي كان جزءاً من أجزائه مغموراً فيه ـ كنقطة ماء ألقيتها في البحر ـ ثم إن الزمان يستغرق رسمه في وجود الدهر، وهو ما بين الأزل والأبد، ثم إن الدهر وهو ما لا نهاية له ولا بداية، هو الدوام الإلٰهي، وهو صفة الحق تعالى، فيضمحل الدهر في وجود وصف موصوفه الحقِّ، فذلك مراد القوم.

(**وهذا المعنى يسبق على هذا الاسم عندي، لكنه هو اسمٌ في هذا المعنى الثالث، لحين يتلاشى فيه الرسوم كشفاً لا وجوداً محضاً**) والكشف هنا دون الوجد (**وهو فوقَ البرقِ والوجدِ، وهو يشارف مقامَ الجمع لو دام وبقي**) لكنه لا يدوم.

(**ولا يبلغ**) فيه السالك (**وادي الوجود**) وهو فيه؛ (**لكنَّه يكفي مؤنةَ المعاملة**) أي المعاملة تجري عليه وهو بمعزل عنها، (**ويصفِّي عينَ المسامرة**) حتى ترى هناك غيراً فتلتفت إليه، (**ويشمُّ روائح الوجود**) وهو هنا ظهور وجود الحق بفناء وجود الخلق.

[73 ـ] باب الصفاء

قال الله تعالى: ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: الآية 47].

الصفاءُ: اسمٌ للبراءة من الكَدَر. وهو في هذا الباب سقوطُ التلوين.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: صفاءُ علمٍ يهذِّبُ لسلوك الطريق، ويُبصِّر غايةَ الحد، ويصحِّح همَّةَ القاصد.

والدرجة الثانية: صفاءُ حال يشاهد به شواهد التحقيقِ، ويُذاق به

([74 ـ] باب الصفاء)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَإِنَّهُمْ عِندَنَا لَمِنَ ٱلْمُصْطَفَيْنَ ٱلْأَخْيَارِ ﴿٤٧﴾﴾ [ص: الآية 47]) وهم أهل مقام الصفاء الذين أخلصهم الله عن كدر التفرقة بخالصه وصفاهم كما قال:

(**الصفاءُ: اسمٌ للبراءة من الكَدَر. وهو في هذا الباب سقوطُ التلوين**) أي التردد والتذبذب.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: صفاءُ علم يهذِّبُ) السالك (**لسلوك الطريق، ويُبصِّر غايةَ الحد**) الذي يصل إليه العلم، (**ويصحِّح همَّةَ القاصد**) في القصد إلى الحضرة الأحدية فإنهم إذا لم يقفوا بالعلم والبصيرة على المقصد لم تصح همتهم..

(**والدرجة الثانية: صفاءُ حال**) والحال: «انصباغ القلب بحكم الواردات»، والحال يدعو إلى المقام الذي عنه صدر الوارد، وإذا كان الوارد من حضرة الحقيقة (**يشاهد به**) السالك بصفائه (**شواهد التحقيقِ**) وهي علاماته، (**ويُذاق به**

حلاوةُ المناجاة، ويُنسى به الكونُ.

والدرجة الثالثة: صفاء اتصال يُدرِج حظَّ العبودية في حق الربوبية، ويُغرِق نهاياتِ الخبرِ في بدايات العيان، ويطوي خسّة التكاليف في عزِّ الأزل.

حلاوةُ المناجاة) وهي المسامرة لأن تلك الشواهد توصل السالك بالتجليات الأسمائية إلى حضرة الواحدية الإلٰهية **(ويُنسى به الكونُ)** لمكان نور العشق الجاذب إلى الجمال واستيلاء ذوق المسامرة..

(والدرجة الثالثة: صفاء اتصال) وهو اتصال العبد بربه، **(يُدرِج حظَّ العبودية في حق الربوبية)؛** فيشهد حظ العبد حقاً من حقوق الربوبية ـ وحظه: ذاته وصفاته وأفعاله ـ ويشهد الحقّ المذكور فعلاً من أفعال الربوبية، ويشهد الفعل وصفاً والوصف ذاتاً، فيغلب كون الحق على كون العبد، **(ويُغرِق نهاياتِ الخبرِ في بدايات العيان)** يعني يرى الشاهد ما أُخبِرَ به عياناً، ويصير الحاكم عليه العيان، **(ويطوي خسّة التكاليف)** أي يطوي رؤية أن العبادات تكليف، فإن رؤيتها تكليف خسَّة من الرائي، لأنه رآها بعين الخليقة، فإذا صار الحقّ سمعه وبصره نظرها بعين الحقيقة، فيتغير النظر من باطلٍ إلى حقٍّ، فزالت الخسّة بالحق، وذلك هو انطواؤها **(في عزِّ الأزل)**، والأزل هنا صفة الحق تعالى.

[74 ـ] باب السرور

قال الله تعالى: ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يُونس: الآية 58].

السرورُ: اسمٌ لاستبشار جامع وهو أصفى من الفرح، لأن الأفراحَ ربما شابها الأحزانُ، ولذلك نَزَل القرآنُ باسمه في أفراح الدنيا في مواضعَ وورد اسم السرور في موضعين في القرآن في حال الآخرة.

وهو في هذا الباب على ثلاث درجات:

الـدرجـة الأولـى: سـرورُ ذوقٍ ذهـب بـثـلاثـة أحـزان: حـزنٌ أورثـه خـوفُ

([75 ـ] باب السرور)

(**قال الله تعالى:** ﴿قُلۡ بِفَضۡلِ ٱللَّهِ وَبِرَحۡمَتِهِۦ فَبِذَٰلِكَ فَلۡيَفۡرَحُواْ﴾ [يُونس: الآية 58]).

الفرح والسرور اسمان مترادفان وهما في الآخرة في هذه الآية فلذلك استشهد بالفرح على السرور، لكن استعمال الفرح في لذات الدنيا والسرور في لذّات الآخرة، فلذلك قال:

(**السرورُ: اسمٌ لاستبشار جامع**) وهو مشتق من «الأسارير»، والاستبشار أصل اشتقاقه ما يظهر على «البشرة» من الفرح، والسرور هو الذي لا يمازجه حزن، فلذلك قال: (**وهو أصفى من الفرح، لأن الأفراحَ ربما شابها الأحزانُ، ولذلك نَزَل القرآنُ باسمه في أفراح الدنيا في مواضعَ**) كقوله: ﴿لَا تَفۡرَحۡۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُحِبُّ ٱلۡفَرِحِينَ﴾ [القصص: الآية 76]، وقوله: ﴿إِنَّهُۥ لَفَرِحٞ فَخُورٌ﴾ [هود: الآية 10]، (**وورد اسم السرور في موضعين في القرآن في حال الآخرة**).

(**وهو في هذا الباب على ثلاث درجات:**

الـدرجـة الأولـى: سـرورُ ذوقٍ ذهـب بـثـلاثـة أحـزان: حـزنٌ أورثـه خـوفُ

الانقطاع، وحزن هاجته ظلمة الجهل، وحزنٌ غشيته وحشةُ التفرُّق.

والدرجة الثانية: سرورُ شهودِ كَشفَ حجابَ العلمِ، وفكَّ رقَّ التكلُّف، ونفى صِغارَ الاختيار.

والدرجة الثالثة: سرور سماع الإجابة، وهو سرورٌ يمحو آثار الوحشة، ويقرع بابَ المشاهدة، ويُضحك الرُوحَ).

الانقطاع) عن وفد الجنة، وأهل الانقطاع أهل النار، والذوق الذي يذهب بهذا الحزن الأول الذوق المذكور في الدرجة الأولى من باب الذوق، وهو ذوق التَّصديق طعم العدة، **(وحزن هاجته ظلمة الجهل)** أي حيرته، وعدم معرفة الطريق، ويذهب بها الذوق المذكور في ثاني درجة من باب الذوق، **(وحزنٌ غشيته وحشةُ التفرُّق)** أي تفرُّق الخاطر عن التوجُّه إلى الله، وله وحشة يقارنها حزن على فوت الجمعية، والذوق المذكور في ثاني درجة أيضاً يذهبه.

(والدرجة الثانية: سرورُ شهودِ كَشفَ حجابَ العلم)؛ فإن العلم حجاب عن المعرفة، وكشفه يوجب سروراً، **(وفكَّ رقَّ التكلُّف)** أي فك رقَّ النفس من يد كلفة التكلُّف إلى عتق الراحة بالأمر؛ «**أرحنا يا بلال**»، **(ونفى صِغارَ الاختيار)** أي الشهود عرَّفه بأن البلاء في حقه نعيم.

(والدرجة الثالثة: سرور سماع الإجابة) هو سماع انقياد عوالم النفس إلى داعي الفناء في الشهود، والسماع هنا بمعنى القبول والانقياد **(وهو سرورٌ يمحو آثار الوحشة)** أي بقايا الصفات الباقية عن الدرجة الثانية الموجبة للوحشة والتفرقة، **(ويقرع بابَ المشاهدة، ويُضحك الرُوحَ)** للسرور التام بمشاهدة جمال الذات وخص الضحك بالروح لأن العقل قد فني بفناء العلم والنفس والقلب بفناء سائر الصفات ولم تبق إلا الروح الذي هو محل المشاهدة.

[75 ـ] باب السِرّ

قال الله تعالى: ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [هُود: الآية 31].

أصحابُ السِرِّ هم الأخفياء الذين ورد فيهم الخبرُ.

وهم على ثلاث طبقات:

الطبقة الأولى: طائفة عَلتْ هممُهم.........................

([76 ـ] باب السِرّ)

(**قال الله تعالى:** ﴿ٱللَّهُ أَعۡلَمُ بِمَا فِيٓ أَنفُسِهِمۡۖ﴾ [هُود: الآية 31]) السر هو المعنى الباطن عن إدراك المشاهد.

(**أصحابُ السِرِّ هم الأخفياء**) الذين أخفاهم الله عن خلقه، (**الذين ورد فيهم الخبرُ**) وهو قول المصطفى ﷺ: «**أحب العباد إلى الله الأخفياء الأتقياء**»* أي الذين أخفاهم الله عن خلقه إن حضروا لم يعرفوا وإن غابوا لم يذكروا.

(**وهم على ثلاث طبقات:**

الطبقة الأولى: طائفة عَلتْ هممُهم) أي بلغت الدرجة الثالثة من باب الهمة وهي النعوت التي تسمو نحو الذات، وصفت قصودهم عن الالتفات إلى الغير في التوجه نحو الحق وكانت في الدرجة الأخيرة من باب القصد وهو العزيمة

---

* رواه بنحوه الطبراني في الكبير، أسلم مولى عمر عن معاذ، حديث رقم (321) [20/153] ورواه الشهاب القضاعي في المسند، الجزء الثامن من مسند الشهاب...، حديث رقم (1071) [2/ 147] ورواه غيرهما. ونص الحديث كاملاً: «**إن الله يحب الأخفياء الأتقياء الذين إذا غابوا لم يفقدوا وإذا حضروا لم يدعوا ولم يعرفوا، قلوبهم مصابيح الهدى يخرجون من كل غبراء مظلمة**».

وصفَتْ قصودُهم، وصحَّ سلوكُهم، ولم يُوقَف لهم على رسم، ولم يُنسَبوا إلى اسم، ولم يشر إليهم بالأصابع، أولئك ذخائر الله عز وجل حيث كانوا.

والطبقة الثانية: طائفة أشاروا عن منزل وهم في غيره، وورُّوا بأمر وهم بغيره، ونادوا على شأن وهم على غيره، فهم بين غيرة عليهم تسترهم، وأدبٍ فيهم يصونهم وَظُرْفٌ يُهذِّبهم.

على اقتحام بحر الفناء (**وصفَتْ قصودُهم، وصحَّ سلوكُهم، ولم يُوقَف لهم على رسم**) أي لم يتوسموا بوسم طائفة حتى أمكن وقوف الناس على أنهم كيف سلكوا وعلى أي طريق ساروا حتى وصلوا (**ولم يُنسَبوا إلى اسم**)؛ فلا يقال لأحدهم: «العارف» ولا «الصدِّيق»، وقيل: لم ينسبوا إلى اسم من أسماء الله، فإن في عرف جمعٍ: «أن ينسب صاحب الشهود الجزئي إلى عبودية الاسم الخاص بذلك التجلي»، كمن انشق حسُّه حتى شهد بظاهره ظاهر الحق، فاسمه ـ عندهم ـ «عبد الظاهر»، ومن انشقت نفسه حتى شَهِدَ بسرِّه سرَّ الله، فاسمه «عبد الباطن»، ومن شهد عظمة الله سُمِّيَ «عبد العظيم»، فأما مُحب الحقيقة فلا ينسب إلى اسم (**ولم يشر إليهم بالأصابع**) أي لم يشتهروا في حياتهم (**أولئك ذخائر الله عز وجل حيث كانوا**) الذين بهم يدفع البلاء عن عبادِه كما يدفع بالذخيرة بلاء الحاجة.

(**والطبقة الثانية: طائفة أشاروا عن منزل وهم في غيره**) أي طائفة سارت في مرتبة علية وأشاروا إلى أنهم في منزل العامة وهم في مقام الخاصة (**وورُّوا بأمر وهم بغيره**) كأن يقول أحدهم: «ما لي عند الله منزلة»، يوهم أن ذلك لنقصه، وهو لكماله لقطعه المنازل والمقامات كلها، وبقي بلا مقام لفناء رسمه، والمنازل لأهل الرسوم، (**ونادوا على شأن**) أي عظموا شأناً، ودعوا الناس إليه (**وهم على غيره**) أي لا يرضونه لأنفسهم لكونهم فوقه (**فهم بين غيرة عليهم تسترهم، وأدبٍ فيهم يصونهم**) أي أدب مع الحق يصونهم عن نزولهم عما أولاهم، (**وظرف**) أي كمال تلطف في المعاملة مع الحق والخلق (**يُهذِّبهم**) بالأدب والأخلاق والتواضع والتظاهر بالمسكنة والجهل وترك المنافسة في المقامات الإلٰهية والمراتب السنية

والطائفة الثالثة: طائفة أسرَّهم الحق عنهم، وألاح لهم لائحاً أذهلهم عن إدراك ما هم فيه، وهيَّمهم عن شهود ما هم له، وضنَّ بحالهم على علمهم معرفة ما هم به، فاستسروا عنهم مع شواهد تشهد بصحة مقامهم عن قصد صادق يهيِّجه غيبٌ، وحبٍّ صادقٍ يخفى عليهم علمه، ووجد غريب لا ينكشف له موقده، وهذا من أرقِّ مقامات أهل الولايات.

رعاية للأدب مع الله فيصونهم الأدب عن البوح والشطح وإظهار المعرفة والمحبة.

(**والطائفة الثالثة: طائفة أسرَّهم الحق عنهم**) أي أخفاهم عن أنفسهم وشغلهم عنها به فأذهلهم عن الشعور بذواتهم وألاح لهم لائحاً أي نوراً من أنوار وجهه (**وألاح لهم لائحاً أذهلهم عن إدراك ما هم فيه، وهيَّمهم عن شهود ما هم له**) قائمون وفيه متحيرون وهم المولهون والمهيّمون في مقام الكروبيين من الملائكة الذين قيل إنهم لا يعلمون أن الله خلق آدم لشغلهم به عما سواه فهم نائمون في شهود جماله عن كل ما سواه (**وضنَّ بحالهم على علمهم معرفة ما هم به**) أي بخل بحالهم على علمهم وشهودهم بمعرفة حالهم وما خصوا به (**فاستسروا عنهم مع شواهد تشهد**) لهم (**بصحة مقامهم**) أي عند المحقق شواهد يعرفهم بها تشهد بصحة حالهم، وحصل لهم هذا (**عن قصد صادق يهيِّجه غيبٌ**) أي قصد صادق يهيِّجه عينه، أي قصد ذاتي لا يُعرَف سببه، (**وحبٍّ صادقٍ يخفى عليهم علمه**) أي يحب ولا يعلم لماذا يُحبّ، (**ووجد غريب لا ينكشف له موقده**) شبه الوجد بالنار رشح الاستعارة بذكره الموقد. ومعناه أنه غريب نادر الوقوع (**وهذا من أرقِّ مقامات أهل الولايات**) أي ألطفها لأنه في غاية الخفاء والبطون حتى صاحبه والولاية من الاسم الباطن لكن لا يلزم من كونه أرق كونه أشرف المقامات وإلا كان آخرها.

[76 ـ] باب النفَس

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَـٰنَكَ﴾ [الأعرَاف: الآية 143].

سُمِّي «النفَس» نفَساً لترويح المتنفِّس به.

وهو على ثلاث درجات، وهي تشابه درجات الوقت.

والأنفاس ثلاثة: النَفَسُ الأول: نفَسٌ في حين استتارٍ مملوءٌ من الكظم معلق بالعلم إن تنفَّسَ تنفَّسَ بنفَسِ المتأسِّف، أو نطقَ نطقَ بالحزنِ، وعندي هو يتولَّـد

([77 ـ] باب النفَس

(**قال الله تعالى:** ﴿فَلَمَّآ أَفَاقَ قَالَ سُبۡحَـٰنَكَ﴾ [الأعرَاف: الآية 143]).

(**سُمِّي «النفَس» نفَساً لترويح المتنفِّس به.**

وهو على ثلاث درجات، وهي تشابه درجات الوقت)، لأن هناك ثلاثة معاني على ثلاث درجات، وهنا ثلاثة أنفاس منقسمة على ثلاث درجات، فهذان البابان مخالفان فيه جميع الأبواب، ويظهر تشابههما عند مقابلة الثلاث بالثلاث، (**والأنفاس ثلاثة:**

النَفَسُ الأول: نفَسٌ في حين استتارٍ) أي التنفس الحاصل لمن انحجب عنه مطلوبه، أو فارقه محبوبه، وهو يوجب تنفُّسَ الحزين، (**مملوءٌ من الكظم)**، والكظم التسكين، كأنه يقول: «نفس يضطر صاحبه إلى أن يكظمه ويسكِّنه»، (**معلق بالعلم)** يعني ذلك النفس يتعلق بأحكام العلم الظاهر لا بأحكام الحال، فإن كرب الحال والمحبة ممزوج بحلاوة، بخلاف العلم، وإنما سكن بمرارة الصبر، (**إن تنفَّسَ تنفَّسَ بنفَسِ المتأسِّف، أو نطقَ نطقَ بالحزنِ، وعندي هو يتولَّد**

من وحشة الاستتار، وهو الظلمة التي قالوا إنها مقام.

والنَّفَس الثاني: نفَسٌ في حال التجلِّي، وهو نفَسٌ شاخصٌ عن مقام السرور إلى رَوح المعاينة، مملوءٌ من نور الوجود شاخصٌ إلى منقطع الإشارة.

والنَّفس الثالث: نفَسٌ مطهَّرٌ بماء القدس قائمٌ بإشارات الأزل وهو النفس الذي يُسمَّى «صدق النور» والنَّفَس الأول للعبور سراج، . . . .

من وحشة الاستتار، وهو الظلمة التي قالوا إنها مقام) والوحشة الحاصلة منه هي ظلمة البشرية، وليست مقاماً إذ هو ما يقربك إلى المطلوب، وأما وحشة المذاق فهي تأخر لا تقدم، فلا يسمى التأخر مقاماً، إذ كل مقام فيه محل تعلُّق بالحق، وأما حال الاستتار فهو حال الانقطاع عن ذلك التعلقُّ، فهو ضد المقام.

(والنفس الثاني: نفَسٌ في حال التجلِّي) ذكر «الحال» هنا و«الحين» في الدرجة الأولى لقولهم: «الوقت للمبتدىء، والحال للمتوسط، والنفس للمنتهي»، **(وهو نفَسٌ شاخصٌ)** أي خارج **(عن مقام السرور)** المتقدم، وهو القلب، فكأنه قال: هذا النفس خارج من مقام السرور طلباً **(إلى رَوح المعاينة)** في حضرة الجمع؛ فهو **(مملوءٌ من نور الوجود)** وهو وجدان الحق في الوجد، وهي حضرة الجمع؛ **(شاخصٌ إلى)** أي متوجه إلى **(منقطع الإشارة)** أي إلى حيث لا إشارة، وهي حضرة طمس النفس.

(والنَّفَس الثالث: نفَسٌ مطهَّرٌ بماء القدس)، وهو الشهود الذي يُفني الحادث ويبقي القديم، فكأن الحدوث عندهم نجس، والتجلِّي يطهره، ويُثْبِتُ القدسَ الذي هو الطهر؛ **(قائمٌ بإشارات الأزل)** أي فني صاحب النَّفَس، وبقي من لم يزل، فبقيَتْ أنفاسه من جملة إشارات الأزل، وإشاراته مدد تجلياته، وكل موجود قائم بذلك المدد، **(وهو النفس الذي يُسمَّى «صدق النور»)** أي صدق ظهور النور الحق، فهو إشارة إلى أن النَّفَس الثالث نفَس الرحمٰن الذي وجد فيه جميع معاني الأكوان.

(والنفَس الأول للعبور سراج) أي يعبر السالك به من ظلمة البشرية إلى نور السلوك، بواسطة العلم الظاهر.

والنفَسُ الثاني للقاصد معراجٌ، والنفَسُ الثالث للمحقِّق تاج.

(والنفَسُ الثاني للقاصد معراجٌ) يقصد به نور التجلي، فهو معراج ـ أي سلم ـ لأنه أعلى من العلم، إذ سلوكه بنور المعرفة الرافعة لحجاب العلم، **(والنفَسُ الثالث للمحقِّق تاج)** أي يفتخر به صاحبه على مَن دونه افتخاراً ذاتياً، ومنه «**أنا سيد ولد آدم ولا فخر**»[1].

---

(1) رواه الحاكم في المستدرك، ذكر أخبار سيد المرسلين. . .، حديث رقم (4189) [2/ 660] ورواه ابن ماجه في السنن، باب ذكر الشفاعة، حديث رقم (4308) [2/ 1440] ورواه غيرهما.

[77 ـ] باب الغربة

قال الله تعالى: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هُود: الآية 116].

الاغترابُ: اسمٌ يشارُ به إلى الانفراد عن الأكفاء.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: الغربةُ عن الأوطان. وهذا الغريب موته شهادة، ويقاس له في قبره من متوفَّاه إلى وطنه، ويجمع يوم القيامة إلى عيسى بن مريم عليهما السلام.

([78 ـ] باب الغربة)

(**قال الله تعالى**: ﴿فَلَوْلَا كَانَ مِنَ ٱلْقُرُونِ مِن قَبْلِكُمْ أُوْلُواْ بَقِيَّةٍ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلْفَسَادِ فِي ٱلْأَرْضِ إِلَّا قَلِيلًا مِّمَّنْ أَنجَيْنَا مِنْهُمْ﴾ [هُود: الآية 116]).

وجه الإشارة بها: أنَّ القليل منهم هم المتصفون بالانفراد عن الأكفاء.

(**الاغترابُ: اسمٌ يشارُ به إلى الانفراد عن الأكفاء**) يقال لمن انفرد بصفة عن قومه هو غريب في قومه.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: الغربةُ عن الأوطان. وهذا الغريب موته شهادة، ويقاس له في قبره من متوفَّاه إلى وطنه، ويجمع يوم القيامة إلى عيسى بن مريم عليهما السلام) وفي الحديث: «**موت الغريب شهادة**». والمراد بهذا السفر المهاجرة عن الأوطان لقطع العلائق، والسياحة هي سنَّة عيسى عليه السلام، ولذلك يجمع ويحشر معه.

والدرجة الثانية: غربة الحال، وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم، وهو رجل صالح في زمان فاسد، بين قوم فاسدين. أو عالِم بين جاهلين، أو صدِّيق بين قوم منافقين.

والدرجة الثالثة: غربةُ الهمة، وهي غربة طلب الحقِّ، وهي غربة العارف لأن العارف في شاهده غريبٌ، ومصحوبه من شاهده غريب، وموجوده ـ مما

(والدرجة الثانية: غربة الحال) أي الانفراد عن الأكفاء بوصف شريف ليس المراد به الحال المعروف عند القوم، بل الحال المعروف لغة، فإن كل وصف حال من الأحوال. فالمراد بالغربة في هذه الدرجة ما أورده في صدر الكتاب من حديث: «**طلب الحق غربة**» وهو السالك المتوسط الداخل في الغربة الذي هو في الرتبة الثانية من الرتب الثلاث المذكورة في صدر الكتاب.

(وهذا من الغرباء الذين طوبى لهم) إشارة إلى قول المصطفى ﷺ: «**فطوبى للغرباء الذين يصلحون ما أفسد الناس من بعدي**»[1]، **(وهو رجل صالح في زمان فاسد، بين قوم فاسدين. أو عالِم بين جاهلين، أو صدِّيق بين قوم منافقين)** الصديق صيغة مبالغة في الصادق وهو الذي صدق ظاهره وباطنه في قبول كل ما جاء عن الله، والمنافق مَن خالف ظاهره باطنه في ذلك.

(والدرجة الثالثة: غربةُ الهمة، وهي غربة طلب الحقِّ، وهي غربة العارف) وهو الذي ارتفع عنه حجاب العلم بالتجلي الشهودي **(لأن العارف في شاهده غريبٌ)** وشاهده هو الذي يشهد عنده بصحة ما وجد، وذلك هو الحق، ومعنى «غريب»: كون الناس لا يدركونه ولا يدركون حاله، لأن الشهود حالة فناء وسكر، والصحو منه يحصل علماً يصحب ذلك الشاهد بعد انقضاء الشهود، فذلك العلم هو مصحوبه من شاهده، **(ومصحوبه من شاهده غريب)**؛ لأن إدراكه ليس بالعقل بل بالحقِّ، والحقّ عند العقل غريب، **(وموجوده ـ مما**

---

(1) رواه الترمذي في السنن، باب ما جاء أن الإسلام بدأ غريباً وسيعود غريباً، حديث رقم (2629) [5/ 18].

يحمله علمٌ، أو يظهره وجدٌ، أو يقوم به رسمٌ، أو تطيقه إشارةٌ، أو يشمله اسمٌ غريبٌ، فغربة العارف غربةُ الغربة، لأنه غريب في الدنيا وغريب الآخرة.

يحمله علمٌ) أي يقبله علم النقل والعقل، ويدله على صحته، **(أو يظهره وجدٌ)** والأفضل كتمانه، **(أو يقوم به رسمٌ)** أي الرسم يقوي على إظهاره، **(أو تطيقه إشارةٌ)** على إفهامه **(أو يشمله اسمٌ غريبٌ)** وموجود العارف من هذه المراتب الخمسة، هو: معروفية الحقِّ تعالى، وهو غريب عند أصحاب هؤلاء المراتب الخمسة **(فغربة العارف غربةُ الغربة)** أي ليس عنده غربة، وأنه لم يبرح عن وطنه، وإنما هو أهل شهود في وجود، أي يشاهد الحقُّ ويجده بالحقِّ لا بنفسه، كما كان في الأزل يجده به ويراه تعالى، فهو قد اغترب عن الغربة، فهو **(لأنه غريب في الدنيا وغريب الآخرة)** أي لا يعرفه أهل الدنيا ولا الآخرة، لأنه استتر بالحق عن الخلق، كما قيل:

تَسترتُ مِن دَهري بظِلِّ جَناحِهِ ... فَعَيني تَرى دَهري ولَيسَ يَراني
فَلَو تَسألَ الأيَّامَ ما اسمي ما دَرَت ... وأَينَ مكاني ما عَرَفنَ مكاني

«وسواد الوجه في الدارين» هو إبهامه على أهلهما.

[78 ـ] باب الغَرق

قال الله تعالى: ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ [الصَّافات: الآية 103].

هذا اسمٌ يشارُ به في هذا الباب إلى مَن توسَّط المقامَ وجاوز حدَّ التفرُّق.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: استغراقُ العلم في عين الحال، وهذا رجلٌ قد ظفَرَ

([79 ـ] باب الغَرق)

(**قال الله تعالى:** ﴿فَلَمَّآ أَسۡلَمَا وَتَلَّهُۥ لِلۡجَبِينِ ١٠٣﴾ [الصَّافات: الآية 103]).

وجه الاستشهاد أن إسلام الوجه لله ببذل الروح وذبح الولد يكون لقوة الحب والاستغراق في مقام القرب الذي هو عين الولاية، والغرق هو توسط مقام الولاية لاستيلاء المحبة فذلك الإسلام نتيجة الغرق في مقام الخلة والانغماس في غمار المنة.

(**هذا اسمٌ يشارُ به في هذا الباب**) أي في اصطلاح القوم، (**إلى مَن توسَّط المقامَ**) أي صار في وسطه، يعني دخل في وسط مقام الولاية وغرق في تياره (**وجاوز حدَّ التفرُّق**) بالغيبة عن رؤية الغير إذ الغريق مغموس في حاله مشغول عن غيره.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: استغراقُ العلم في عين الحال) وهو استهلاك أحكام العلم في أحكام الحال باستيلاء الحال على العلم، مثاله: أن العبد يعرف الخوف من حيث العلم، لكن إذا اتصف به وتخلَّق به غلب عليه حال الخوف والانزعاج واستغرق فيه علمه، فلم يذكر ما كان يعلمه حال الخوف، لغلبته عليه في وقته، (**وهذا رجلٌ قد ظفَرَ بالاستقامةِ**) فلا يتذبذب بعد هذه الحال في السير إلى الله،

بالاستقامةِ، وتحقَّق في الإشارة، فاستحق اسم النسبة.

والدرجة الثانية: استغراق الإشارة في الكشف، وهذا رجلٌ ينطق عن موجوده، ويسير مع شهوده، ولا يُحسُّ برعونة رسمه.

والدرجة الثالثة: استغراق الشواهد في الجمع، وهذا رجلٌ شملته أنوار الأوليَّة، ففتح عينه في مطالعة أنوار الأزلية، فتخلص من الهمم الدنيَّة.

بل يستقيم على سلوكه، **(وتحقَّق في الإشارة)** بالكشف، فإشارته غريقة في المشاهدة. وقيل: **(تحقق في الإشارة)** إلى ما وجده من الأحوال؛ **(فاستحق اسم النسبة)** إلى اختصاص الحقِّ بقوله: ﴿وَعِبَادُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾ [الفُرقان: الآية 63].

وقيل: إن كان كشفه من عالم الجمال فاسمه «عبد المحسن» و«عبد الوهاب» ونحوه، وإن كان كشفه من عالم الجلال فاسمه «عبد القاهر» ونحوه.

(والدرجة الثانية: استغراق الإشارة في الكشف)؛ لأن الإشارة نداء على رأس البعد، وبوح بعين العلة، وإنما ترتفع الإشارة بظهور الوحدانية وفناء الثنوية عنها، **(وهذا رجلٌ ينطق عن موجوده)** أي لا يحتاج فيما يذكره إلى نقل من كتاب، أو أخذ بواسطة، بل يشهده وجوداً، ويجده شهوداً، **(ويسير)**- بسين مهملة -**(مع شهوده)** إلى المقر المقصود، فيكون سيره بالله ومع الله **(ولا يُحسُّ برعونة رسمه)** والرسم: «ذات العبد التي تفنى عند الشهود»، والرعونة: «الأخلاق الدنية»، والمراد بها هنا: بقية تبقى من المُشاهد، لا تُدرَك لضعفها وقلّتها واشتغاله بنور الكشف عن ظلمتها، فهو لا يحس بها.

(والدرجة الثالثة: استغراق الشواهد) أي الأسماء والصفات في شهود حضرة الجمع أو استغراق الأسماء والصفات، وهي العوالم، وهناك يفنى العبد بالكلية، **(في الجمع وهذا رجلٌ شملته)** أي أحاطت به **(أنوار الأوليَّة)** أي أحاطت به أنوار قدم الحق وأوليته للحق وهي حقائق الكنزية وهي العماء، أي عدم معرفته بوجه **(ففتح عينه في مطالعة أنوار الأزلية، فتخلص من الهمم الدنيَّة)** أي نظر بالحق لا بنفسه، فطالع الأزل بالأزل، ومعنى فتح العين: استمداده من نور الحق تعالى.

[79 ـ] باب الغيبة

قال الله تعالى: ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يُوسُف: الآية 84].

الغيبة التي يشار إليها في هذا الباب على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: غيبةُ المُريد في مَخلص القصدِ عن أيدي العلائق ودركِ العوائق، لالتماس الحقائق.

والدرجة الثانية: غيبةُ السالك عن رسوم العلم وعلل السَّعي

([80 ـ] باب الغيبة)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَـٰٓأَسَفَىٰ عَلَىٰ يُوسُفَ﴾ [يُوسُف: الآية 84]).

توليه عن بنيه لشدة حزنه على يوسف هو الغيبة عنهم باستيلاء محبة يوسف على قلبه وشغله به عنهم فاستشهد به على غيبة المحب عن كل ما سوى المحبوب الحقيقي.

(**الغيبة التي يشار إليها في هذا الباب على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: غيبةُ المُريد في مَخلص القصدِ عن أيدي العلائق) أي في مخلص خلوص القصد إلى الحق عن كل ما يتعلق في قلبه واستيلاء العلائق بترك المألوف من أهل ومال ووطن وتجريده عنها لتخليص القصد (**ودركِ العوائق، لالتماس الحقائق**) جمع حقيقة، وهي صفة الحق، فكأنه يقول: لطلب شهود صفات الحق.

(**والدرجة الثانية: غيبةُ السالك عن رسوم العلم**) أي انتقاله عن أحكام العلم إلى الحال، ويقوم له الحال مقام العلم، (**وعلل السَّعي**) وهي اعتقاد أنه يوصل إلى الله، فإذا انتقل عن حجاب العلم إلى موجود الحال غاب إدراكه عن اعتبار

ورُخص الفتور.

والدرجة الثالثة: غيبةُ العارف عن عيون الأحوال والشواهد.

والدرجات في عين الجمع.

السعي، **(ورُخص الفتور)** فمن كان حاضراً مع العلم اعتبر السعي والاجتهاد، وضده الذي هو الفتور، فإذا انتقل إلى مواجيد الأحوال غاب عن إدراك الأمرين؛ فيسعى ولا يفتر ولا يعتد به.

(والدرجة الثالثة: غيبةُ العارف عن عيون الأحوال) فلا يراها ولا تراه، لأن الأحوال تقتضي واجداً وموجوداً ووجداناً، والجمع لا يبقي الثنوية **(والشواهد)** وهي الأسماء والصفات، والغيبة عنها شهود الذات، وهو الجمع **(والدرجات)** أي اعتبار علوها وقربها **(في عين الجمع)** أي الثالثة هي الغيبة في عين الجمع عن هذه الثلاث عيون، الأحوال والشواهد والدرجات. [وفي نسخة] أي بحصوله في حضرة عين الجمع واستقراره فيها متمكناً فوق حجب الطلب لأن الطلب لا يكون إلا مع الغيبة فهو حجاب على المطلوب، فإذا وصل إليه وتوسط حضرة الجمع استراح من الطلب واستقرّ فوق جميع المراتب.

[80 ـ] باب التمكُّن

قال الله تعالى: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرُّوم: الآية 60].

التمكُّن: فوق الطمأنينة، وهو إشارة إلى غاية الاستغراق.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تمكُّن المريد؛ وهو أن تجتمع له صحَّةُ قصدٍ يُسيِّره، ولْمعُ شهود يَحمله، وسَعةُ طريق تروحه.

والدرجة الثانية: تمكُّن السالك؛ وهو أن يجتمع له صحَّةُ انقطاع، وبرقُ

([81 ـ] باب التمكُّن)

هو آخر مقام الولاية ونهاية مراتب التداني وبداية مقامات التدلي، وهو أول السفر الثاني لأنه إذا ردّ إلى البقاء وخلع عليه خلعة الوجود من الاصطفاء انشرح صدره بالله فشاهد روح الخليقة في عين الحقيقة فأُوتي حقائق المعارف والحكم التي هي من إمداد الاسم الهادي.

(**قال الله تعالى**: ﴿وَلَا يَسْتَخِفَّنَّكَ ٱلَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ﴾ [الرُّوم: الآية 60]).

(**التمكُّن: فوق الطمأنينة، وهو إشارة إلى غاية الاستغراق**) وهو الاستغراق في عين الجمع، وهو مشاهدة الذات.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: تمكُّن المريد؛ وهو أن تجتمع له صحَّةُ قصدٍ يُسيِّره، ولْمعُ شهود يَحمله، وسَعةُ طريق تروحه.

والدرجة الثانية: تمكُّن السالك؛ وهو أن يجتمع له صحَّةُ انقطاع، وبرقُ

كشفٍ وصفاءُ حالٍ.

والدرجة الثالثة: تمكُّن العارف؛ وهو أن يحصل في الحضرة فوق حجب الطلب لابساً نور الوجود.

وهنا تمَّ قسم الولايات

كشفٍ) وهو فوق لمع الشهود، فالمريد يشاهد ولا يعلم حقيقته، والسالك يكشف ما يشاهد، فالمكاشفة فوق المشاهدة، إلا مشاهدة الذات، **(وصفاءُ حالٍ)** عن أكدار الالتفات إلى الاعتداد بالعلم والعمل.

(والدرجة الثالثة: تمكُّن العارف؛ وهو أن يحصل في الحضرة) أي في حضرة الجمع **(فوق حجب الطلب)** يعني الطلب يكون من قبل حضرة الجمع، ولا يكون إلا مع الحجب، ولولا الحجب لما كان الطلب، والحجاب رؤية الأغيار، **(لابساً نور الوجود)** أي يلبس لباس صفات الحق، فبه يسمع وبه يبصر، أو: الحق به يسمع ويبصر، وهذا أعلى.

قسم الحقائق

وأما قسم الحقائق فهو عشرة أبواب، وهي: المكاشفةُ، والمشاهدةُ، والمعاينةُ، والحياةُ، والقبضُ، والبسطُ، والسُكرُ، والصحوُ، والاتِّصالُ، والانفصالُ.

[81 ـ] باب المكاشفة

قال تعالى: ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النّجْم: الآية 10].

المكاشفةُ: مهاداةُ السرِّ بين متباطنين وهي في هذا الباب بلوغ ما وراء الحجاب وجوداً.

وهو ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: مكاشفةٌ تدلُّ على التحقيق الصحيح وهي مطالعة تجليات

([82 ـ] باب المكاشفة)

(**قال الله تعالى:** ﴿فَأَوْحَىٰٓ إِلَىٰ عَبْدِهِۦ مَآ أَوْحَىٰ ﴿١٠﴾﴾ [النّجْم: الآية 10]).

الوحي إشارة خفية والمكاشفة إفادة أحد المتباطنين الآخر بسره ولا يكون إلا بإشارة خفية، فالوحي والمكاشفة بالسر واحد في المعنى.

(**المكاشفةُ: مهاداةُ السرِّ بين متباطنين**) المهادات التمايل والتثني، والمتباطنان اللذان يلاقي باطن كل منهما باطن الآخر، والمهاداة هنا كناية عن سريان السر بينهما (**وهي في هذا الباب**) أي باب الحقائق والرجوع من الجمع إلى الفرق الذي هو التدلي واحترز به من المكاشفة الصورية، كالإخبار بقدوم غائب، أو بما وراء الجدار، وتلك المكاشفة ليست في طريق الله بل قاطعة عنه، ولذلك لم تختص بها ملَّة دون أخرى، (**بلوغ ما وراء الحجاب**) أي حجاب العلم والمعرفة، (**وجوداً**) احتراز من إدراك ذلك سماعاً، والوجود هو المشاهدة وفوقها.

(**وهو ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: مكاشفةٌ تدلُّ على التحقيق الصحيح وهي مطالعة تجليات

الأسماء الإلٰهية ـ وهي أن تكون مستديمة ـ فإن كانت حيناً دون حين، ولم يعارضها تفرُّق غير أن الغين ربما شاب مقامه على أنه قد بلغ مبلغاً لا يلفته قاطعٌ، ولا يلويه سببٌ، ولا يقطعه حظٌّ. وهي درجةُ القاصد، فإذا استدامت فهي الدرجة الثانية.

وأما الدرجة الثالثة: فمكاشفةُ عين لا مكاشفة علم ولا مكاشفة حال، وهي مكاشفةٌ لا تذرُ سمة تُشير إلى التذاذ، أو تلجىء إلى توقُّف، أو تنزل على رسم؛ وغاية هذه المكاشفة المشاهدة.

الأسماء الإلٰهية ـ وهي أن تكون مستديمة ـ فإن كانت حيناً دون حين، ولم يعارضها تفرُّق) فهي الدرجة الأولى، التي هي درجة القاصد، **(غير أن الغين)** وهو دون الغيم **(ربما شاب)** أي مازج **(مقامه)** أي مقام هذا المكاشف، **(على أنه قد بلغ مبلغاً)** أي مقاماً **(لا يلفته)** عنه **(قاطعٌ، ولا يلويه)** أي يصدّه **(سببٌ، ولا يقطعه حظٌّ. وهي درجةُ القاصد، فإذا استدامت فهي الدرجة الثانية)**؛ فلا يحتاج لذكرها لأنها تفهم من الأولى بتصورها ويضاف لذلك دوامها، فتكون هي الثانية.

(وأما الدرجة الثالثة: فمكاشفةُ عين) أي تتعلق بعين الحقيقة، **(لا مكاشفة علم)** وهي المتعلقة بأمثلة في الذّهن دالَّة على صور ما كُوشِفَ به، **(ولا مكاشفة حال)** أي لا يجد من نفسه بالواردات والتنزلات بها رفع حجاب العلم، **(وهي مكاشفةٌ لا تذرُ)** أي تترك **(سمة تُشير إلى التذاذ)** أي تمحو رسوم المكاشف، فلا يبقى منه ما يحس بلذة الأحوال، **(أو تلجىء إلى توقُّف)** عن السلوك، فلا تغير سمة ولا بقية، وهذه المكاشفة **(أو* تنزل على رسم؛ وغاية هذه المكاشفة)** ونهايتها هو مقام **(المشاهدة)**.

[82 ـ] باب المشاهدة

قال الله عزَّ وجلَّ: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: الآية 37].

المشاهدةُ: سقوطُ الحجاب بتّاً، وهي فوق المكاشفة؛ لأن المكاشفة ولايةُ النعت، وفيها شيءٌ من بقاء الرسم، والمشاهدة ولاية العين والذات.

([83 ـ] باب المشاهدة)

(**قال الله عزَّ وجلَّ**: ﴿إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَذِكْرَىٰ لِمَن كَانَ لَهُۥ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى ٱلسَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ ﴿٣٧﴾﴾ [ق: الآية 37]).

الاستشهاد في قوله: ﴿وَهُوَ شَهِيدٌ﴾ فإن الشهيد يأتي بمعنى الشاهد.

(**المشاهدةُ: سقوطُ الحجاب بتًّا**) أي هي عند سقوط الحجاب بالكلية، وليست هي نفس سقوط الحجاب، لكنه عبَّر بالشيء عن لازمه للزوم سقوط الحجاب للمشاهدة (**وهي فوق المكاشفة؛ لأن المكاشفة ولايةُ النعت**) أي تتعلق بالصفات الإلٰهي.

واعلم أن المكاشفة متعلقها المعاني، والمشاهدة متعلقها الذوات، والمكاشفة أتم، إذ ما من شيء يشهده إلا وله حكم زائد على ما وقع عليه الشهود، لا يدرك إلا بالكشف، فالمشاهدة طريق إلى اليقين، والكشف غاية ذلك الطريق، (**وفيها شيءٌ من بقاء الرسم**) أي في المكاشفة في الدرجة الأولى، وأما في الثانية فقد حَكَمَ بأنها لا تدل على رسم، (**والمشاهدة ولاية العين والذات**) أي فوق ولاية المكاشفة، لأن تلك ولاية الصفات.

قال الشارح: وأقول: قد تقدم في كلامه ما يدل على أن المشاهدة قد

وهي على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: مشاهدةُ معرفة تجري فوقَ حدود العلم في لوائح نور الوجود مُنِيخَةً بفناء الجمع.

والدرجة الثانية: مشاهدةُ معاينة تقطع حبالَ الشواهد، وتُلبس نعوتَ القدس وتُخرس ألسِنَةَ الإشارات.

تطلق على الصفات، لكنه ربما رأى أن المشاهدات بالقصد الأول للذات بالحقيقة؛ وإطلاقها على الصفات بطريق المجاز. اهـ.

(**وهي على ثلاث درجات: الدرجة الأولى: مشاهدةُ معرفة**) وهي أن ينتقل العمل بالعلم إلى العمل بالمعرفة (**تجري فوقَ حدود العلم**) فإن المعرفة فوق العلم لأن العلم إنما يكون مع غيبة المعلوم والمعرفة لا تكون إلا من بوارق نور الوجود (**في لوائح نور الوجود**) أي مشاهدة المعرفة هي في بوارق تلوح من نور الوجود (**مُنِيخَةً**) تلك المشاهدة (**بفناء الجمع**) أي بعرصته فإنها بتواتر اللوائح تعتبر مستقرة، مَثَّلَ المشاهِد بالمسافر، والمشاهدة بناقته التي يسافر عليها، وشبَّه حضرة الجمع بالدار، «وقد أناخ المشاهد ناقته بفِنائها» إشارة إلى إشرافه على حضرة الجمع.

(**والدرجة الثانية: مشاهدةُ معاينة**) تقع في العين، والشواهد هي التي تجذب العبد إلى الحضرة، فكأنها حبال تجذبه إلى مطلوبه، وذا لا يكون إلا إذا كان بعيداً، أما لو عاين محبوبه فلا يحتاج لتلك الحبال، فإذن المعاينة (**تقطع حبالَ الشواهد، وتُلبس نعوتَ القدس**) أي توصف بصفات مُطهِّرة من الغيرية، وذلك أن الحق يُلبِسه من صفاته ما شاء كما يشاء، وذلك هو التحقق بالأسماء الحسنى، وهي خلع من الحقِّ، لأنها أسماؤه تعالى ألبسها عبده جوداً وهبة، كما يلبس الشيطان خلعة لخاصته، وعلى الخلع رقوم دالة على أنها في الأصل للسلطان لا له، (**وتُخرس ألسِنَةَ الإشارات**) أي الإشارات كالألسنة الناطقة عن المعاني، فإذا وصل العبد إلى مشاهدة المعاينة عاد نطق الإشارة خرساً، إذ لا يفيد معنى، لأن الإشارة تدل على مشير ومشار إليه وإشارة، والمعاينة لا تكون فيها الثلاث.

والدرجة الثالثة: مشاهدةُ جمع تجذب إلى عين الجمع مالكةً لصحَّة الورود راكبةً بحرَ الوجود.

(والدرجة الثالثة: مشاهدةُ جمع) أي مشاهدة الذات التي تستغرق الأسماء والصفات، **(تجذب إلى عين الجمع)** أي تجذب وجود العبد إلى حضرة الغيب؛ بأن يحل الحق عقد خلقيته بيد حقيَّتِه، فيرجع النور المفاض إلى أصله، ويرجع العبد إلى عدميَّته، فيبقى الوجود للحق، والفناء للخلق، ويقيم الحق وصفاً من صفاته نائباً عنه في استجلاء ذاته، فيكون الحقُّ هو المشاهد ذاته بذاته، في طور من أطوار ظهوره، وهي مرتبة عبده، فإذا أثبت الحقّ عبده بعد نفيه ومحوه وأفناه بعد فنائه، فعاد كما يعود السكران إلى صحوه، وجد في ذاته أسرار ربه تعالى، وعلوم صفاته، وحقائق ذاته، ومعالم وجوده، ومطارح أشعة نوره، وأذواق حِكَمه، **(مالكةً لصحَّة الورود)** أي تلك الإشارة تكون مالكة لصحة الورود، أي تشهد لنفسها بصحة ورودها إلى حضرة الجمع، أي لا يبقى عندها احتمال شك في ذلك، بخلاف الشواهد التي في الأوليين، وعبر بقوله: «مالكة» عن التمكُّن أي وقت شاءت، وردت **(راكبةً بحرَ الوجود)** أي كائنة في بحر الوحدة لا في أنواره، ولا في بوارق أنواره.

[83 ـ] باب المعاينة

قال الله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفُرقان: الآية 45].

المعاينات ثلاث: أحدها: معاينة الأبصار.

والثانية: معاينة عين القلب وهي معرفةُ الشيء على نعته علماً يقطع الريبة ولا يشوبه حيرةٌ، وهذه معاينةٌ بشواهد العلم.

([84 ـ] باب المعاينة)

(**قال الله تعالى:** ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَىٰ رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ ٱلظِّلَّ﴾ [الفُرقان: الآية 45]).

وجه الاستشهاد إيقاع الروية على الحق في كيفية مد الظل لأن إدخاله الهمزة الإنكارية على نفي الروية تقرير إثباتها ومد الظل بسط الوجود على الأشياء، والظل هو الوجود الإضافي المنبسط على الأعيان باسم النور والوجود عين الحق.

(**المعاينات ثلاث: أحدها: معاينة الأبصار**) وليست بنفس العين، بل بالمعنى الذي يخلقه الحق فيها فتدركه به، نعم عين الرأس تدرك الألوان والحركة، والقلب يدرك العلوم والصفات، والروح يدرك الابتهاج بالصفات، وينجذب إلى حضرة الذات.

(**والثانية: معاينة عين القلب**) أي العقل المستنير بنور الشرع من غير كشف، وهي معاينة أهل القلوب المنوَّرة بآثار العمل الصالح، فمن تَنوَّر قلبه عاين حقائق العلم، (**وهي معرفةُ الشيء على نعته**) أي على وصفه الذي هو به موصوف في نفس الأمر، يعني على حقيقته المعلومة؛ (**علماً يقطع الريبة**) أي ينفي الشك (**ولا يشوبه حيرةٌ**) لجلاء عيانه؛ (**وهذه معاينةٌ بشواهد العلم**) أي

والثالثة: معاينةُ عين الروح، وهي التي تعاين الحقَّ عياناً محضاً، والأرواح إنما ظهرت وأُكرمت بالبقاء لتعاين سناءَ الحضرة، وتشاهد بهاء العزَّة، وتجذب القلوب إلى فِناء الحضرةِ.

بشواهد علم العقل والنقل، فإنهما مادة العلم الصحيح.

(**والثالثة: معاينةُ عين الروح، وهي التي تعاين الحقَّ**) أي ضد الباطل، إذ لا يعاين الحقّ إلا بالحقِّ (**عياناً محضاً، والأرواح إنما ظهرت وأُكرمت بالبقاء**) أي إنما جُرِّدت (**لتعاين سناءَ الحضرة**)، والروح من سناء الحضرة، فيجوز أن تراه، (**وتشاهد بهاء العزَّة**) وهو نور التوحيد، فإن العزة الوحدانية، و«العز» الامتناع، وامتناع الحق بالوحدانية، لأن ظهورها يفني ما سواها، فيمتنع الحق بذلك عن إدراك خلقه إيَّاه، (**وتجذب القلوب إلى فِناء الحضرةِ**)ـ بكسر الفاء ـ أي جانبها؛ لأن الفناء ـ بالفتح ـ لا يجذب إليه إلا نور الحق، والروح من جملة ما يَفنَى به، فكيف تجذب القلب إليه.

[84 ـ] باب الحياة

قال الله تعالى: ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾ [الأنعام: الآية 122].

اسمُ الحياةِ في هذا الباب يُشار به إلى ثلاثة أشياء:

الحياةُ الأولى: حياةُ العِلم من موت الجهل لها ثلاثة أنفاس: نفَسُ الخوف ونفَسُ الرجاء ونفَسُ المحبة.

والحياة الثانية: حياة الجمع من موت التفرقة، ولها ثلاثة.........

([85 ـ] باب الحياة

(**قال الله تعالى:** ﴿أَوَ مَن كَانَ مَيْتًا فَأَحْيَيْنَـٰهُ﴾ [الأنعام: الآية 122]).

(**اسمُ الحياةِ في هذا الباب يُشار به إلى ثلاثة أشياء:**

الحياةُ الأولى: حياةُ العِلم من موت الجهل) شَبَّه مَنْ لا يعلم بالميت، والعلم بالحياة المزيلة لذلك الموت، وذلك لأن الحركة دليل الحياة، والحركة المقيدة هنا حركة العمل الصالح، ولا تكون إلا بالعلم، فالحياة موقوفة عليه، و(**لها ثلاثة أنفاس: نفَسُ الخوف)** وهو العلم المتعلق بالوعيد من أنواع العذاب والطرد والهجر (**ونفَسُ الرجاء)** وهو العلم بالوعد بالنعيم وأنواع الثواب (**ونفَسُ المحبة)** وهو العلم بالآيات والأخبار الواردة في المحبة. وهذه الثلاثة في الدرجة الأولى من الحياة المختصة بالعلم.

(**والحياة الثانية: حياة الجمع)** أي جمع الخواطر في التوجُّه إلى الله، (**من موت التفرقة)** سَمَّى «الجمع» «حياة» لأنه يؤدي إلى الحياة الأبدية، وسمَّى «التفرقة» «موتاً» لأن الإعراض عن الله يؤدي إلى موت القلب، (**ولها ثلاثة**

أنفاس: نفَس الاضطرار ونفَس الافتقار ونفس الافتخار.

والحياة الثالثة: حياةُ الوجود وهي حياةٌ بالحقِّ، ولها ثلاثة أنفاس: نفَس الهيبة وهو يميت الاعتلال، ونفس الوجود وهو يمنع الانفصال، ونفس الانفراد

أنفاس: نفَس الاضطرار) وهو في أوائل السلوك عند الانقطاع عن كل ما سوى الله.

(**ونفَس الافتقار)** وهو في وسط السلوك فوق نفس الاضطرار، فكل ضرورة تلجيء العبد إلى الله وحده، على اختلاف ضروبها، فمن علوم نفَس الاضطرار وعلومه كلها أحد أنواع حياة الجمع، ونفس الافتقار فوق الاضطرار، إذ الاضطرار يقطع عن الخلق، والافتقار يعلق بالحقِّ، فهو وسط السلوك، فجميع علوم التعلق بالحقِّ بصفة العبودية، التي يبرأ العبد فيها من الحول والقوة ودعوى الملك في شيء من نفس الافتقار، وهو أحد أنواع حياة الجمع.

(**ونفس الافتخار)** وهو شهود التجليات الجزئية، وهو التحقق بالأسماء الإلٰهية، وذلك هو الموجب للافتقار، لأن خِلَع الحق على عبده افتخار له، والمراد بالافتخار: شرف المنزلة بالتحقق بأسماء سيده، لا أن العبد يفتخر بذلك.

(**والحياة الثالثة: حياةُ الوجود)** وهو التحقق بالقيومية، أي لا يجد شيئاً من الأشياء إلا وهو قائم بالله، ولذلك قال: (**وهي حياةٌ بالحقِّ)** ﴿وَمَا خَلَقْنَا ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَآ إِلَّا بِٱلْحَقِّ﴾ [الحِجر: الآية 85].

(**ولها ثلاثة أنفاس: نفَس الهيبة)** أي سطوة نور المشاهدة، وهي عند أول ما تسطع أنوار الوجود، فيقع العبد في زعر يستغرق حسه عن الالتفات إلى غير الحق تعالى، (**وهو يميت الاعتلال)** وهو شهوده عوالم نفسه، (**ونفس الوجود)** وهو شهود استيلاء نور الوجود على ظلمة الموجود، فيخيل الأشياء بصفته، ﴿وَٱللَّهُ غَالِبٌ عَلَىٰٓ أَمْرِهِۦ﴾ [يُوسُف: الآية 21]، (**وهو يمنع الانفصال)** لأن العبد يشاهد الموجودات مستغرقة في نور موجدها، فلا يرى ثَمَّ انفصال (**ونفس الانفراد)** وهو

وهو يورث الاتصال.

شهود الفردانية، لأن العبد يشهد عود الفروع إلى أصولها، فيشهد انفراد الحق بالوجود الحقيقي، ويشهد الوجود المجازي شعبة منبسطة عن الوجود الحقيقي فلا يرى سواه، وذلك قوله: **(وهو يورث الاتصال)** بناءاً على اعتبار العقل وتخيل الحس لأن سواد الظل عدم النور وليس إلا اتصال بين العدم والوجود فلا وجود ولا موجود بالحقيقة إلا هو **(وليس وراء ذلك مَلحَظ للنظارة، ولا طاقة للإشارة)** أي ليس فوقه مقام تنظر إليه عين النظارة، سواء كان النظر بالعين أم بالقلب أم بالروح، إذ تلك الحضرة لا تقتضي الثنوية، لفناء السوى في العين.

[85 ـ] باب القبض

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرقان: الآية 46].

القبضُ في هذا الباب اسمٌ يُشار به إلى مقام الضنائن الذين ادَّخرهم الحقُّ اصطناعاً لنفسه.

وهم ثلاث فرق: فرقةٌ قبَضَهم إليه قبض التوفِّي، فضنّ على العالمين، وفرقة قبضهم بسَترهم في لباس التلبيس، ....

([86 ـ] باب القبض)

(**قال الله تعالى:** ﴿ثُمَّ قَبَضْنَٰهُ إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا ﴿٤٦﴾﴾ [الفرُقان: الآية 46]).

(**القبضُ في هذا الباب**) قيد به لأن القبض يستعمل في المعاملات والمقامات القلبية بمعنى الوارد الذي يرجعه انقباض السالك عند فقد وارد البسط و[القبض] (**اسمٌ يُشار به إلى مقام الضنائن**) جمع «ضنينة» وهي: الحاجة التي يُبخَل بها، فإنّه ضنّ: بمعنى فعل البخل، وإن لم يكن بخلاً ليدخر ذلك لنفسه (**الذين ادَّخرهم الحقُّ**) أي حال بينهم وبين التعلُّق بالخلق، (**اصطناعاً لنفسه**) لتصرفهم إليه، كما يفعل بالذخائر، وهذا على الاستعارة.

(**وهم ثلاث فرق: فرقةٌ قبَضَهم**) الحق (**إليه قبض التوفِّي**) أي قبض يشبه قبض التوفّي، وهم الذين لا يخالطون الناس، (**فضنّ**) بهم ووقاهم شرور الاجتماع بالناس، فكأنه بخل بهم (**على العالمين**) وليس ذلك بخلاً، لأن الجوَّاد لا يصدق عليه اسم «الضنة»؛ لكن صورته صورتها.

(**وفرقة قبضهم بسَترهم في لباس التلبيس**) أي قبضهم عن إدراك الخلق لا عن عيونهم، فهم معهم لكن حالهم مُلبَّس عليهم، والتلبيس التشكيك، وشُبِّه

وأسبَلَ عليهم أكلَّةَ الرسوم، فأخفاهم عن أعين العالم.

وفرقةٌ قبضَهم منهم إليه، فصافاهم مصافاة سرّ، فضَنَّ بهم عليهم.

باللباس الذي يستر الجسد عن العين، **(وأسبَلَ عليهم أكلَّةَ الرسوم)** أي أجرى عليهم أحكام العوام، يلبسون ويأكلون مثلهم، والأكلة جمع كِلَّة وهي الستر الرقيق **(فأخفاهم عن أعين العالم)** أي سترهم بمشاركتهم إياهم في أحوالهم وعاداتهم ومراسمهم فلا يعرفون بالولاية.

(وفرقةٌ قبضَهم منهم إليه) أي سترهم عنهم، وقبض قلوبهم عن النظر لأحوالهم، فهم أسراء الحق، فلا قدر عندهم لما نالوه؛ **(فصافاهم مصافاة سرّ)** أي لم يظهر عليهم في ظاهرهم سلطان الحال، ولا تأثيرات الجمال والجلال، لقوة استعداد الكمال؛ **(فضَنَّ بهم عليهم)** أي أخذهم بالفناء عن رسومهم، وأثبتهم به له منه، فهم فيه غائبون عن نفوسهم، وهو مقام الفناء في الوحدانية.

[86 ـ] باب البسط

قال الله تعالى: ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ﴾ [الشّورى: الآية 11].

البسط: أن يرسل شواهد العبد في مدارج العلم، ويسبل على باطنه برداء الاختصاص، وهم أهل التلبيس، وإنما بسطوا في ميدان البسط لأحد ثلاثة معان لكل معنى طائفة:

فطائفة بُسطت رحمةً للخلق، يباسطونهم ويلابسونهم، فيستضيئون بنورهم

([87 ـ] باب البسط)

(**قال الله تعالى:** ﴿يَذْرَؤُكُمْ فِيهِۚ﴾ [الشّورى: الآية 11]).

وجه الاستشهاد الاستدلال بالآية بسط الخلق في الصورة وانتظام أحوال معاشهم وصلاح حالهم في الدنيا بالتدبير الإلٰهي على بسطهم في المعنى ونشر كلامهم وانتظام أمور معادهم وصلاح حالهم في الآخرة بتدبيره.

(**البسط: أن يرسل شواهد العبد في مدارج العلم**) يعني يستهل العبد في ظاهره بمقتضى العلم والعبادة، ولم يحتجب باطنه عن المراقبة والرعاية، أو عن حق المعرفة (**ويسبل**) أي يستر (**على باطنه برداء الاختصاص**) أي يكون باطنه باطن الخواص وظاهره ظاهر العوام، (**وهم أهل التلبيس**) المذكورون في باب القبض، وهم الفرقة الثانية. (**وإنما بسطوا**) أي بسطهم الحق ولم يتعمدوا هم البسط في أنفسهم (**في ميدان البسط**) أي معانيه المختلفة، فالميدان عبارة عن كثرة التصرف، والجولان في معاني التظرُّف (**لأحد ثلاثة معان**) من البسط منحصراً في الثلاثة (**لكل معنى طائفة:**

فطائفة بُسطت رحمةً للخلق، يباسطونهم ويلابسونهم، فيستضيئون بنورهم)

والحقائق مجموعة والسرائر مصونة، وطائفةٌ بُسطت لقوَّة معانيهم وتصميم مناظرهم لأنهم طائفة لا يخالج الشواهدُ مشهودَهم، ولا تصرف رياح الرسوم موجودَهم، فهم منبسطون في قبضة القبض، وطائفة بُسطت أعلاماً على الطريق، وأئمَّة الهدى، ومصابيح للسالكين.

فانبسطوا، **(والحقائق)** التي هي عالم سرائرهم **(مجموعة)** في بواطنهم، لم يتفرق بالانبساط الذي اشتغل به ظاهرهم، **(والسرائر مصونة)** أي لم يكشفوها للعوام، وإن خالطوهم لأجل البسط.

(وطائفةٌ بُسطت لقوَّة معانيهم) أي لقوة إدراك معانيهم، أو لقوة ظهور معانيهم لبواطنهم، والقصد: أنه لا يقدر البسط أن يحجبهم عن معاينة مطلوبهم، فأبيح لهم البسط لعدم تأثيره فيهم، **(وتصميم مناظرهم)** أي شدة توجهها إلى مشهودها، فلم يحجبها البسط عنه **(لأنهم طائفة لا يخالج الشواهدُ مشهودَهم)** أي لا يخالط مشاهدتهم لمشهودهم شواهد من غيره، **(ولا تصرف رياح الرسوم موجودَهم)** أي بَسطَهم الحق لكون رياح الرسوم ـ وهي صورة الخلق ـ لا تصرف موجودهم، وهو شهودهم للحق تعالى **(فهم منبسطون في قبضة القبض)** أي هم حال انبساطهم غير محجوبين عن معاني القبض، فالعارف مقبوض في حال بسطه، ولا يصح كونه مقبوضاً بغير بسط ولا عكس، وجَعْل القبض قبضة إشارةً إلى أن القبض عالم حصر، فأشبه الكف.

(وطائفة بُسطت) أي بسطهم الحق **(أعلاماً على الطريق، وأئمَّة الهدى، ومصابيح للسالكين)** وهم الأنبياء، ثم المشايخ رضوان الله عليهم. بسطوا ليأنس بهم الخلق وهو بدعوتهم إلى الحق ويعرفونهم طريق السلوك فكأنهم أعلام على الطريق يعرفونها بهم ويسلكون بهم، ويهدونهم إلى الحق فهم أئمة الهدى يقتدون بهم فيهتدون بهداهم ومصابيح للسالكين لتوضيح الطريق بهم وتبصيرهم المطلوب شبهوا بالمصابيح لإضاءتهم الطريق.

[87 ـ] باب السُكر

قال الله تعالى حاكياً عن كليمه عليه السلام: ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعرَاف: الآية 143].

السُكْر: اسم يشار به إلى سقوط التَّمالك في الطرب، وهذا من مقامات المحبِّين خاصة، فإنَّ عيون الفناء لا تقبله، ومنازل العلم لا تبلغه.

([88 ـ] باب السُكر)

(**قال الله تعالى حاكياً عن كليمه عليه السلام:** ﴿قَالَ رَبِّ أَرِنِيٓ أَنظُرۡ إِلَيۡكَۚ﴾ [الأعرَاف: الآية 143]).

دلالته على السكر أن موسى كان نبيّاً عارفاً للحق عالماً بعلم التوحيد، وبأن شهود الحق لا يمكن مع بقاء الأنانية فلولا سكر الحال ما سأل الرؤية مع بقاء الإنية.

(**السُكْر: اسم يشار به إلى سقوط التَّمالك في الطرب**) أي عدم الصبر عنه، (**وهذا من مقامات المحبِّين خاصة**)؛ لأن المحبة آخر محل يلتقي فيه مقدمة العامة ـ وهو طور العلم ـ بساقة الخاصة ـ وهو طور الشهود ـ والبرزخ الحائل بينهما، هو مقام المحبة فاختص به السُكر (**فإنَّ عيون الفناء**) أي حقائق الفناء (**لا تقبله**)؛ لأن السكر سقوط التمالك من الطرب، والفناء يفني معاني كل شيء فيفنى الطرب أيضاً، فالسكر ليس من أوصاف الواصلين، (**ومنازل العلم لا تبلغه**) أي هو صفة تعرض لمن هو فوق مقام العلم، ودون مقام أهل الشهود؛ فما فوقه ـ وهو الشهود ـ لا يقبله، وما تحته ـ وهو العلم ـ لا يبلغه.

وللسكر ثلاث علامات: الضيقُ عن الاشتغال بالخبر والتعظيمُ قائمٌ، واقتحامُ لُجَّة الشوق والتمكين دائم، والغرق في بحر السرور والصبرُ هائمٌ، وما عدا هذا فحيرةٌ تنتحل اسمَ السُكر جهلاً، أو هيمان يسمَّى باسمه جوراً؛ وما سوى ذلك فكلُّه يناقض البصائر.

(**وللسكر ثلاث علامات: الضيقُ عن الاشتغال بالخبر**) أي المحب يشغله شدة وجده بالمحبوب، وحضور قلبه معه عن سماع الخبر عنه؛ لأن ذكر الجفاء وقت الصفاء جفاء، (**والتعظيمُ قائمٌ**) أي يكره الاشتغال بالخبر، لما فيه من البعد بينه وبين محبوبه، مع أنه معظِّم للخبر والمخبر، فإعراضه عن الخبر إعراض مُقْبِل مُعظِّم، لا مبغض منكر.

(**واقتحامُ لُجَّة الشوق**) أي الدخول في بحره، (**والتمكين**) أي الورع، والعمل بالعلم (**دائم**) كغلبة الشوق (**والغرق في بحر السرور**) فكما لا يفارق الماء الغريق، فالمحب لا يفارقه السرور، (**والصبرُ هائمٌ**) أي يكون صبره مفقوداً، و«الهيمان» هو التشتُّت والحيرة.

(**وما عدا هذا**) أي ما ذُكِر من المعاني الثلاثة (**فحيرةٌ تنتحل اسمَ السُكر جهلاً**) كسُكر الحرص، وسُكر الجهل، وسُكر الشهوة، (**أو هيمان يسمَّى باسمه جوراً؛ وما سوى ذلك فكلُّه يناقض البصائر**)؛ فالحيرة والهيمان وإن كانا من المحبة لكن لا ينبغي تسميتهما «سكراً».

[88 ـ] باب الصحو

قــال الله تــعــالــى: ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [سَبَإ: الآية 23].

الصحو فوق السكر وهو يناسب مقام البسط، فالصحو مقام صاعد عن الانتظار مغنٍ عن الطالب، طاهرٌ من الحرَج، فإنَّ السكر إنما هو في الحقّ، والصحو إنما هو بالحقِّ، وكلّ ما كان في عين الحقِّ لم يخل من حيرة ـ لا حيرة

([89 ـ] باب الصحو)

(**قــال الله تــعــالــى:** ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا فُزِّعَ عَن قُلُوبِهِمۡ قَالُواْ مَاذَا قَالَ رَبُّكُمۡۖ قَالُواْ ٱلۡحَقَّۖ﴾ [سَبَإ: الآية 23]).

يعني إذا نزع حيرة السكر عن قلوبهم أي أرسل عنها لأن المراد بإزالة الفزع الأكثر صدمة الشهود المحير المفزع لغلبة الشهود على المعلم في نهاية مقام المحبة المقتضية للسكر.

(**الصحو فوق السكر**)؛ لأن السكر في الانفصال، والصحو في الاتصال، فيكون فوقه، (**وهو يناسب مقام البسط**)؛ لأن الصحو شبيه بالسلوِّ الذي يعطي الفراغ، والفراغ يناسب الانبساط، فإنه شغل من لا شغل له.

(**فالصحو**) يعطي الفراغ من أحكام السكر، والسكر (**مقام صاعد عن الانتظار**) لأن صاحبه اتصل، فلا ينتظر (**مغنٍ عن الطالب، طاهرٌ من الحرَج**) فلا طلب، ولا حرج عليه (**فإنَّ السكر إنما هو في الحقِّ**) أي في محبة الحق، والمحبة من عالم الغيرية، (**والصحو إنما هو بالحقِّ**) أي بوجود الحق، فهو في عالم الوصلة (**وكلّ ما كان في عين الحقِّ لم يخل من حيرة ـ لا حيرة**

الشبهة، بل حيرة في مشاهدة نور العزَّةِ ـ وما كان بالحقِّ لم يخلُ من صحَّة، ولم يخف عليه من نقيصة، ولم يتعاوره علّةٌ، والصحو من منازلِ الحياة وأوديةِ الجمعِ ولوائح الوجود.

الشبهة، بل حيرة في مشاهدة نور العزَّةِ ـ) وهو استشراف المحب على بوارق المحبوب من وراء أستار الغيوب، على أن تلك مطالعة وهمية في ملابس كشفية، لا يريد به أنوار العزة التي تطالع من مقام حضرة الجمع، لأنه لا تقبله عيون الفناء، ولا تبلغه منازل العلم كما تقدم، ونور العزة أعلى من مقام المعارف الصادرة عن التجليات الأسمائية، فهي ليست حيرة شبهة بل حيرة تنوع الأنوار، ولا حيرة من ضل عن سبل المقصود بل حيرة في مشاهدة نور المعبود، (**وما كان بالحقِّ لم يخلُ من صحَّة**) أي من صحة وصلة فيه، (**ولم يخف عليه**) أي على من يكون بالحق (**من نقيصة**) وهو مقام «فبي» يبصر. ومن يتصرف بالحق لم يتصرف في نقيصة (**ولم يتعاوره علّةٌ**) أي لم تتخالف إليه العلل، وهي ملاحظة الأغيار.

(**والصحو من منازلِ الحياة**)؛ مناسبته للحياة أنَّ الحياة بالحق، والصحو بالحق، (**وأوديةِ الجمعِ**) وهي التي ترمي على الجمع كما ترمي الأودية مياهها على البحار، (**ولوائح الوجود**) جمع «لائحة» وهي ما يلوح كالبرق.

[89 ـ] باب الاتصال

قال الله تعالى: ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النّجْم: الآيتان 8، 9].

أيأسَ العقول، فقطَع البحثَ بقوله: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾.

وللاتّصال ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: اتّصال الاعتصام، ثم اتصال الشهود، ثم اتصال الوجود.

فاتصالُ الاعتصام: تصحيحُ القصد، ثمَّ تصفية الإرادة ثمَّ تحقيق الحال.

([90 ـ] باب الاتصال)

هو ملاحظة الوجود عينه متصلاً بالوجود بقطع النظر من تعبير وجوده.

(**قال الله تعالى:** ﴿ثُمَّ دَنَا فَتَدَلَّىٰ ۝٨ فَكَانَ قَابَ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَىٰ ۝٩﴾ [النّجْم: الآيتان 8، 9]).

(**أيأسَ العقول، فقطَع البحثَ بقوله:** ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾ أي أيأسها من جهة أنها لا تقدر تثبت بالفكر على إثبات الاتصال المفهوم من قوله: ﴿أَوْ أَدْنَىٰ﴾، وإنما تُثبت ذلك الأرواحُ بالحق لا بأنفسها.

(**وللاتّصال ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: اتّصال الاعتصام، ثم اتصال الشهود، ثم اتصال الوجود) وتقدمت الثلاثة في أبوابها.

(**فاتصالُ الاعتصام: تصحيحُ القصد، ثمَّ تصفية الإرادة**) وقد تقدما (**ثمَّ تحقيق الحال**) وهو أن يكون التأثير بالأحوال من تأثيرات التجلي لا من سكر المحبة.

والدرجة الثانية: اتصال الشهود؛ وهو الخلاص من الاعتلال والغنى عن الاستدلال، بسقوط شتات الأسرار.

والدرجة الثالثة: اتصالُ الوجود؛ وهذا الاتصالُ لا يُدرَك منه نعتٌ ولا مقدارٌ إلا اسم معار، ولمح إليه مُشار.

(**والدرجة الثانية: اتصال الشهود؛ وهو الخلاص من الاعتلال**)* أي في الرسوم وأحكامها، فإن العلة ليست إلا رسوماً (**والغنى عن الاستدلال، بسقوط شتات الأسرار**) بالترقي عن الحضرة الأسمائية فإن الأسرار معاني التجليات الأسمائية والصفات التي هي حقائق الأسماء مختلفة متضادة كالجمال والجلال فلهن أسرار وحكم وأحكام مختلفة، فتجليات الأسماء أسرار تسقط بالترقي عن الحضرة الأسمائية إلى حضرة الذات.

(**والدرجة الثالثة: اتصالُ الوجود؛ وهذا الاتصالُ لا يُدرَك منه نعتٌ ولا مقدارٌ**) اتصال الوجود هو: أن يفنى رسم الموجودات في الوجود الحق، «فيفنى من لم يكن، ويبقى من لم يزل»، فتذهب الثنوية، والنعت ثنوية، وهذا المقام الموصوف فيه عين الصفة أبداً ولا عكس، والمقدار يختص بالأجسام لكنه أخرج المقدار مخرج الموصوف، والنعت مخرج الصفة، وقد يريد بالمقدار الشرف والمنزلة، ومقصوده بقوله: (**إلا اسم معار، ولمح إليه مُشار**) أنَّ صاحب هذا الشهود يكون فانياً في الوجود، ونقطة في بحر الجود انحل تعينها، واضمحل تكوُّنها، ورجع عودها على بدئها.

---

* وفي نسخة [الاعتدال] بدل [الاعتلال].

[90 ـ] باب الانفصال

قال الله تعالى: ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: الآية 28].

وليس في المقامات شيءٌ فيه من التفاوتِ ما في الانفصال. ووجوهه ثلاثة:

أحدها: انفصالٌ هو شرط الاتصال، وهو الانفصال عن الكونين بانفصال نظرك إليهما، وانفصال توقُّفك عليهما، وانفصال مبالاتك بهما.

([91 ـ] باب الانفصال)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَيُحَذِّرُكُمُ ٱللَّهُ نَفۡسَهُۥ﴾ [آل عِمرَان: الآية 28]) في النظر إلى الغير وإثباته.

(**وليس في المقامات شيءٌ فيه من التفاوتِ ما في الانفصال**) يعني درجات كل مقام تتشارك في معنى وتتباين في معنى، ومقام الانفصال متفاوت الدرجات كأنها أمور متباينة الحقائق يطلق عليها اسم الانفصال بالاشتراك اللفظي لا المعنوي. (**ووجوهه ثلاثة:**

أحدها: انفصالٌ هو شرط الاتصال) يعني انفصال العبد عن رسومه بالفناء، وهو شرط اتصال وجوده بالبقاء، (**وهو الانفصال عن الكونين**) شهوداً، وهو الغرق في بحر الأزل، بأن يرتفع الحدث بطهارة القدم، (**بانفصال نظرك إليهما**) أي عدم تعلق باطنك بشيء منهما، فإذا انفصل التعلق انفصل النظر، وليس انفصال النظر عن الكونين نفس الانفصال ذاتاً، بل انفصال النظر طريق إلى الاتصال بالذات، (**وانفصال توقُّفك عليهما**) أي يقيدك بهما، والانفصال عن المقيَّد أيضاً طريق إلى الاتصال بالذات، (**وانفصال مبالاتك بهما**) أي لا يخاف ولا يحترز منهما.

والثاني: انفصالٌ عن رؤية الانفصال، وهو أن لا يتراءى عندك في شهود التحقيق شيئاً يوصل بالانفصال منه إلى شيءٌ.

والثالث: انفصالٌ عن الاتصال، وهو انفصالٌ عن شهود مزاحمة الاتصال عين السبق، فإن الانفصال والاتصال ـ على عِظم تفاوتهما في الاسم والرسم ـ سيان في العلة.

وهنا تمَّ قسم الحقائق

(**والثاني: انفصالٌ عن رؤية الانفصال**)؛ بأن يرى حال الشهود أنه انفصل عن الكونين، ثم اتصل بجناب العزَّة، وهذه الرؤية غير صحيحة، لكنه ما انفصل عن الكونين بل توهم ذلك، فإذا تبين له أنه لم ينفصل عنهما فقد انفصل عن الانفصال.

ثم شرع يبين كيف يتحقق أن الانفصال عن الكونين غير صحيح، فقال:

(**وهو أن لا يتراءى عندك**) أي أن لا يظهر لك شيء بطريق الانفصال (**في شهود التحقيق شيئاً يوصل بالانفصال منه إلى شيءٌ**) يعني يريك شهود التحقيق أنه ما انفصلت عن شيء، ولا اتصلت بشيء، ولا كان الانفصال عن شيء يوصل إلى الاتصال بآخر.

وحاصله: أن الانفصال إنما هو في نظر العبد لا في نفس الأمر.

(**والثالث: انفصالٌ عن الاتصال، وهو انفصالٌ عن شهود مزاحمة الاتصال عين السبق، فإن الانفصال والاتصال ـ على عِظم تفاوتهما في الاسم والرسم ـ سيان في العلة**) معنى الانفصال عن الاتصال: شهود الاتصال في الحقيقة لا وجود له، ولا يتصل بعين السبق شيء، لأن المتصل به ما زال متصلاً به فما تجدد شيء، لأن الاتصال تحصيل للحاصل، فالانفصال والاتصال مختلفان لفظاً ومعنى، ومع هذا فهما واحد في العلة أي كل واحد منهما علَّة تنزه عنها معنى السبق.

قسم النهايات

وأما قسم النهايات فهو عشرة أبواب، وهي: المعرفةُ، والفناءُ، والبقاءُ، والتحقيقُ، والتلبيسُ، والوجودُ، والتجريدُ، والتفريدُ، والجمعُ، والتوحيدُ.

وهي أمور ومقامات تحصل بعد السلوك والوصول بانتهاء السير إلى الله كما أن البدايات أمور تتقدم على السلوك عند الانتباه والقيام عن نوم الغفلة.

[91 ـ] باب المعرفة

قـال الله تـعـالـى: ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ [المَائدة: الآية 83].

المعرفةُ: إحاطةٌ بعين الشيء كما هو.

وهي على ثلاث درجات، والخلق فيها ثلاث فرق:

الدرجة الأولى: معرفة الصفات والنعوت، وقد وردت أساميها بالرسالة،

([92 ـ] باب المعرفة)

(**قـال الله تـعـالـى:** ﴿وَإِذَا سَمِعُواْ مَآ أُنزِلَ إِلَى ٱلرَّسُولِ تَرَىٰٓ أَعۡيُنَهُمۡ تَفِيضُ مِنَ ٱلدَّمۡعِ مِمَّا عَرَفُواْ مِنَ ٱلۡحَقِّۖ﴾ [المَائدة: الآية 83]).

الاستشهاد في قوله: ﴿عَرَفُواْ﴾ وهو ظاهر.

المعرفةُ: إحاطةٌ بعين الشيء كما هو) أي إدراك الشيء في ذاته وصفاته من الوجه الذي هو به هو، وذلك إدراك العرفان، والفرق بينه وبين العلم: أنه «تمثل صورة المعلوم في نفس العالم»، والمعرفة «وجود ذات المعروف نفسها في ذات العارف من جهة ما يتحد به العارف والمعروف»، ويلزم منه أنه لا يعرف الشيء إلا بما فيك منه، أو فيه منك.

(**وهي على ثلاث درجات، والخلق فيها ثلاث فرق:**

الدرجة الأولى: معرفة الصفات والنعوت) «النعت» و«الصفة» واحد، وقد يقال: الصفة باعتبار النظر إلى الموصوف، والنعت باعتبار النظر إلى الناعت، فإضافة النعت للفاعل لا للمفعول (**وقد وردت أساميها بالرسالة)** إشارة إلى أن إطلاقها على الله موقوف على إذن الشارع، فما أخبرنا به الرسول أطلقناه عليه

وظهرت شواهدها في الصنعة بتبصير النور القائم في السر، وطيبِ حياة العقل لزرع الفكر، وحياةُ القلب بحسن النظر بين التعظيم وحُسنِ الاعتبار، وهي معرفةُ العامَّة التي هي الفصل بين العامة والخاصة، التي لا تنعقد شرائط اليقين إلا بها.

وهي على ثلاثة أركان: أحدها: إثبات الصفة للحق باسمها من غير تشبيه، ونفي التشبيه عنها من غير تعطيلٍ، والإياسُ من إدراك كنهها وابتغاءِ تأويلها.

والدرجة الثانية: معرفة الذات مع إسقاط الفرق بين الصفات والذات،

وما لا فلا (**وظهرت شواهدها في الصنعة**) أي ظهر شاهد الاسم «الخالق» من وجود المخلوق، و«الرازق» من المرزوق، وهكذا فالموجودات شواهد صفات الحق تعالى (**بتبصير النور القائم**) أي النور الإلٰهي المودع (**في السر**) الإنسان، هو المبصر بشواهد صفات الحق (**وطيبِ حياة العقل لزرع الفكر**) أي السر زرع الفكر، فطيب به حياة العقل، وحياته بصفاء الإدراك، (**وحياةُ القلب بحسن النظر**) في الموجودات، (**بين التعظيم**) للموجد الحق (**وحُسنِ الاعتبار**) في ذلك النظر، والاعتبار أن يعتبر آثار صنعة الله في مصنوعاته، (**وهي معرفةُ العامَّة**) أي علماء الرسوم والعُبَّاد، وكل من هو دون المحبة (**التي هي الفصل بين العامة والخاصة التي لا تنعقد شرائط اليقين إلا بها**) أي لا ينعقد يقين الإسلام إلا بها.

(**وهي على ثلاثة أركان: أحدها:**) أي أحد الدرجات المختصة بمعرفة العامة (**إثبات الصفة للحق باسمها من غير تشبيه**) أي لا يسمى «اليد» قدرة، ولا «السمع» علماً، بل يثبت أنه «سميع»، ولا يشبه سمعه سمع الخلق، وكذا جميع الصفات، (**ونفي التشبيه عنها من غير تعطيلٍ**) أي من غير أن يبلغ ذلك إلى تعطيل صفات الخالق، (**والإياسُ من إدراك كنهها وابتغاءِ تأويلها**) فإن العقل الضعيف إذا بالغ في التنزيه عن التشبيه أداه إلى التعطيل.

(**والدرجة الثانية: معرفة الذات**) وتختص بأهل التجليات الجزئية؛ لأن القصد من الصفات هنا الصفات التي الأسماء الحسنى أسماؤها؛ فإذا شهدها في حقيقة الموصوف شهوداً يَهَبهُ الحق إيَّاه ـ حال كونه به يبصر ـ فتلك شهود الذات (**مع إسقاط الفرق بين الصفات والذات**) وليس ذلك هو الشهود الذاتي، فإنه

وهي تثبت بعلم الجمع، وتصفو في ميدان الفناء، وتستكمل بعلم البقاء، وتشارف عين الجمع.

وهي على ثلاثة أركان: إرسال الصفات على الشواهد، وإرسال الوسائط على المدارج، وإرسال العبارات على المعالم. وهي معرفة الخاصة التي تؤنس من أفق الحقيقة.

الفناء في الجمع **(وهي تثبت بعلم الجمع)** لا بعين الجمع، فإن الجمع لا لسان له، وليس فيه شيء يعرف به، وأما علمه فتثبت به الأشياء، **(و)** تلك المعرفة الثابتة بعلم الجمع **(تصفو في ميدان الفناء)** أي علم الجمع والمعرفة التي يثبت به كلاهما غير صافيين لبقاء الرسم معها، فإذا ورد صاحبهما ميدان الفناء حصل الصفو، **(وتستكمل)** وجودها **(بعلم البقاء)** بعد الفناء، والبقاء بعد الجمع وعلمه يكون غيره، وبعلمه تتم المعرفة المذكورة لا به، فإنه لا سبب له، **(وتشارف)** أي المعرفة المذكورة **(عين الجمع)** أي هي قريبة منه.

(وهي على ثلاثة أركان: إرسال الصفات على الشواهد) وهي بوارق أو تجليات تبدو للشاهد، فإذا كوشف العبد بأن تلك الشواهد من الصفات فقد فتح له باب شهود الذات، لأن شاهد الحق حق، إذ الحق لا يشهد له سواه، **(وإرسال الوسائط على المدارج)** يعني شهود المدارج أنها وسائط يترقى بها إلى المقصود، و«المدارج» الطرق، وقد يراد بها «الدَّرج» التي يُعبِّر عنها بـ«السُّلَّم»، **(وإرسال العبارات على المعالم. وهي معرفة الخاصة التي تؤنس من أفق الحقيقة)** أي شهود المعالم عبارات تعبر عن المطلوب، وقصده بهذه الأركان بيان حال صاحب معرفة الذات، وكيف تترقى الأشياء في نظره، مثاله أن الشواهد كانت قبلُ عنده أغياراً فشاهدها صفاتٍ، وهذا ترقّ في القرب، وأن المدارج التي كان يراها طريقاً صارت عين الوسائط، وهو ترق في القرب، وأن الأمارات التي كانت عنده دلائل على المطلوب صارت عبارات مُخبِرة عنه، وهو ترق، فهذه شواهد أنه صار من أهل معرفة الذات، ومع ذلك هو محجوب عن حضرة الجمع، لكنه شارفها أي قاربها.

والدرجة الثالثة: معرفة مستغرقة في محض التعريف لا يُوصِلُ إليها الاستدلال، ولا يدلُّ عليها شاهدٌ، ولا تستحقُّها وسيلة.

وهي على ثلاثة أركان: مشاهدة القرب، والصعود عن العلم، ومطالعة الجمع.

(**والدرجة الثالثة: معرفة مستغرقة في محض التعريف**) لما رأى المؤلف أن المعرفة الأخيرة طُمست، قال: هي مستغرقة في ذلك (**لا يُوصِلُ إليها الاستدلال**) أي لا يوصل إليها سبب، (**ولا يدلُّ عليها شاهدٌ**) فشاهدها مشهودها، ودليلها مدلولها، (**ولا تستحقُّها وسيلة**) أي لا شيء من الوسائل يستحق أن يوصل إليها، لأنها موهبة لا كسبية.

(**وهي على ثلاثة أركان: مشاهدة القرب**) وهو محو الرسوم، فبقدر ما يمحى من الرسوم يكون القرب، وبقدر ما يبقى يكون البعد، (**والصعود عن العلم**) فيأخذ مشهوده كفاحاً لا عن الخبر، (**ومطالعة الجمع**) وهي معرفة خاصة الخاصة، فإنها لا تكون إلا بفناء جميع الرسوم.

[92 ـ] باب الفناء

قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرَّحمٰن: الآيتان 26، 27].

الفناء: اضمحلالُ ما دون الحقِّ علماً، ثمَّ جَحْداً، ثمَّ حقاً.

([93 ـ] باب الفناء)

(قال الله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ ۝٢٦ وَيَبْقَىٰ وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ ۝٢٧﴾ [الرَّحمٰن: الآيتان 26، 27].

الفناء: اضمحلالُ ما دون الحقِّ) بأن تذهب الصور في شهود العيان، وتغيب في العدم كما كانت قبل أن تُوجَد، ويبقى الحق كما لم يزل، وتغيب صورة المشاهد بالصفة المذكورة، ويبقى الحق وصفاً من صفاته، يشاهد وجوده بوجوده في طور عبده، ثم يعيد عبده وقد سمَّاه غير اسمه، وألبسه خِلعاً من صفاته، وأقامه نشأة أخرى، والاضمحلال كالذوبان، كما يضمحل السحاب، لا بمعنى أنه احتجب بل أنه استحال هواء يخفى عن الأبصار **(علماً، ثمَّ جَحْداً، ثمَّ حقاً)** هذه مراتب الاضمحلال، وهو إذا جاء التعريف للعبد مرتَّباً، فإن جاء دَفعة فلا يشهد شيئاً منها، لكنه إذا ثبت بعد المحو عرف ذلك.

وبيانه: أن الحق إذا رَقَّى عبده تدريجاً، نوَّر باطنه وعقله في العلم، فرأى أن لا فاعل إلا الله، فهذا توحيد العلم، ثم يُشهِدهُ عَود أفعاله إلى صفاته، وعَود صفاته إلى ذاته، فيجحد وجود السِّوى بالكلية، فهذا الاضمحلال جحداً، ثم يريه البحر الذي أغرق فيه الأفعال والأسماء والصفات، فذلك هو الاضمحلال حقاً أي إرادة الحق المبين.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: فناءُ المعرفة في المعروف وهو الفناءُ علماً، وفناء العيان في المعايَن وهو الفناء جحداً، وفناءُ الطلب في الموجود وهو الفناء حقاً.

والدرجة الثانية: فناء شهود الطلب لإسقاطه وفناء شهود المعرفة لإسقاطها وفناءُ شهود العيان لإسقاطه.

والدرجة الثالثة: الفناء عن شهود الفناء، وهو الفناء حقاً، شائماً برقَ العين، راكباً بحرَ الجمع، سالكاً سبيل البقاء.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: فناءُ المعرفة في المعروف) أي غيبة معاني المعرفة في وجود المعروف، (**وهو الفناءُ علماً**) أعني به العلم بالله الذي هو خلاصة المعرفة، (**وفناء العيان في المعايَن**) أي يظهر وجود الموجود بالعيان، فيبقى العيان فيه؛ فينكر العبد الأسماء والصفات، (**وهو الفناء جحداً. وفناءُ الطلب في الموجود**) فلا يبقى لصاحب هذه المشاهدة طلب؛ لفوزه بالغاية بالمشاهدة الذاتية، (**وهو الفناء حقاً**) إذ فيه تفنى ذاته.

(**والدرجة الثانية: فناء شهود الطلب لإسقاطه**) وإنما يشهده العبد إذا ظفر بمطلوبه، فيستغنى عن الطلب فيسقط للغنى عنه، ويشهد العبد سقوطه، فذلك هو فناء شهود الطلب لإسقاطه، (**وفناء شهود المعرفة لإسقاطها**) فإن العيان فوقها، وهي تفنى فيه، (**وفناءُ شهود العيان لإسقاطه**) فإنه يسقط في مبادىء حضرة الجمع، لأن العيان يقتضي «معايِن» و«معايَن» و«معاينة»، وحضرة الجمع تفني التعداد، فيسقط العيان، وهذا فناء العيان في المعاينة جحداً.

(**والدرجة الثالثة: الفناء عن شهود الفناء**) وهي في حضرة الوقفة، وهي مبدأ الجمع أي يشهد فناء كل ما سوى الحق، ويشهد الفناء قد فني، (**وهو الفناء حقاً، شائماً برقَ العين**) أي ناظراً برق أنوار حضرة الجمع، (**راكباً بحرَ الجمع**) وركوبه إياه: فناؤه فيه، (**سالكاً سبيل البقاء**)؛ إذ مَنْ فَنِيَ فقد تأهل للبقاء بالحق.

[93 ـ] باب البقاء

قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه: الآية 73].

البقاء: اسمٌ لما بقي قائماً بعد فناء الشواهد وسقوطها.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: بقاءُ المعلوم ـ بعد سقوط العلم عيناً، لا علماً، وبقاء المشهود ـ بعد سقوط الشهود ـ وجوداً. ....

([94 ـ] باب البقاء)

(قال الله تعالى: ﴿وَٱللَّهُ خَيۡرٞ وَأَبۡقَىٰٓ﴾ [طه: الآية 73]).

(البقاء: اسمٌ لما بقي قائماً بعد فناء الشواهد وسقوطها) يعني بالشواهد الرسوم، وما يبقى بعدها قائماً غير الحقيقة، فالرسوم هي الخليقة.

(وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: بقاءُ المعلوم ـ بعد سقوط العلم)؛ بأن يشهد العبد ـ بعد محوه في حضرة الجمع، ثم إثباته في حضرة البقاء ـ أن العلوم وإن أسقط الشهود حكمها في حق العارف ثابتة المراتب لمن هي له من أهل الحجاب، فالعلم يسقط والمعلوم منه يثبت، وذلك لأن طور العلم حضرة الاسم «الظاهر»، فالعبد إذا بقي بعد الفناء شاهد رتبة العلم في عيان الاسم «الظاهر» **(عيناً، لا علماً)** أي يسقط عيناً ولا يسقط علماً، فإذا نظرت العلم باعتبار العين ـ التي هي حضرة الجمع ـ سقط، وإذا نظرته باعتبار الطور الأول والاسم الظاهر لم تسقطه. **(وبقاء المشهود ـ بعد سقوط الشهود ـ)** أي يبقى المشهود من حيث هو **(وجوداً)** لا من حيث هو مشهود؛ إذ الشهود يقتضي: «الشاهد» و«المشهود» و«الشهود».

لا نعتاً وبقاء ما لم يزل حقاً، بإسقاط ما لم يكن محواً.

والوجود لا يقتضي الكثرة، فهو عين الموجود، **(لا نعتاً)** أي لا شهوداً، إذ الفرق بين الشهود والعلم: أن العلم إدراك الشيء بك، والشهود إدراكه بالحق، فلذلك سمَّاه «نعتاً».

(وبقاء ما لم يزل حقاً، بإسقاط ما لم يكن محواً).

[94 ـ] باب التحقيق

قـال الله تـعـالـى: ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ﴾ [البـقـرة: الآية 260].

التحقيق: تلخيصُ مصحوبك من الحق ثمَّ بالحقّ، ثم في الحقّ.

وهذه أسماء درجاته الثلاث:

أما درجة تلخيص مطلوبك من الحق: فأن لا يخالج علمُك علمَه.

وأما الدرجة الثانية: فأن لا ينازع شهودك شهوده.

([95 ـ] باب التحقيق)

(**قـال الله تـعـالـى:** ﴿قَالَ أَوَلَمْ تُؤْمِنۖ قَالَ بَلَىٰ وَلَٰكِن لِّيَطْمَئِنَّ قَلْبِيۖ﴾ [البـقـرة: الآية 260]).

استشهد به على التحقيق لأن الخليل سأل شهود إحياء الحق على التحقيق بالتخليق باسم المحيي فشهد الإحياء بالحق شهود ذوق وتحقيق بعد أن عرف ذلك عرفان إيمان وإيقان.

(**التحقيق: تلخيصُ مصحوبك**) أي تحقق ما حصل لك منه، (**من الحق ثمَّ بالحقّ، ثم في الحقّ**) وفسره في ثلاث درجات. فقال:

(**وهذه أسماء درجاته الثلاث:**

أما درجة تلخيص مطلوبك من الحق: فأن لا يخالج علمُك علمَه)؛ فالعلم الذي كنت تنسبه لنفسك تعود فتنسبه إلى الحق؛ لفنائك عنك في وجوده.

(**وأما الدرجة الثانية: فأن لا ينازع**) أي يشارك (**شهودك شهوده**)؛ لأن التحقيق لا يحتمل الشريك.

وأما الدرجة الثالثة: فأن لا يناسم رسمُك سبقَه، فتسقط الشهادات، وتبطل العبارات، وتفنى الإشارات.

(وأما الدرجة الثالثة: فأن لا يناسم رسمُك سبقَه) أي لا يزاحم خلقيَّتُك الحادثة سبقه بالقدم، إذ الرسم «الخلق» وهو مُحْدَث، والحق هو القديم وله السبق، فإذا تحقق العبد بالحقيقة شهد الحق، ولم ينسم معه شائبة من الخلق، وهو معنى قولهم: «**وهو الآن على ما عليه كان**»..

(فتسقط الشهادات) أي إذا لم تشهد معه غيره سقط معنى شاهد ومشهود، **(وتبطل العبارات)** أي ويبطل معنى معبِّر ومعبَّر عنه، **(وتفنى الإشارات)** أي نسبة مُشِير ومُشَار إليه، والغرض: أنَّ المحقق لا يرى مع الحق سواه.

[95 ـ] باب التلبيس

قال الله تعالى: ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعَام: الآية 9].

التلبيس: توريةٌ بشاهدٍ مُعارٍ عن موجودٍ قائم، وهو اسم لثلاثة معان:

أولها: تلبيس الحقِّ بالكون على أهل التفرقة، وهو تعليقه الكوائن بالأسباب و الأماكن والأحايين، وتعليقه المعارف بالوسائط، . . . .

([96 ـ] باب التلبيس)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَلَلَبَسۡنَا عَلَيۡهِم مَّا يَلۡبِسُونَ ۝٩﴾ [الأنعَام: الآية 9]).

الاستشهاد في تلبيس الملك صورة الرجل ليمكنه تبليغ الرسالة وهو الملبس عليهم، فاللبس يتحقق بالتلبيس ولهذا قال:

(**التلبيس: توريةٌ**) أي تكنية (**بشاهدٍ مُعارٍ**) أي وجوده معار، كما تقول: قتل فلان فلاناً، والقاتل الله، فحصلت التورية بالشاهد المعار الذي هو فلان (**عن موجودٍ قائم**) بذاته وهو الحق، فهذا تلبيس على السامع، والتورية: أن يذكر لفظاً يحتمل معنيين والمقصود أحدهما، والتلبيس التشكيك.

(**وهو اسم لثلاثة معان:**

أولها: تلبيس الحقِّ بالكون على أهل التفرقة) التفرقة عنده هي الباطل، والجمع هو الحق، فهو يرى أن أهل التفرقة يلتبس عليهم الحق بالباطل (**وهو**) أي التلبيس (**تعليقه الكوائن**) أي الحوادث والأفعال (**بالأسباب**) فنسبها أهل التفرقة إلى أسبابها، وعموا عن رؤية الحق، فكأنه يقول: لا فعل إلا لله؛ وهم يجهلون ذلك، فينسبون الأفعال لأسبابها (**و**) إلى (**الأماكن والأحايين، وتعليقه**) أيضاً في نظر أهل التفرقة (**المعارف بالوسائط**) العقول والحواس، فحجبهم بها،

والقضايا بالحجج، والأحكام بالعلل، والانتقام بالجنايات، والمثوبة بالطاعة، فأخفى الرضا والسخط اللذين يُوجبان الوصل والفصل، ويُظهران السعادة والشقاوة.

والتلبيس الثاني: تلبيسُ أهل الغيرة على الأوقات بإخفائها، وعلى الكرامات بكتمانها، والتلبيس بالمكاسب وبالأسباب، وتعليق الظواهر بالشواهد، والمكاسب؛ تلبيساً على العيون الكَليلة والعقول العليلة مع تصحيح التحقيق عقداً وسلوكاً ومعاينةً.

(و) تعليقه **(القضايا بالحجج)**، ونسي أهل التفرقة أن تعلقها وثبوتها إنما هو بالحق، **(والأحكام بالعلل)**؛ فنسبوا الأشياء إلى عللها **(والانتقام بالجنايات)** فجعلوا سبب الانتقام هو الجناية، ونسوا أن الجناية والانتقام يرجعان إلى فعل الحق لا إلى غيره، **(والمثوبة بالطاعة)** وحجبوا عن كونها لا تحصل إلا برحمة الله؛ **(فأخفى الرضا والسخط اللذين يُوجبان الوصل)** أي المثوبة **(والفصل)** أي العقوبة، **(ويُظهران السعادة والشقاوة)** يعني أنه لما لبَّس عليهم الأمر بالمثوبة والانتقام أخفى السبب الصحيح عنهم وهو الرضا والسخط؛ فإن الرضا هو الذي أوجب المثوبة لا الطاعة، والرضا صفة الحق تعالى، والسخط؛ هو الذي أوجب الانتقام لا الجناية، فأخفى عن خلقه هذين السببين، وأظهر لهم أسباباً أخرى علقوا الأحكام عليها.

(والتلبيس الثاني: تلبيسُ أهل الغيرة على الأوقات) أي على أوقاتهم الشريفة **(بإخفائها)** فإنهم يغارون على الأوقات أن يظهروها لغيرهم، **(وعلى الكرامات بكتمانها)** حذراً أن يعلمها الناس **(والتلبيس بالمكاسب وبالأسباب)** أي باشتغالهم بها **(وتعليق الظواهر بالشواهد، والمكاسب؛ تلبيساً على العيون الكَليلة)** الإحساس الضعيف، **(والعقول العليلة)** أي السقيمة المنحرفة التي لا تدرك الحق، **(مع تصحيح التحقيق عقداً)** يعني الخواص يلبسون هذه الأمور على ضعفاء الحس والعقل مع أنهم عارفون بالتحقيق، واعتقاده عقداً أي اعتقاداً **(وسلوكاً)** أي هم أهل التحقيق سلوكاً، **(ومعاينةً)** أي بالعيان لا بالاعتقاد والسلوك فحسب.

وهذه الطائفة رحمة من الله عزَّ وجلَّ على أهل التفرقة والأسباب في ملابستهم.

والتلبيس الثالث: تلبيس أهل التمكن على العالم ترحُّماً عليهم بملابسة الأسباب، وتوسيعاً على العالم، لا لأنفسهم، وهذه درجةُ الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ثمَّ هي للأئمَّة الربَّانيين الصادرين عن وادي الجمع المشيرين عن عينه.

(**وهذه الطائفة**) الذين لبَّسوا على الناس (**رحمة من الله عزَّ وجلَّ على أهل التفرقة والأسباب**) أي أهل الحجاب والتعلق بالأسباب (**في ملابستهم**) أي في مخالطتهم للناس يهتدون بهديهم وينجون ببركة محبتهم فإنهم القوم لا يشقى بهم جليسهم.

(**والتلبيس الثالث: تلبيس أهل التمكن**) وهم الأنبياء والعلماء بالله، (**على العالم**) بفتح اللام في أمرهم بالأسباب والاشتغال بالحرف؛ (**ترحُّماً عليهم بملابسة الأسباب**) أي تعاطيها، فإن فيها راحتهم، مع علمهم بأن السبب لا أثر له، لكن لما علموا عجز الناس عن إدراك ذلك ألزموهم السبب رحمة لهم، (**وتوسيعاً على العالم، لا لأنفسهم**) أي لم يقصدوا بذلك أنفسهم، لأنهم يشهدون أنَّ المسبِّب هو الحق، (**وهذه درجةُ الأنبياء ـ عليهم الصلاة والسلام ـ ثمَّ هي للأئمَّة الربَّانيين الصادرين عن وادي الجمع**) يعني الذين فنوا في الجمع، ثم حصلوا في البقاء عند الفناء.

(**المشيرين عن عينه**) أي الذين إذا أشاروا إلى الحقيقة، فإشارتهم عين إشارة حضرة الجمع، لأنهم نوَّاب الحضرة في الدعوة إليها، والمراد بالعين الحقيقة.

[96 ـ] باب الوجود

قد أطلق الله عزَّ وجلَّ في القرآن اسم الوجود صريحاً في مواضع، فقال:

﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: الآية 110].

﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: الآية 64].

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النُّور: الآية 39].

الوجود: اسم للظفر بحقيقة الشيء، وهو اسمٌ لثلاثة معان: أولها: وجود علم لدنّيّ يقطع علوم الشواهد في صحة مكاشفة الحق إياك.

([97 ـ] باب الوجود)

(قد أطلق الله عزَّ وجلَّ في القرآن اسم الوجود صريحاً في مواضع، فقال:

﴿يَجِدِ ٱللَّهَ غَفُورًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: الآية 110].

﴿لَوَجَدُواْ ٱللَّهَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾ [النِّساء: الآية 64].

﴿وَوَجَدَ ٱللَّهَ عِندَهُۥ﴾ [النُّور: الآية 39]).

(الوجود: اسم للظفر بحقيقة الشيء) وهو شهوده والفناء فيه، أو «الوجود»: هو ظهور الموجود في نفسه، أو وجدان الحق في الوجد.

(وهو اسمٌ لثلاثة معان: أولها: وجود علم لدنّيّ) عنى به المعرفة، وسمي «لدنيّاً» لكونه من عند الله بغير واسطة، بل بالوجدان، فالمراد به عندهم المعرفة **(يقطع علوم الشواهد)** أي علوم الحواس والعقول **(في صحة مكاشفة الحق إياك)** أي في كونه كشف لك كشفاً صحيحاً.

الثاني: وجودُ الحقِّ وجودَ عين منقطعاً عن مساغ الإشارة.

والثالث: وجودُ مقامِ اضمحلالِ رسمِ الوجودِ فيه بالاستغراق في الأزلية.

(الثاني: وجودُ الحقِّ وجودَ عين) أي معاينة، بل فوق المعاينة، وهو حضرة جمع، ودليل ذلك قوله:

(منقطعاً عن مساغ الإشارة) فإنها إنما تنقطع بالكلية في حضرة الجمع.

(والثالث: وجودُ مقامِ اضمحلالِ رسمِ الوجودِ فيه بالاستغراق في الأزلية) يعني بالوجود: الوجدان، فيكون الوجدان يُغرِقُ في بحر الوجود، وذلك حق، والاضمحلال الفناء فيه.

[97 ـ] باب التجريد

قال الله تعالى: ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: الآية 12].

التجريدُ: انخلاعٌ عن شهودِ الشواهدِ.

وهو على ثلاث درجات:

الدرجة الأولى: تجريد عين الكشف عن كسب اليقين.

والدرجة الثانية: تجريد عين الجمع عن دَرْك العلم.

والدرجة الثالثة: تجريدُ الخلاص من شهود التجريد.

([98 ـ] باب التجريد)

(**قال الله تعالى:** ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾ [طه: الآية 12]) التجريد الحقيقي هو تجريد الحقيقة عن الكونين.

(**التجريدُ: انخلاعٌ عن شهودِ الشواهدِ**) أي الرسوم، إما بالمعاينة، أو بما فوقها من حضرة الجمع، وهو غيبة الشاهد في المشهود.

(**وهو على ثلاث درجات:**

الدرجة الأولى: تجريد عين الكشف عن كسب اليقين) أي تعزل ما اكتسبته من اليقين العلمي بالكشف الحقيقي، فيتجرد الكشف بسقوط الكسب واليقين.

(**والدرجة الثانية: تجريد عين الجمع عن دَرْك العلم**) أي تنزه مرتبة الجمع، فلا يشهد للعلم فيها أثراً، وذلك أن العلم في الرسوم، والجمع محوُها، و«الدَرْك»: الإدراك.

(**والدرجة الثالثة: تجريدُ الخلاص من شهود التجريد**)؛ بأن لا يشهد تجريداً ولا مجرَّداً، لاستغراقه في عين الجمع.

[98 ـ] باب التفريد

قال الله تعالى: ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝٢٥﴾ [النُّور: الآية 25].

التفريدُ: اسمٌ لتخليص الإشارة إلى الحق، ثم بالحق، ثم عن الحق.

أما تفريد الإشارة إلى الحق، فعلى ثلاث درجات: تفريد القصد عطشاً، ثمَّ تفريد المحبة تلفاً، ثم تفريد الشهود اتصالاً.

وأما تفريد الإشارة بالحق فثلاث درجات: تفريد الإشارة بالافتخار بوحاً،

([99 ـ] باب التفريد)

(**قال الله تعالى:** ﴿وَيَعْلَمُونَ أَنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلْحَقُّ ٱلْمُبِينُ ۝٢٥﴾ [النُّور: الآية 25]).

الاستشهاد إنما هو في ﴿وَيَعْلَمُونَ﴾ أي يعلمون أن الله ليس إلا الوجود أي الثابت الواجب الظاهر لذاته بذاته وما عدا حد الوجود المحض الثابت الواجب المبين ذاته بذاته لذاته هو العدم الصرف وذلك عين التفريد.

(**التفريدُ: اسمٌ لتخليص الإشارة إلى الحق، ثم بالحق، ثم عن الحق.**

أما تفريد الإشارة إلى الحق، فعلى ثلاث درجات:

تفريد القصد) أي تخليصه مما يعوقه (**عطشاً**) أي قصداً مقترناً بالعطش، وهو غلبة ولوع بمأمول، (**ثمَّ تفريد المحبة**) وهو تخليصها مما يعوق حكمها (**تلفاً**) أي المحبة المهلكة، (**ثم تفريد الشهود**) أي تخليصه من ملاحظة الأغيار (**اتصالاً**) أي أن سقوط الأغيار لا يكون إلا بشهود الاتصال.

(**وأما تفريد الإشارة بالحق فثلاث درجات: تفريد الإشارة بالافتخار بوحاً**) أي تفرُّد إشارته بما أولاه الحق من الأحوال الجليلة افتخاراً، ظاهراً لا يخفيه،

وتفريد الإشارة بالسلوك مطالعة، وتفريد الإشارة بالقبض غيرة.

وأما تفريد الإشارة عن الحق: فانبساط ببسط ظاهر يتضمَّن قبضاً خالصاً للهداية إلى الحقِّ، والدعوة إليه.

(وتفريد الإشارة بالسلوك) أي تخليص الأشياء إلى المطلوب بالسلوك **(مطالعة)** أي اطلاعاً على حقائقه، **(وتفريد الإشارة بالقبض)** أي تفرُّد إشارته بقبض وإمساك عن الإخبار بالإشارة لما هو فيه، **(غيرة)**؛ لئلا يطلع عليه الأغيار.

(وأما تفريد الإشارة عن الحق: فانبساط ببسط ظاهر يتضمَّن قبضاً خالصاً) أي يكون في باطنه مقبوضاً ـ أي مجموعاً لغلبة التوحيد عليه) وفي ظاهره منبسطاً مع الخلق؛ قصداً **(للهداية إلى الحقِّ، والدعوة إليه)** أي دعوتهم إليه.

[99 ـ] باب الجمع

قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفَال: الآية 17].

الجمعُ: ما أسقط التفرقة، وقطَع الإشارة، وشخَص عن الماءِ والطين بعد صحَّة التمكين، . . . .

([100 ـ] باب الجمع)

قال الله تعالى: ﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفَال: الآية 17]).

وجه الاستدلال به على الجمع سلب الرمي عن النبي ﷺ مع صدوره عنه ظاهراً كما دلّ عليه قوله: ﴿إِذْ رَمَيْتَ﴾ وإثباته الدلالة على فناء رسم النبي في المحو بالكلية، فكلما صدر عليه فعله تعالى وهو معنى الجمع فاستصحاب معنى الآية وجوداً هو الجمع.

﴿وَمَا رَمَيْتَ إِذْ رَمَيْتَ﴾ [الأنفَال: الآية 17] هذا فناء يرفع الرسم، ﴿وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ رَمَىٰ﴾ [الأنفَال: الآية 17] يثبت من لم يزل، فاستصحاب معنى الآية وجوداً هو الجمع.

(**الجمعُ: ما أسقط التفرقة**) أي ما أفنى الرسوم، وذلك هو الذهاب عن شهود السوى، وقيام الذات بذاتها لذاتها من ذاتها أزلاً وأبداً، ومعنى التفرقة: اعتبار الفرق بين الوجود والموجود، فإذا زال الفرق في نظر المشاهد حصل في الجمع، (**وقطَع الإشارة**) لاقتضاء الإشارة مشيراً ومشاراً إليه، فإذا زالت التفرقة لم يبق رسم المشير فانقطعت الإشارة فهي تنقطع بارتفاع المشير، لأنها نسبة بين شيئين، فإذا ذهبت الثنوية ذهبت النسبة، (**وشخَص عن الماءِ والطين**) أي شهود العبد علوه عن درجة مَن خُلق مِن الماء والطين، وذلك شهود غيبته في الحق تعالى (**بعد صحَّة التمكين**) أي بعد ثبوت قدمه في التمكين، وهو أن ما كوشف

والبراءة من التلوين، والخلاص من شهود الثنويَّة، والتعافي من إحساس الاعتلال، والتنافي من شهود شهودها.

وهو على ثلاث درجات: جمع علم، ثم جمع وجود، ثم جمع عين.

فأما جمع العلم: فهو تلاشي علوم الشواهد في العلم اللدنِّي صرفاً.

وأما جمع الوجود: فهو تلاشي نهاية الاتصال في عين الوجود مَحْقاً.

به من الحقيقة لا يتوارى عنه ولا ينقص بل يزيد، **(والبراءة من التلوين)** بالتخلص من حال أهله، وهم من يُجذَب تارة فينكر الفرق، ويُرد أخرى فينكر الجمع، وهؤلاء أهل شهود نور الجمع لا حقيقته، **(والخلاص من شهود الثنويَّة)** بارتفاع شهود أن مع وجود الحق وجوداً سواه.

(والتعافي* من إحساس الاعتلال) وهو شهود التفرقة، والنظر إلى ربط المسببات بأسبابها، وهو ربط لا يحله إلا شهود الجمع **(والتنافي من شهود شهودها)** أي وأن ينتفي عن شهود شهوده هذه الأشياء كلُّها، فإنه متى لم يفن عن ذكرها فهو معها لأنه يحس بها، ولا يحس إلا بما هو موجود عند الحاسّ، فإذا غاب عن شهودها، ثم عن شهود الشهود، واستقر في حضرة الجمع، وارتفع عن العطاء والمنع، أو ضمير «شهودها» يعود للأسباب والعلل.

(وهو على ثلاث درجات: جمع علم، ثم جمع وجود، ثم جمع عين. فأما جمع العلم: فهو تلاشي علوم الشواهد في العلم اللدنِّي) أي ذوبان علوم الشواهد، وهي ما استدل به بالأثر على المؤثِّر، وبالمصنوع على الصانع، فالمصنوعات شواهد، وعلومها ما حصل بالاستدلال بها، واستحالة هذه العلوم في اللدني أن تنطمس وتضمحل رسومها ويصير المعلوم مشهوداً، والشاهد في المشهود غيباً، فهذا هو العلم اللدني؛ **(صرفاً)** أي خالصاً من غير تلوين، فيشهد ذلك في وقت دون وقت.

(وأما جمع الوجود: فهو تلاشي نهاية الاتصال) وهو معاينة فناء العبد في المشهود، **(في عين الوجود)** أي في حقيقته، وهو وجود الحق **(مَحْقاً)** أي وجود

---

* وفي نسخة [التنائي] بدل [التعافي].

وأما جمع العين: فهو تلاشي كل ما تقلُّه الإشارة في ذات الحق حقاً، والجمعُ غايةُ مقامات السالكين وهو طرف بحر التوحيد.

عين منقطعاً عن مساغ الإشارة، والحق ظهور العبد في الكون بالحق بطريق النيابة عنه، وقيل: الذوبان والفناء.

(**وأما جمع العين: فهو تلاشي كل ما تقلُّه**) أي تحمله (**الإشارة في ذات الحق حقاً**) والإشارة بالحس، وهي باليد والرأس وبالعين ويسمى الغمز، وبالذهن والعقل، وبرمز الصوفية، وكل أنواع الإشارة تضمحل ويبطل حكمها عند شهود العين في حضرة الجمع، وظهور جلال الذات المقدسة.

(**والجمعُ غايةُ مقامات السالكين**) أي غاية المقامات في السير إلى الله وفي الله لأنه بعد الترقي من الحضرة الواحدية إلى الأحدية ولا مقام أعلى منه (**وهو طرف بحر التوحيد**) أي نهايته التي ليس بعدها شيء فإن سار في هذا المقام لا يكون سيره إلا الرجوع عن الحق إلى الخلق ولم يذكر «السفر في الحق» و«السفر إلى الحق بالحق».

[100 ـ] باب التوحيد

قال الله تعالى: ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 18].

التوحيد: تنزيه الله تعالى عن الحدث، وإنما نطَق العلماءُ بما نطقوا به، وأشار المحققون بما أشاروا إليه في هذا الطريق، لقصد تصحيح التوحيد وما سواه من حال أو مقام، فكلُّه مصحوب العِلل.

والتوحيد على ثلاثة أوجه:

([101 ـ] باب التوحيد)

(**قال الله تعالى:** ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 18]).

خصَّ الآية بالذكر ولم يذكر الملائكة وأولي العلم؛ لأن بحر التوحيد لا يكون فيه مع الحق غيره؛ فهو الشاهد لنفسه بنفسه، فما شهد أنه لا إلٰه إلا هو غيره.

(**التوحيد: تنزيه الله تعالى عن الحدث**) وهذا قد يدّعيه أهل الفكر بالعقول، والمؤلف لم يقصد تبرئة* العقل، لأن العقل يثبت الحدوث ثم ينفيه، وشهود التوحيد يرفع الحدث أصلاً، ويثبته بعد ذلك بالحق من فعل الحق.

(**وإنما نطَق العلماءُ بما نطقوا به، وأشار المحققون بما أشاروا إليه في هذا الطريق: لقصد تصحيح التوحيد**) أي ما نطقوا وما أشاروا إلا لقصد تصحيح هذا المقام السَّني لأنه المقصد الأقصى والموقف الأعلى (**وما سواه من حال أو مقام: فكلُّه مصحوب العِلل**) يعني التوحيد بالعلم لا يخلص من العلل، بل هو طَوْر جماع العلل، وإشارات المحققين أيضاً لا تخلو من ذلك.

(**والتوحيد على ثلاثة أوجه:**

الوجه الأول: توحيدُ العامَّة الذي يصحُّ بالشواهد.

والوجه الثاني: توحيدُ الخاصَّة، وهو الذي يثبت بالحقائق.

والوجه الثالث: توحيدٌ قائم بالقِدَم، وهو توحيد خاصَّة الخاصَّة.

فأمَّا التوحيد الأول: فشهادة «أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد».

هذا هو التوحيد الظاهر الجليّ، الذي نفى الشركَ الأعظمَ، وعليه نُصبت القبلةُ، وبه وجبت الذمة، وحُقنت الدماء والأموال، وانفصلت دار الإسلام عن دارِ الكفر، وصحَّت به الملَّةُ للعامة ـ وإن لم يقوموا بحقِّ الاستدلال ـ بعد أن سلموا من الشبهةِ والحيرةِ والريبةبصدق شهادة صحَّحها قبولُ القلب.

الوجه الأول: توحيدُ العامَّة الذي يصحُّ بالشواهد) كالاستدلال بالمصنوع على وحدانية الصانع، وذلك بالنظر والفعل وبراهين العقول.

(والوجه الثاني: توحيدُ الخاصَّة، وهو الذي يثبت بالحقائق) وهي المكاشفة، والمشاهدة، والمعاينة، والحياة، والقبض، والبسط، والسكر، والصحو، والاتصال، والانفصال.

(والوجه الثالث: توحيدٌ قائم بالقِدَم) أي توحيد الحق لنفسه، **(وهو توحيد خاصَّة الخاصَّة)**؛ فمن حقَّق ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ﴾ [آل عِمرَان: الآية 18] فهو منهم.

(فأمَّا التوحيد الأول: فشهادة «أن لا إلٰه إلا الله وحده لا شريك له، الأحد الصمد، الذي لم يلد ولم يولد، ولم يكن له كفواً أحد».

هذا هو التوحيد الظاهر الجليّ، الذي نفى الشركَ الأعظمَ) وهو اعتقاد عبدة الأصنام ونحو ذلك، فهذه الشهادة تطرد هذا الشرك، **(وعليه نُصبت القبلةُ، وبه وجبت الذمة، وحُقنت الدماء والأموال، وانفصلت دار الإسلام عن دارِ الكفر، وصحَّت به الملَّةُ للعامة ـ وإن لم يقوموا بحقِّ الاستدلال ـ بعد أن سلموا من الشبهةِ والحيرةِ والريبة بصدق شهادة صحَّحها قبولُ القلب.**

هذا هو توحيد العامة الذي يصحُّ بالشواهد، والشاهدُ هي الرسالةُ والصنائع، يجب بالسمع، ويوجد بتبصير الحقِّ، وينمو على مشاهدة الشواهد.

أما التوحيد الثاني ـ الذي يثبت بالحقائق ـ فهو توحيد الخاصَّة، وهو إسقاط الأسباب القاهرة، والصعود عن منازعات العقول، وعن التعلُّق بالشواهد، وهو أن لا يشهد في التوحيد دليلاً، ولا في التوكُّل سبباً، ولا في النجاة وسيلة.

فيكون مشاهداً سبْق الحقِّ بحكمه وعلمه ووضعِه الأشياء مواضعها،

(**هذا هو توحيد العامة الذي يصحُّ بالشواهد، والشاهدُ هي الرسالةُ**) أي مضمون ما وردت به الرسالة من الشواهد، (**والصنائع**) أي حسن صنعة المصنوعات؛ فإنها من الشواهد لدلالتها على الصانع.

(**يجب بالسمع**) أي يجب قبول هذا التوحيد بالسمع، (**ويوجد بتبصير الحقِّ**) أي لا يجد العبد حلاوة هذا التوحيد وإدراك معناه إلا بتبصير الحق (**وينمو**) أي يزداد (**على مشاهدة الشواهد**) أي رؤيتها واعتبارها.

(**أما التوحيد الثاني ـ الذي يثبت بالحقائق ـ فهو توحيد الخاصَّة، وهو إسقاط الأسباب القاهرة**) أي المعروفة بين الناس (**والصعود عن منازعات العقول**) أي اختلاف مداركها، لأن المشتغلين بعلوم العقل لا يزالون مختلفين، (**و**) الصعود (**عن التعلُّق بالشواهد**) أي الدلائل (**وهو أن لا يشهد في التوحيد دليلاً**)؛ بأن يكون التوحيد أظهر من أدلته عندك (**ولا في التوكُّل سبباً**) أي لا يمازج التوكل سبباً (**ولا في النجاة وسيلة**)؛ فلا ترى أن من ينجو من العذاب نجا بوسيلة ـ وهو عمله الصالح ـ بل قرب من قرب بلا علّة.

(**فيكون مشاهداً سبْق الحقِّ بحكمه**)، بأن ترى الأشياء بعين سوابقها التقديرية، فيغلب عليك شهود السوابق، وتعرض عن اللواحق بشهودك إياها ثابتة للحق بالسبق لا بالخلق، (**وعلمه**) أي يشاهد السبق للعلم على المعلوم، فيرى الأشياء ثابتة في علم الله في السابقة، فيغلب عليك ملاحظة ذلك، فإن أضيف إليه ملاحظة المعلوم في حقيقة العلم فيكون مع العالم الحق لا المعلوم فهو أشرف، (**ووضعِه الأشياء مواضعها**) فإن الموجودات كلها أفعال الله، ووجودها

وتعليقه إيَّاها بأحايينها، وإخفائه إيَّاها في رسومها، ويُحقِّق معرفة العلل، ويسلك سبيل إسقاط الحدث.

هذا توحيد الخاصَّة الذي يصحُّ بعلم الفناء، ويصفو في علم الجمع، ويجذب إلى توحيد أرباب الجمع.

وأما التوحيد الثالثُ: فهو توحيدٌ اختصَّه الله لنفسِه، واستحقَّه بقدْره،

من نوره، وترجع في نظرك إلى أوصاف الحق كما كانت في العلم، فكأنك نظرت السبق للحق، وبالجملة فسَبْق الحق: «أن يراه أولى بالأشياء من نفسها»، أي هو يستحق نسبتها إلى وجوده، فهو واضعها في مواضعها، ولا تصرف لغيره فيها، (**وتعليقه إيَّاها بأحايينها**) أي أزمنتها كما يتعلق بفصول العام من متعلقات الكون ومتجدداته، فلا يقع شيء إلا في الوقت الذي قدر وقوعه فيه (**وإخفائه إيَّاها في رسومها**) أي غطاء حقائقها عن بصائر الناظرين إليها، بما وجدوه من تعلق الأسباب بمسبَّباتها، فاحتجب وجه الحق عنهم بذلك، فصاحب هذه الدرجة يشهد كيف أخفى الحق الأشياء في رسومها ـ أي أسبابها، (**ويُحقِّق معرفة العلل**) أي الأسباب، أو عوائق السالك من نظره إلى السوى، فإنها عنده علل (**ويسلك سبيل إسقاط الحدث**) أي يسلك سبيل الذين يظهر لهم الأزل، فينتفي عنهم شهود الحدث، فلا يرون إلا سابقة حكم الأزل فيكون مع الحق في جريان الأحوال ويشهدون خلقه الأشياء بفعله على مقتضى حكمه وحكمته الأزلية.

(**هذا توحيد الخاصَّة الذي يصحُّ بعلم الفناء**)؛ فعلم الفناء: إدراكه بالإحساس من وراء حجاب العلم، فلذا قال: بـ«علم الفناء»، ولم يقل بالفناء نفسه، فإن علمه قبله؛ إذ درجة العلم فوق درجة المعرفة، والعلم أول درجات السلوك، (**ويصفو في علم الجمع**) علم الجمع أيضاً قبله، وفيه يصفو حال صاحبه، (**و**) بجذب هذا المقام (**يجذب**) أهله (**إلى توحيد**) الذين فوقهم، وهم (**أرباب الجمع**) أي أهل حضرة الجمع.

(**وأما التوحيد الثالثُ: فهو توحيدٌ اختصَّه الله لنفسِه**) فلا يوحِّده به غيره، فإنها حضرة لا تقبل السوى، (**واستحقَّه بقدْره**) أي بمقدار كنهه، الذي لا يبلغه

وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته، وأعجزهم عن بثِّه، والذي يشار إليه على ألسُن المشيرين إنه إسقاط الحدَث، وإثبات القِدم.

على أنَّ هذا الرمز في ذلك التوحيد علَّة، لا يصحُّ ذلك التوحيد إلا بإسقاطها، هذا قطبُ الإشارة إليه على ألسُن علماء هذا الطريق، وإن زَخرفوا له نعوتاً، وفصَّلوه فصولاً، فإن ذلك التوحيد تزيده العبارةُ خفاءً، والصفةُ نفوراً، والبسطُ صعوبة.

غيره، (**وألاح منه لائحاً إلى أسرار طائفة من صفوته، وأخرسهم عن نعته**)؛ لكونه لا يقبل نعت مخلوق، ولفظ «أخرس» يوهم أن نعته ممكن لكن أخرسهم عنه وليس كذلك، بل طور النعت تحت هذا المقام (**وأعجزهم عن بثِّه**) أي عن إظهار ذلك اللائح والإخبار به لأنه لا يقبل الإخبار عنه كما لا يقبل النعت.

والذي يشار إليه على ألسُن المشيرين) هذا مبتدأ والخبر قوله: (**إنه إسقاط الحدَث، وإثبات القِدم**) فهو صحيح في نظر الوارد على هذه الحضرة لضعفه، فإذا تمكن عرف أن الحدث لم يزل ساقطاً، فلا معنى لقوله «إسقاط الحدث»، ويعرف أن القدم لم يزل ثابتاً أيضاً، فلا معنى لقوله إثبات القدم، وبهذا استنقص الشيخ هذه الإشارة، كما قال:

(**على أنَّ هذا الرمز في ذلك التوحيد علَّة، لا يصحُّ ذلك التوحيد إلا بإسقاطها**) فإن الحدث لم يزل ساقطاً وإن القدم لم يزل ثابتاً، فما معنى إسقاط ذلك وإثباته (**هذا**) أي قولهم: إسقاط الحدث وإثبات القدم (**قطبُ الإشارة إليه**) أي إلى التوحيد (**على ألسُن علماء هذا الطريق**) أي أعظم الإشارة وأحكمها وهو مع ذلك معلول بحسب إسقاطه في تصحيح هذا التوحيد (**وإن زَخرفوا له نعوتاً، وفصَّلوه فصولاً، فإن ذلك التوحيد تزيده العبارةُ خفاءً، والصفةُ نفوراً، والبسطُ صعوبة**) هذا قول حق، وكلام صدق، انظر إلى قدم الحق كيف كان الواحد في نفسه ظاهراً مبيناً؛ فلما نزل إلى مرتبة الصفات ـ وهو الظهور في عالم الأمر ـ اختفى بقدر تفاوت الصفات واختلافها، ثم نزل إلى مرتبة الأسماء ـ وهو الظهور في الملكوت ـ فصار الخفاء أكثر، والحجب أكثر، فلما نزل إلى مرتبة الحروف ـ

وإلى هذا التوحيد شخصَ أهلُ الرياضة وأرباب الأحوال وله قَصَد أهل التعظيم، وإيّاه عنى المتكلِّمون في عين الجمع، وعليه تصطلمُ الإشارات؛ ثمَّ لم ينطق عنه لسانٌ، ولم تُشر إليه عبارةٌ، فإنَّ التوحيدَ وراء ما يشير إليه مكوَّنٌ أو يتعاطاه حيز أو يُقلُّه سببٌ.

وقد أجبت في سالف الزمان سائلاً سألني عن توحيد الصوفية بهذه القوافي الثلاث:

ما وحَّد الواحدَ من واحد إذ كل من وحَّده جاحدٌ

توحيدُ من ينطقُ عن نعته عاريةٌ، أبطلها الواحدُ

توحيدُه إيَّاه، توحيدُه ونعتُ من ينعتُه لاحدٌ

وهو الظهور في الملك ـ زاد الخفاء وبطن الظهور بكله، فإذا كان إظهاره لنفسه الذي هو بمثابة العبارة يخفيه ويستره، فكيف لا تخفيه عبارة الخلق؟! ﴿سُبْحَٰنَ رَبِّكَ رَبِّ ٱلْعِزَّةِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿١٨٠﴾﴾ [الصَّافات: الآية س180].

(**وإلى هذا التوحيد شخصَ أهلُ الرياضة وأرباب الأحوال**) والمعارف، (**وله قَصَد أهل التعظيم، وإيّاه عنى المتكلِّمون في عين الجمع، وعليه تصطلمُ الإشارات؛ ثمَّ لم ينطق عنه لسانٌ، ولم تُشر إليه عبارةٌ، فإنَّ التوحيدَ وراء ما يشير إليه مكوَّنٌ**) أي مخلوق، لأنه لا يصح إلا بفناء الرسوم كلها وصفاء الأحدية عن الكثرة العددية فلا مجال للإشارة فيه (**أو يتعاطاه حيز**) أي هو وراء أهل الاحتياز، وفوق نطقهم، فإن المتحيز محصور، لا يحيط بالمطلق، وفي نسخة: أو يتعاطاه حين أي هو وراء ما يتداوله زمان (**أو يُقلُّه سببٌ**) يعني لا يتعلق بالأسباب.

(**وقد أجبت في سالف الزمان سائلاً سألني عن توحيد الصوفية بهذه القوافي الثلاث**)، وقال نظماً:

(ما وحَّد الواحدَ من واحد إذ كل من وحَّده جاحدٌ

توحيدُ من ينطقُ عن نعته عاريةٌ، أبطلها الواحدُ

توحيدُه إيَّاه، توحيدُه ونعتُ من ينعتُه لاحدٌ)

. . . .

قوله: «ما وحَّد الواحد من واحد» أي ما وحَّد الله أحدٌ حق توحيده، أو بهذا التوحيد الخاص، فإنه حق التوحيد.

وقوله: «كل من وحَّده جاحد» أي كل من رام توحيده فقد جحد حق توحيده الذي لا يقوم إلا بالحق، وأيضاً كل من وحَّده فقد وصف توحيده، وبكونه وصفه جحد حقه الذي هو عدم انحصاره تحت الأوصاف؛ فمن وصفه فقد جحد إطلاقه عن قيود الصفات.

وقوله: «توحيدُ من ينطقُ عن نعته عارية» أي مردودة عليه كما ترد العارية، فكذا توحيد من ينطق عن نعت توحيد الحق.

وقيل معناه: ذلك التوحيد من العبد عارية له من الله، إذ ليس إلا هو في النطق عند المحق، فقد أبطلها منه بما هو بها الأحق.

وقوله: «أبطلها الواحد» أي الواحد من كل الوجوه أبطل ـ ببساطة ذاته ـ تركيب نطق واصفه.

وقوله: «توحيده إيَّاه، توحيده» معناه: توحيده الحقيقي، هو توحيده لنفسه بنفسه من غير أثر لسواه، إذ لا سوى هناك.

وقوله: «ونعت من ينعتُه لاحد» أي مشرك؛ لأنه أسند إلى نزاهة الحق ما لا يليق به، فإن حضرة الأزلية تأبى نطق الحدث ﴿وَٱللَّهُ مِن وَرَآئِهِم مُّحِيطُۢ ﴿٢٠﴾﴾ [البُرُوج: الآية 20].

كذا شرح هذه الأبيات التلمساني وذكر نحوه القاشاني فقال: يعني ما وحد الحق حق توحيده الذاتي أحد إذ كل من وحَّده أثبت فعله ورسمه فقد جحده بإثبات الغير إذ لا توجد إلا بفناء الرسوم والآثار كلها توحيد من ينطق عن نعته إذ لا نعت في الحضرة الأحدية ولا نطق ولا رسم لشيء والنطق والنعت يقتضيان الرسوم وكلما يشم منه رائحة الوجود فهو للحق عارية عند الغير يلزمه ردها لمالكها حتى يصبح التوحيد ويبقى الحق واحداً أحداً، فإن تلك أبطلها الواحد

. . . .

الحقيقي تلك العبارة التي هي ذلك التوحيد مع بقاء رسم الغير كأنه باطل في نفسه في الحضرة الأحدية توحيده إياه توحيده أي توحيد الحق ذاته لذاته هو توحيده الحقيقي ونعت من ينعته لاحد أي وصف الذي يصفه بذلك مشرك حائد عن طريق الحق مائل عنه لأنه أثبت النعت ولا نعت ثمة، وأثبت رسمه بإثباته النعت ولا رسم لشيء في الحضرة الأحدية ولا أثر وإلا لم تكن أحدية، والحمد لله وحده.

اللهمَّ صلِّ على سيِّدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما صلَّيت على سيِّدنا إبراهيم وعلى آل سيِّدنا إبراهيم، وبارك على سيدنا محمد وعلى آل سيدنا محمد كما باركت على سيدنا إبراهيم وعلى آل سيدنا إبراهيم في العالمين إنك حميد مجيد.

فهرس المحتويات

تقديم 3
ترجمة الشارح الشيخ عبد الرؤوف المناوي 7
ترجمة الماتن شيخ الإسلام عبد الله الأنصاري الهروي رضي الله عنه 13
مولده : 14
الشيوخ الذين سمع منهم : 14
الشيوخ الذين حدّثوا عنه : 15
من صفاته : 15
من خصائصه : 16
علم الإمام الهروي رضي الله عنه : 16
ثناء الشيوخ والعلماء عليه رضي الله عنه : 18
مؤلفاته رضي الله عنه : 20
وفاته رضي الله عنه : 21
مقدِّمة 29
قسم البدايات **55**
باب اليقظة 57

باب التوبة 61
باب المحاسبة 68
باب الإنابة 70
باب التفكُّر 72
باب التذكُّر 76
باب الاعتصام، أي: الاحتماء 79
باب الفرار 82
باب الرياضة 84
باب السماع 86
قسم الأبواب 89
باب الحزن 91
باب الخوف 93
باب الإشفاق 95
باب الخشوع 97
باب الإخبات 99
باب الزهد 101
باب الورع 104
باب التبتُّل 106
باب الرجاء 108
باب الرغبة 111

قسم المعاملات 115
باب الرعاية 117
باب المراقبة 119
باب الحرمة 122
باب الإخلاص 125
باب التهذيب 127
باب الاستقامة 129
باب التوكُّل 131
باب التفويض 133
باب الثقة 135
باب التسليم 137
قسم الأخلاق 141
باب الصبر 143
باب الرِّضا 147
باب الشكر 150
باب الحياء 152
باب الصدق 155
باب الإيثار 158
باب الخلق 161
باب التواضع 165

باب الفتوة 168
باب الانبساط 170
قسم الأصول 173
باب القصد 175
باب العزم 177
باب الإرادة 179
باب الأدب 181
باب اليقين 183
باب الأنس 185
باب الذكر 188
باب الفقر 190
باب الغنى 192
باب مقام المراد 194
قسم الأودية 199
باب الإحسان 201
باب العلم 203
باب الحكمة 206
باب البصيرة 208
باب الفراسة 210
باب التعظيم 212

باب الإلهام 214
باب السكينة 216
باب الطمأنينة 219
باب الهمَّة 222
قسم الأحوال 225
باب المحبة 227
باب الغيرة 232
باب الشوق 234
باب القلق 237
باب العطش 239
باب الوجد 242
باب الدهش 245
باب الهيمان 248
باب البرق 250
باب الذوق 252
قسم الولايات 255
باب اللَّحظ 257
باب الوقت 259
باب الصفاء 262
باب السرور 264

باب السِرّ 266
باب النفَس 269
باب الغربة 272
باب الغَرق 275
باب الغيبة 277
باب التمكُّن 279
قسم الحقائق 281
باب المكاشفة 283
باب المشاهدة 285
باب المعاينة 288
باب الحياة 290
باب القبض 293
باب البسط 295
باب السُكر 297
باب الصحو 299
باب الاتصال 301
باب الانفصال 303
قسم النهايات 305
باب المعرفة 307
باب الفناء 311

باب البقاء 313
باب التحقيق 315
باب التلبيس 317
باب الوجود 320
باب التجريد 322
باب التفريد 323
باب الجمع 325
باب التوحيد 328
فهرس المحتويات 337